



محمود إمام



رواية



العودة



"إذا كنت تريد الانضمام إلينا ادخل وأغلق الباب خلفك"




العودة





18 ش العرب من شارع 77 المعادى ـ القاهرة
Mobile: 01143679371 ـ 01224068553
Facebook: Seraj for Publishing & Distribution ـ السـراج للنشـر والتـوزيـع
E ـ mail: seraj.books@gmail.com

العودة

محمود إمام

رقم الإيداع : 2017/
الترقيم الدولي : 978 ـ 977 ـ 6578 ـ ـ

الطبعة الأولى : 2018 م - 1439 هـ

الناشر: © السـراج للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية ـ القاهرة

تصميم الغلاف:



رواية

محمود إمام

السراج للنشر والتوزيع



شكرًا لكل من ساندنى..

الحمد لله على خروج ذلك العمل إلى النور بمساندة هؤلاء:
شكرًا لأبى رحمه الله وأمى وإخوتى. ومحمد مصطفى قرنى،
وأستاذى العزيز خالد محمد مصطفى، ولإخوتى ومديرى دار السراج:
إسلام أبو الفتوح، ومحمد الطيب، والإعلامية المتميزة والكاتبة
رحاب صبرى، آية الحسينى، حسين خالد إمام، حسام محمد على،
العزيز والأخ والكاتب الجدع محمد عصمت.
شكر خاص جدًّا للفنانة الجدعة جدًّا والجميلة والمساندة (سيمون).





كـــارمــــن..





في منزل السيدة (كارمن)...

وصفوا ذلك المنزل برقي الملوك وتواضع الأمراء وبساطة الفقراء، حيث البهو الواسع، تراصت الكراسي صغيرة الحجم داخله بشكلٍ فنيٍّ هادئٍ على شكل دائري متناسق، دولاب صغير يحمل داخله قطعًا فنية نحتت بيد محترف، تماثيل صغيرة الحجم لمشاهير الفن والنحاتين، كأنه معرض أقرب منه إلى المنزل، يدلُّ على رقي من وضع الديكور وبساطته الشديدة، ولا يُوجد أحدٌ لا يدري من هي (كارمن) التي أخذت فنَّ النحت والرسم هوايةً لم تلبثْ أن سارت على قضبان الاحتراف! لوحاتها اعترف بها وأشاد بها كل مَنْ وقعت عليه عينه في الوطن العربي! لوحاتها زيَّنتْ بعضها المنزل في كل صوبٍ واتجاه، وكأنها حوَّلتْ منزلها إلى معرض لوحات، (كارمن) ارتفع رنين شهرتها واعتلى الأفق، وكانت في يومٍ ما حديثَ الصحف والإذاعات المرئية. ينظرون إليها كالقمر في الليالي حالكة السواد، اختفت عن الأنظار بعد أن علا شأنها ووصل إلى النجوم، وصلت إلى درجة احترام فنها، وأخفت لوحاتها عن الجميع فجأة! وألغت فكرة بيعها؛ فالذي يستحقه هو منزلها فقط!

واختفت عن الأنظار!



رغم أحاديث الناس عنها بكل لهفة، ويتساءلون متى تظهر مرة أخرى؟ ولم تنقطع سيرتها، طبعت على قلوب مَنْ يرونها بصمة لا تزول؛ فلوحاتها لا تنسى، ولا تمرُّ مرورَ الكرام، يجب أن تلفت أنظارك، ويتذوقها روحك، وتخلب لبك! وقد قررتْ منذ زمنٍ واتخذتْ قرارًا مصيريًّا، لن تظهر ولن تبيعَ لوحاتها سوى لمن تدرك أنه فهم معناها وغاص داخلها! مثلًا تلك اللوحة التي أبحرتْ هي داخلها وبريشتها سارعت الأمواج، ومستها لهب وحرارة شمسها، ولامست وريقات شجيراتها ووداعة العصفور، وامتطت ذلك الحصان! حاولت لمس الطير لكنها لم تفعل، لوحاتها ملكها ـ ملكها فقط ـ الآن، ولا تحتاج إلى الأموال، كأنهم آخر أنسال الملك محمد علي باشا! كراسي تُعَدُّ على أصابع اليد، تلتف حول سفرة واسعة كأنهم يحرصون على حمايتها من الغرباء، يأتي منها رحيق محبب لا تدرى كنهه، لكنه يؤنسك! ويرحب بك عبر ممر صغير تصل إلى غرفة ذات طابع وصل إلى درجة التقدم الحالي، كمبيوتر حديث وأدوات هندسية تنتمي إلى ذلك الشاب، وأدوات علمية لا تُعدُّ ولا تُحصى، ترجع ملكيتها إلى ذلك الشاب الذي جلس قريبًا منها (كارمن). كان بجوار أمه كان قد اعتاد على مراقبة الطعام منذ كان صغيرًا، يراقبها وهي تضع المقادير، وهي تصب أكواب الشاي، وكأنها ترسم! ترسم لوحتها على الأطباق، كانت يدها تصنع كل شيءٍ بحرفية شديدة وإتقان، ويحشر تلك اللوحة الشهية داخل فمه، ويتعجب من لذة الطعم، ولا ينتهي إلى أن يجعل ذلك الطبق على حالته الأصلية فارغًا كالعادة، ولكن تلك المرة، تلك المرة كانت مختلفة، تنظر إلى ولدها بشيءٍ من الحنان والإشفاق، وهو يجلس بالقرب منها كلما قررت إعداد الطعام، يجلس وراءها إلى أن تنتهي بفضول طفولي، ويتذوق طعامها الذي لا يجد مثيلًا لرحيقه في العالم أجمع، فالموقف عسير تلك المرة! تحاول لمَّ أحزانه



التي سقطتْ أرضًا كالمهملات، وإزالتها بعيدًا وبأبسط الطرق، تحاول لمَّ أنقاضه من جديد، وتبحث فيها عن أحلامه ولم تفلح، تضع داخل الفرن قوالب من الكعك المُحلَّى بـ(السمن البلدي)، الذي يعشقه ولدها منذ كان في السادسة من العمر، عسى أن يفهم أن هنالك مَنْ يحبه هاهنا ويهتم لأمره، تحاول رسم ابتسامة على شفتيه وتفشل، على معالم وجهه العبوس والشرود وقلة الحيلة، تحاول دَبَّ الأمل في قلبه من جديد بلا فائدة، تبتسم وتنظر إليه وهى تَعُدُّ له ما يحب، لاحظت ثباته في مكانه كالصنم كتمثال الكتبة المصريين القُدامى، ولا يحمل تعبيرًا قد اكتفى. هبط من جبال أحلامه منذ دقائق حتى أصبح غبارًا، ووقع أرضًا إلى عالمٍ واقعيٍ ملموسٍ محطم يهرس الأحلام ببساطة، بكل جهل قاسٍ، أصبح تائهًا لا يدري إلى أي مكانٍ يرتمي، تعلم مكنونه، وكيف تصلح ذلك العطب الذي أصاب قلبه، لكنها ومنذ دخوله عليها من الوهلة الأولى، أيقنت أن خروجه من تلك الأزمة ليس هينًا ويحتاج لمجهود مضاعف، وبالنسبة لها كان عليها إيجاد حلٍّ مناسبٍ لإخراجه من براثنه، مثلما كانت تفعل دومًا، كيف كان ولدًا صغيرًا ذكيًّا، وقف يومًا أمام الطابور يوجه الصفوف داخل المدرسة، مدرسته وهو طفلٌ صغيرٌ، صاحب عقلية تفوق سنه الصغيرة وقتها، التي أودتْ به إلى الفصل منها، وذهابها إلى مدرسته تقنع المديرة، بأن طفلها ذكي ويبلغ عقله سنًا أكبر من سنِّه الأصلية، تخطَّى سنَّ التاسعة حينها، ويتحدث كالذي بلغ العشرين من العمر، كيف دافعت عن ولدها، وأخذته وانتشلته انتشالًا منها، ووضعته في أخرى،مدرسةٍ أخرى، بالفعل وجدتْ نفس الأزمة التي تلاحق ولدها، يُجاري المعلمين ويتحدَّاهم، وذلك أمر بالغُ الخطورةِ وقتها، لن يجد مدرسة تتقبَّل طفلًا عبقريًّا ينافس المعلمين، ويتحدَّث بلباقة مع رؤساء المدارس، أمسكته وقالت بكل جدية:



ـ حبيبي أنا، عارف إن ماما خلتك تقرى وانت عندك ٣ سنين، خليتك تقرى فى كل حاجة، ثقفتك وراعيتك، لحد ما كبرت وبقى عندك عشر سنين، مينفعش تتكلم مع حد الند بالند،احترام الكبير واجب عليك، وعلمتك احترام الكبير مهما كان غلط!

قال بعناد:

ـ طالما الكبار مبيفهوش... أخاطبهم ليه؟!

نفتْ شبح ابتسامة كاد يرتمي على وجهها للحظات فعادت إلى الصرامة وهي تكمل:

ـ لازم تحترم الكبير مهما كان، ده اللي انا ربيتك عليه!

لف يديه حول صدره بعناد الأطفال أكثر:

ـ يا ماما مبحبش أتعامل مع الأغبيا، خصوصًا الغبي اللي مبيسمعش الكلام! غير كلام نفسه، وعايز يكون قدوة وهو مش أهل ليها، لازم نفِّهم الكبار إننا بردو بنفهم، لازم يكون فيه لغة تواصل بنَّا يا ماما، ازاى مدرس يشرحلى حاجة وأنا أقولوا بكل شفافية، ازاى؟! يعيد مرة واحدة بلغة صعبة مبفهماش رغم إنى فاهم المادة اللي بيشرح فيها، وفى الآخر يقولى اللي أنا قلتو يتسمع من غير مناقشة، لازم نتناقش ويكون فى صلة حوار، أفرق إيه عن الحمار الى بيركبو صحبو ويسوقو.. أنا مش حمار يا ماما!

قالت بصرامة:

ـ ولد عيب الكلام ده!

قال وهو مُصِر:



ـ يا ماما إفهمينى، أنا مبعترضش على شخص لمجرد الاعتراض، بعترض بكل احترام، هو فاكر إني بقل أدبي وبس.

أمسكته من كتفه وقالت:

ـ أنا علمتك كل حاجة في الدنيا مخبتش عليك حاجة، خليتك تقرى لكبار الناس، لكبار العلماء، خليتك بذرة صالحة فى مجتمعك، تيجي في الآخر تكون ضد المجتمع؟

تحدث وكأنما بلغ الثلاثين من العمر، بلغ الكبار الناضجين قال:

ـ مش ضدو، بس كل ما بتعلمينى حاجة وبفهما، بعترض على عدم تنفيذها فى الواقع، دلوقتى بشوف الناس بتعمل الحاجة وعكسها! المدرس بيكتب الدرس من غير شرح، بيدى درجات للطلبة الى بياخدو معاه دروس وبس، إنما الباقى ملوش لازمة، هو أنا لازم آخد معاه دروس علشان اهتم، بيشرح الدرس والى بياخدو معاه دروس فاهمينه وعارفينه، انما الباقى ملهمش لازمة، وبحس انو مش عميق فى شرح المادة، بكون فاهمها أكتر ما هو فهمها، وبعدين كمان الى متشرحش الدرس ليهم يتاخدوا ويترموا فى الزبالة ليه يا ماما. عجبكوا عجبكوا مش عاجبكوا اضربو دماغكم فى الحيطة، المهم الناس الى بتاخد معايه درس وبس!

أخرستها كلماته الأخيرة، وعلمت مدى الجرم الذي قد ارتكبته في حق ولدها، جعلته مميزًا وسطهم مكشوفًا، سوف ينبذونه ويتلافون الاصطدام به، التلاميذ قبل المعلمين! عليها تدريبه ليجاريهم ويذوب داخلهم، عليها أن تجعله واثقًا من نفسه وسطهم أيضًا، وتكملة ما بدأته، لقد أخذت على نفسها عاتق ومسئولية تعليم ولدها، منذ عامه الثاني تعليم خاص جدًّا،



عليها أن تجعله مميزًا بالفعل مثلما كانت، ومثلما افتخر بها والداها، وصورتهما التي استوت قواعدها على المكتبة الكبيرة، كانا عاشقين في صورة باللون الأبيض والأسود، دائمًا تنظر إلى فطرة الصورة وبراءتها ونقاء أبويها! إلى ذلك الحب النقي الذي لا يشوبه أدنى مصلحة، حب نقي أتم حصاده وأتت هي إلى الدنيا، أمها التي تشبهها كثيرًا، وذلك الرابط الخفي بينهما، كانت شقيقتها أقرب إلى أمها، قامت بتعليمها منذ الصغر كل شيءٍ. كان المجتمع أنقى ومتحضرًا، تنظر إلى صورتهما بشيءٍ من الفخر وكأنها تقول: لم أنسكم، تعيشون داخلي! داخل جدران قلبي، أشتاق لكم كثيرًا، وأتمنى وجودكم في مكانٍ أفضل. وها أنا أغرس زرعتكم داخلي في ولدي، زرعة العلم والتحضر. أخذت على عاتقها تعليمه أشياء تفوق سنه بمراحل، لا يوجد كتاب لا يقرأه، لا تُوجد معلومة لا يدري عنها شيئًا، لقد أصبح جهاز كمبيوتر فائق الجودة، حتى وصل لسن الثمانية أعوام، وصلت عدد قراءاته من الكتب لألفي كتاب، يمتزج بين العلوم والأدب والتاريخ والسياسة، التي تخشى على ولدها من درسها، وغرس بوادر داخلية بأن يثور للحق، الحق فقط! تذكرتْ كيف أمسكته من كتفه، ووجهت كيانها إليه بكل حزم وهي تقول:

ـ الغرور أول بوادر الفشل، إياك تتغر بنفسك، إياك تفتكر إن فيك حاجة زيادة عنهم، لمجرد إنك بتفهم عنهم.

ـ ده مش غرور ده فهم يا ماما.

أخرسته قائلة بصرامة:

ـ لا غرور، وتكبر ودى أول حاجة حصلت فى الجنة، لَمّا الشيطان اتغر وافتكر نفسه في مستوى أرقى من البني آدم المخلوق من طين، افتكر إنه



أعلى مستوى منه وأذكى، وده اللي خلَّاه يعصي ربنا، دي الغلطة اللي كلنا بنقع فيها، بنتغر لكن مش عارفين إنه غرور. اعذر جهل غيرك، طالما فاهم اسكت واسمع واعذر، واتعلم مني، أنا معايا أكتر من لغة،عمرى ما حاولت في مرة أتباهى بلغتي قدام حد، أو أحسس غيري بضعفه قدامى، كل ما كنت قوى سامح، كل ما كنت قادر تاخد حقك تجاوز وعدى، بس خليك واثق فى نفسك، إنت قوي بعقلك، أنا بكلمك على إنك شاب مش عيل صغير يا حبيب ماما.

احتضنها بكل قوة طفولية وهو يقول:

ـ بحبك قوي يا ماما.

ـ يبقى توعدنى من هنا ورايح هتراعى شعور اللي أقل منك ذكاء، مدرس، أو مدير المدرسة، أو....

ـ حاضر.. حاضر.. حاضر.

احتضنته أكثر، وهي تنظر إلى هرم الكتب الذي صنعه بنفسه أمام مكتب أبيه الكبير، هرم مكون من مئات الكتب، بمختلف اللغات الثلاث التي تجمع الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ما بين التاريخ والعلوم والفيزياء، قرأها وتعلمها ولدها الصغير، جمعها الصغير بشكل مدهش، وصنع منها هرمًا كبيرًا، بجوار مكتبة أبيه، وهو لم يتجاوز من العمر العاشرة بعد، نفضت تلك الذكريات، قالت وهي تخرج القالب من الفرن:

ـ محدش غيرى يعرف يعملها.. يا سلام بقى عليها وهي سخنة تجنن!

تنظر إليه ولم يتحرك، مثله مثل الكرسي الذي يجلس فوقه، لا يُدوِّن ردة فعل جدية سوى الصمت، ولا شيء غيره، تكمل حديثها كأنه تفاعل معها:



ـ شوية كدة يهدى من السخونة.. ويستاهل بوقك، مع كوباية الشاي اللي بتحبها.

قال بصوت خفيض ضعيف:

ـ تسلم إيدك.

أخرجت قوالب الكعك، وضعته في طبق دائري واسع، وهي تقول:

ـ ثواني بقى وأعملك الشاي.

وضعت الطبق الكبير، وهي تدرك أن ولدها لا يعتني به كثيرًا مثلما كان ولدًا صغيرًا يحمل كل الشغف لأي طعام كان من صنع يدها وحدها، تذكرت مرة ـ وأثناء غليها للحليب ـ وضعت كوبًا خاليًا من السكر، قال بعناد الأطفال: اللبن من غير سكر، وضعت إصبعها، أو أوهمته بذلك الأمر وأخرجته، ثم أخذت من الكوب ملعقةً ووضعتها في فمه قائلةً: ها في سكر؟ صُدِمَ الطفل، بالفعل اللبن وضعت به قطعة من السكر (لبن وضع داخله سكر!) إصبعها أصبح يحمل السكر! وحينها حمل إصبعُ أمِّه كلَّ ما يتمناه! تذكرتْ كيف كان يقف في انتظاره أن يخرج من قلب (الفرن) ويصفق بيديه الرقيقة الطفولية فرحًا، والأمر اختلف، الآن أصبح شابًّا بالغًا، عكف على دراسة أشياء تخصُّ السفر عبر الزمن، درس شيئًا فى مجال العلوم مستحيلًا على أحد من أبناء وطنه استيعابه وتقديره. حذرته مرارًا من ضعف استيعاب البشر لأفكاره وطموحاته وقدراته، ها هو يمارس ما كان يفعل منذ الصغر، الآن يريد إثبات قدرات عقله التي تتخطَّى الجميع ها هنا في البلاد، لكنهم منعوه وسخروا من اختراعه، وابتعدوا عنه كأنه كالمجذوم! ها هو يفكر مثلما كان يفعل منذ الصغر، ولم يجد حلًا



وشيكًا يحقق له ولو جزءًا صغيرًا من طموحاته التي اندثرت، لكنها لم تمت! فلا تزال هي على قيد الحياة، ستسانده بكل ما أوتيت من قوة وكل هدوء،كل ما أراده هو النجاح في مشروعه المشترك بينه وبين أصدقائه، الذين أصابهم اليأس والإحباط مثله تمامًا! تعلم أن ولدها ذكي، سوف يتجاوز تلك المحنة والأزمة قريبًا، لكنه لا يعلم سرَّ قوته بعد. تعلم قدرةَ تحمُّله التي يمكنها أن تصل إلى ما لا نهاية، لكنه ـ وفي تلك المرة ـ أصبح ضعيفًا واهنًا محطمًا، رتبتْ على كتفه:

ـ كل حاجة هتبقى زى الفل، خليك واثق في ربنا، وفي قدراتك، هتقدر تعدي وتتجاوز المحنة.

ابتسم واضحك، محدش هياخد منها حاجة.

ابتسم لها في معاناة كأنه فقال لها:

ـ كلامك جميل يا ماما!

أحنت شفتيها ترسم ابتسامة خفية قائلة:

ـ طول عمره جميل يا ولد!

وضعت الطبق الكبير أمامه، ثم هرعت لإحضار كوب من الشاي، وضع الكعك في فمه ثم انتبه إلى يدها التي رتبت على كتفه بحنان، شعور مطمئن أن كل شيءٍ سوف يصبح على خير ما يرام قريبًا:

ـ الكحك بيدوب فى البوق.. تسلم إيدك.

مرة تحني حاجبها، تقول بكل ثقة:

ـ أنا عندي الحل..



قال بخفوت وفضول برز على ملامحة:

ـ حل لإيه؟!

وكأنها انتشلته من بئر عميقة مخيفة الظلمة كطوق نجاة أخير! طوق النجاة داخل أعماق بحار مخيفة متلاطمة يندر فيها النجاة، أعادت شغفه الطفولي من جديد، وَدَّ لو صفَّق بكلتا يديه، لكنه لم يفعل، وضعت إصبعها مرةً أخرى في همومه مثلما وضعتها داخل الحليب من قبل! نظرات الثقة مُطلَّة من عينه التي كان ينتابها منذ لحظات المعاناة واليأس، نظرت إليه في ثبات، قالت ـ وقد أدركت ما فعلته وقد دبَّت الأمل داخله من جديد ـ:

ـ عايزاك تصفِّى ذهنك كده، وتسمعنى وبس، وإياك تقاطعنى.

أشار نحو فمه كأنه (سوستة) وأغلقه توًّا.

ثم أنصت.

واتسعت عيناه لِما سمعه منها، فما قالته أعجوبة جديدة، لن يستطع تنفيذ حرف واحد منها.

* * *

فيما بعد..

انتبَهَ أنه لا يسير وحيدًا!

مئات البشر يسيرون معه وخلفه وأمامه، مصابين بحالة من الوجوم، وقليلٍ من اليأس وكثيرٍ من الإحباط المبهم، يسيرون وكأنهم يزحفون



كالحشرات! ازدادت حرارة الشمس كي تعطي انطباعًا وإجابة لصعوبة اليوم الطويل الذى يُمطر بالملل الحار، وأنه ينتمي إليهم وإلى الحالة الروتينية المعتادة، جعلهم مثل الآلات المتحركة، جعل هؤلاء البشر مجرد تروس! كل ترس يعلم بدوره في تلك الآلة الكبير ة، تسير وتلتقم بفمها رزقها مثل القطط من هنا وهناك، داخل المباني الحكومية المتسمة بعطن وتراكم السنين، وأصيبت حوائطها بالهزال والإهمال والروتينية، فالأهمية المطلقة يمتلكها ذلك الموظف، لا فى هيئة مكتبه وشروخ جدرانه وذلك الطلاء الذي كان مثل البصقة المطبوعة على الجدران! وذلك «الخرم» البارز الدائري الذي تهرب من خلاله الصراصير الضالة خيفة أن تراها العناكب فينتهي أمرها! ها هم البشر، مئات منهم يقتسمون العمل داخل المباني، لا أحد يأكل من قطع اللحم منفردًا وحيدًا، إنها ملك القطيع بأكمله، تساؤلات غريبة طرحها عقله وهو يسير بين هؤلاء البشر وملامحهم المختلفة التي تتسم بالرضا ـ أحيانًا ـ والغضب، والنقمة، والمرح، وخفة الظل، ولولاها لقاموا بالانتحار الجماعي. لاحظ اختفاء النكتة، لاحظ اختفاء سخريتهم على أحوالهم مثلما كانوا بالماضي، لقد غاصوا في هموم الحياة أكثر من اللازم، حتى نسُوا الرفاهية، وتناسَوا أنهم مجرد بشر يحتاجون للضحك أحيانًا! وأحيانًا أخرى ينهمكون في العمل، لكنهم الآن مجرد آلات، تعمل وتعمل فقط. تخيل ـ ألف مرة ـ ذوبان البشر داخل قوالب بركانية، وينتهي أمرهم وأمره! لا يزال يسير ويجرُّ خلفه سنين عمره التي اقتربت من عامه الثالث والثلاثين من العمر، ها هى السنون تجتازه. فور أن تصبح على مشارف الثلاثين، يتحرك عمرك كالقطار لا يعلم إلى أين محطة وصوله فيستسلم! سنون تسير مثلما يسيرون، سنوات عمره اختفت خلف الحوائط، أحلامه، وأحلامه تلاعبه، تلمح بالظهور وفجأة تختفي كالأطفال وكأن الإمساك بها



مستحيل! أحلام الأصدقاء المشتركة التي دهست بالأقدام وسخروا منها بالفم وباليد، قاموا برفضها، وبإشارة خرجوا من الحلم بسهولة، سهولة لا تماثل صعوبة الدخول، تذكَّر فى تلك اللحظات صديقه الذى أدمن دسَّ أنفه داخل مسحوق أبيض حتى وافتْه المنية وحيدًا ترافقه أنبوبة سحب الهروين. تذكَّر صديقًا آخر أطاحت به سيارة وأضاعت أحلامه المستحيلة، وكفَّت عقله عن التفكير الى الأبد وأصبح (جملة) تقال في أحاديث الذكريات القديمة. البشر عبارة عن جُمَلٍ جميلة تقال ـ فقط ـ عندما يرحلون! فكر بأشكال أصدقاء فارقت عالمنا لثوانٍ معدودة، هل سقطت أنوفهم ـ مثلما قالت جدته ـ بعد ثلاثة أشهر من دفنهم؟! تذكَّر آخر تُوفي وهو يشجع فريقه، ودهسته الأقدام وانتهت محطة أحلامه، وقد دسوا صورته داخل صندوق قديم، خلف دولابه الصغير، وقد نسي رغم النفي أن من يرحل لا يعود سوى عبر الصور والألبومات الصغيرة! الأفكار السوداوية تحاوطه كما تحاوط الأفعى أرنبًا بريًّا صغيرًا، وتعتصره وتوشك على التهامه! أبعدها عن عقله بكل السبل ولم يفلح كأنها ذبابة لعينة تفقد الذاكرة ثم تعاود الكرة والالتصاق به مرة أخرى، نظر إلى هناك نحو ذلك المشفى، سار نحوه وهو يجر ظله جرًّا، وتعجَّب من ظهور ظله بالنهار، ظلٍّ مسكينٍ قليلٍ يكاد يختفي تحت أقدامه، وكأنه يتشبث بقدمه يأمره بالتراجع، ها هو يقنع نفسه أنه يفعل الصواب! رغم المخاوف يتقدَّم، رغم الخيبات يتقدَّم، رغم جنون الفكرة يتقدم، لكنه مقتنع تمامًا من نجاحها ويجب أن يتقدم، أصيب بحالة إحباط منذ أيام لكنه تدارك الأمر. تجمَّعت الأفكار السوداوية أجمعها في إناء واحد داخل دهاليز عقله! حتى واتته أفكار جريئة وواثقة تمحو تلك الأفكار الموحشة والمحبطة؛ حيث أتته فكر ة منعشة مثلجة كزجاجة مياه (مشبرة)، أتت في الصحراء لتنعش آماله في الحياة مرة أخرى، وليكمل



المسيرة من جديد، ويسير رغم ذلك الخوف والتوتر والخوف من الفشل! كانت أفكاره تسانده وتشد من أزره كالأم الحنون، كأمه (كارمن)! قليلون من يتمتعون بقدرة على حلِّ الأمور، بعدما تجرَّع مشروباتٍ مختلفة من الأفكار المحبطة! اعتقد فى ذات نفسه أن البشر دائمًا من يصنعونها، وها هو سوف يواجههم، سوف يواجه الفكر العقيم الروتينى بالعقل وحده!

ولن يتراجع...

ينظر إلى السيدة العجوز التى كانت تستند إلى الحائط، قارن نظرتها بالقطة الجائعة. ذات وجه حزين دائمًا، حتى لو أقيمت قاعات الأفراح جوارها، لن تغير ملامحها ولن تبتسم مطلقًا، هكذا اعتادت! تمُدُّ يدها تطالبهم بالنقود، ولا شيء سوى النقود، لقد اقتنعت أنها لن تحصل على الأموال إلا بتلك الطريق، تظن أن هؤلاء البشر هم المجانين، عندما طرح عليها أحدهم وأقنعها بأنها سليمة معافاة، هيا قومي واعملي مثلنا وكُفِّي عن التسول! ينصحها أحدهم ويقول ـ بجدية ـ: إن هناك حالات أصعب منها بأميال قليلة منك داخل المشفى، يتمنَّون القليل من قدرتها على مد يدها فقط! هي مقتنعة أنك مخبول أبله فلا تحاول معها! ضع النقود داخل يدها واذهب فهي لن تتراجع، إنها تستطيع إحضار الأموال التي تتحصل عليها خلال شهر واحد في يوم واحد! طرق النصب المشروعة كثيرة، لكنك لا تتمتع بالذكاء الكافي داخل المدينة، طرق جذب البشر سهلة ويسيرة عبر ذلك الوجه الحزين وليس بجهدك وعملك أيها التعيس! لا يحاول أحد إقناعها عن العدول من ممارسة التسول، ولا يحاول أحد إبعاد ذلك الشاب عن دخول ذلك المشفى وتنفيذ ما بداخله من أفكار جريئة. تجاوز ذلك السُّلَّم، وتوقف أمام الباب، يصارع أفكاره مثلما يصارع قلبه على الخفقان بخوف



ورهبة. لا بأس، لقد كان أمرًا جنونيًّا من بادئ الأمر، ما يميزه حقًّا أنه قادر على إقناع أيِّ فرد كان! ينتمي إلى برج (الجوزاء)، الذي يتمتع بالشيء ونقيضه، ويعتبره البعض ينتمي إلى طائفة الممسوسين، يمتلك الألف رأي ويمكنه إقناعك بكل رأي على حدة وكأن بحوزته كنزًا ثمينًا حمله من (أمه) فعلًا منذ ولادته وكأنها أعدَّتْه مسبقًا كي يكون مثلها! عبقريًّا ومميَّزًا ولافتًا للأنظار، وكل تلك الأشياء تناسب ذلك البرج، موهوب في الإقناع، وذلك ما سوف يفعله، يجب إقناع الجميع بذلك الأمر، وإلا سوف يفشل كل شيء. يمتطي قطار الكوابيس المُسرع، ويدخل الطرق المظلمة عُنوة.

تلافى الفشل..

لن يتراجع!

ها هو ينظر إلى المشفى القديم الذي يقبع داخله أعز إنسان إلى قلبه، يدلف من الباب الزجاجي، يستقبله هواء مثلج جاء من فتحات التكييف المكثفة، ذلك اليوم كان قائظَ الحرِّ بالفعل. ظهرت الشمس فى كبد السماء في تحدٍّ معه، لو كانت لها أعين، لذهلت واتسعت من كثرة ثقة ذلك الشاب وهو يتقدم إلى مدير الاستعلامات.. قال بهدوء وثقة:

ـ ممكن أقابل المدير هنا؟

* * *



الأمر يبدو مرتبكًا لأقصى درجة داخل قسم الشرطة، هناك بلاغ من سيدة مسنَّة تبلغ عن فقدان ابنتها منذ أسبوع كامل اختفت وكأنما انشقت الأرض وابتلعتها وغاصت داخل الأعماق السحيقة، ولن تعثر عليها مرة أخرى. دموع وصرخة مكتومة، دموع لا تنضب! بلاغ تقليدي يحدث كثيرًا في تلك الآونة الأخيرة، اختفاء الفتيات! تحوم حولها شكوك مرعبة، هل خطفها أحدهم وكان يطمع في جسدها، أم في مالها، أم قاموا بسرقة أعضائها، أم لاغتصابها وتركها جثة هامدة على الطرقات، أم داخل أرض زراعية سوف يدلُّهم المزارع قريبًا عليها ويتلاشون النظر إلى جُثَّتها، أم أم أم....؟! هنالك أجوبة لا يحب أصحابها الاستماع إليها حينما يفقد أغلى ما يملك، ولده، فلذة كبده. وفي تلك اللحظات المرتبكة، دخل شابٌّ يبدو عليه علامات الجدية والوقار والبلوغ أيضًا، انتشر الشيب في رأسه، وجواره شاب أقل حجمًا ممتلئ قليلًا، ذو وجهٍ دائري وابتسامته البسيطة لا تفارقه، مُرحبة بالجميع في أحلك الظروف، ملامحهم أعربت عن القلق والجدية، يبدو أنه يعلم شيئًا بالغ الأهمية، شأن اختفاء تلك الفتاة.

قال الشاب الممتلئ لضابط الحالة:

ـ يا فندم عندنا معلومات مهمة تخص موضوع اختفاء (هيام كامل الطناوى).

ثم أشار نحو ذلك الشاب الوسيم الذي ظهرت علامات التيه والحيرة على ملامحه. قال ذلك الممتلئ:

ـ بس لازم علشان نعرف راحت فين، تسمعوا كلامي بالحرف، ولازم تنفذوا اللي هقولكوا عليه بالظبط.



انتبه الجميع له؛ حيث أخذ في سرد أحداث غريبة الأطوار والأحداث.

وعلى رجال الشرطة تنفيذ تلك الخطة بكل إتقان.

وتلك لم تكن سوى البداية ...

البداية كانت هناك.



رجـل عجـوز..!





عبر درجات سُلَّم مشفى عين شمس التخصصي أخذ الشاب (صلاح قرني) يقفز على درجات السلم في نَهَم؛ سعيًا وراء رؤية ذلك الرجل العجوز الذى يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، وأَسرع بطلبه على وجه السرعة، لا يعلم شيئًا ألبتة عن كنه ذلك الرجل، ولكنه ذكر شيئًا هامًّا عن اختراعه.. لذلك تجاهل المصعد الذى كان يكتظ بالصاعدين. وأسرع نحو الطابق السابع، تحديدًا نحو غرفة العناية المركزة.. تقدم وأنفاسه كانت تتلاحق أسرع نحو المرضين والزائرين.. يقول لكل شخص يقابله:

ـ أنا صلاح قرني،أنا اللي طلبني الراجل العجوز!

لم يدلُّه أحد إنما تحاشَوه مثلما يتحاشى الجميع مريض السعار! هنالك أمامه تحديدًا، كانت غرفة العناية المركزة وشعارها الوحيد، هنا نحمل الموتى الأحياء، من لم يجد سبيلًا في تلك الدنيا للحياة، ومن استسلم ورفع الرايات البيضاء، من فقد كل قدراته واستسلم، ومن يحمل دقات قلبه الأخيرة، الشيء الغريب هنا.. أن صلاح لا يعلم من يجلس هنالك، لا يعلم شيئًا ألبتة عن ذلك العجوز الذي أصبحت عظامه تشعر بحنين جارف نحو الالتصاق بخلايا لحمه وانتشرت العروق بشكل صلد بشع على يديه! استسلم لمحاقن وأسلاك تنتشر في كل صوب واتجاه..



بيأس وبلا جدوى..

يتَّجه نحو نهايته بلا شك..

كان الدافع الوحيد الذي خطر ببال صلاح، هو الظن بأن ذلك الرجل (مليونير سخي) يرغب أن يُضحي بكل ما يملك لتمويل اختراعه العجيب،أو أنه أحد الرجال الذين رآهم وهو مقدم على إشهار اختراعه لهم وتم رفضه بصرامة! أفكار اختُزلت داخل عقله، تتهامس هنا وهناك كالنمل الأسود الذي تجمَّع نحو أشلاء الصرصور! ذلك الاختراع الذي يدرك كل من يقع تحت تأثيره أنه أصبح مسافرًا عبر الماضي كمشاهد، لينتقي مشاهد بعينها ويتعايش داخلها،أو يقوم بحذفها من تاريخه القديم، أو رؤية أحدهم الذي وافته المنية في المستقبل واشتاق لرؤيته، فيراه عبر بوابة من بوابات الماضي القديم، ويراه مجددًا، أو يقوم بتجديد مشاعر قد ماتت منذ زمن. نقلة علمية لمن يُقدِّرها ويرعاها، فقط لو حصل على تأييد الدولة ولم يقم بتجاربه على أصدقائه المقربين مثلما فعل مع أقرب أصدقائه منذ أيام قليلة! وقف أمام غرفة العناية المركزة.. يراقب عبر زجاج حطام (بني آدم) تجاوز من العمر نحو المائة والعشرين من العمر.. هكذا أقرَّ الطبيب الذي هاتفه وأكَّد له أن ذلك الرجل عاش عصر ملوك مصر القديمة.. تنحى قليلًا أمام تلك الممرضة الفاتنة وهو يقول:

ـ أنا اللى الدكتور لسه طالبه!

قالت الممرضة فى سرعة مباغتة، وتحاشت ارتباكًا كاد يظهر عليها:

ـ هو إنت إسمك صلاح؟

ـ مظبوط..



ـ طيب هستأذن من الدكتور ثوانى.

أسرعت الخُطا نحو قسم الاستعلامات، تخبرهم بقدوم ذلك الشخص. كان هنالك رجل يضع سماعة الهاتف على أذنه باهتمام، ما إن رأى الشابَّ (صلاح) حتى أغلق الهاتف، ويستعدُّ لالتقاط أنفاسه، وانتصب واقفًا مُعطيًا أمرًا مجهولًا لتلك الممرضة، ونظر لها باهتمام واتجه صوبه بصرامة عجيبة. في ذلك الوقت ارتفع نبض صلاح، وقد شعر بخطورة الموقف، ذلك القلق ليس منه بالتأكيد، إنما من ذلك الرجل العجوز الذى طلب رؤيته على وجه السرعة. انتبه له فجأة، وذلك الرجل يمد يده لِتَحيَّته بجدية قائلًا:

ـ للأسف الحالة متأخرة.. الموضوع غريب جدًّا.. إحنا نفسنا مش مصدقين أي حاجة.. رغم وجود أدلة تثبت صحة كلامو.

توتر صلاح قائلًا بعصبية:

ـ أنا مش فاهم طالبني ليه.. وموضوع إيه اللى خطير!.. من فضلك وضَّح لي..

ـ ممكن لو سمحت تهدى شوية؟.. الراجل العجوز يعرف حضرتك وادانى رقم موبايلك.. ووصف لينا حتى العنوان.

ـ أيوه.. ده يعرفنى منين؟!

ـ صدقنى يا فندم... حاولنا نعرف لكن هو رفض، وكل اللى بيقولوا نقول لحضرتك الموضوع يخص اختراعك.

صمت صلاح متأملًا هيئة ذلك الرجل، هو يجيد قراءة تحركات الجسد جيدًا، وهو يشحذ بمخيلته وهو يتأمل الرجل، يقطع وفرة الأفكار قول الرجل:



ـ مش ده الغريب.. الغريب متعلقاته الشخصية!

قال صلاح بنفاد صبر:

ـ مالها زفت متعلقاته؟

لم ينطق الرجل وهو يأخذ صلاح إلى غرفة التمريض، التي كانت تحتوي متعلقات ذلك الرجل العجوز الذي سبَّب في تلك اللحظات اتساعًا في حدقتي صلاح حتى كادتا تغادران مكانهما إلى الأبد، تحديدًا عندما رأى بطاقته الشخصية!! لكنه بالطبع لا يصدق، لا يصدق هُوية ذلك الرجل، وللتعرف عليه جيدًا، يجب الجلوس معه ومعرفة أسرارهما، ولمَ استدعاه على وجه السرعة!!

* * *

قبل تلك الأحداث بأيام قليلة..

تطَّلع (حسام) إلى دفتر يوميات زوجته التي رحلت عن العالم منذ أيام قليلة. كان يعذبه كثيرًا دفتر يومياتها وبمشاعرها التى تتغير بشكل يومي عبر الصفحات المتتالية، ذلك الدفتر يؤنسه، كثيرًا ما يجده حلًّا وسطًا للشعور بتواجدها. (ريهام) تكتب في دفترها كمن تحاول إجادة فن الكتابة، تكتب يومياتها باحتراف ـ أو تحاول ـ! علا تأوه قلبه كثيرًا عندما تذكر أنها لن تعود أبدًا وأنها لن تتواجد سوى عبر تلك الكلمات؛ ذلك لأنها فارقته وفارقت ذلك الكون السرمدي.. ماتت زوجته! يقلب الصفحات..صفحات من مذكرات هيام زوجته.

* * *



لقد حفظ ورقات مذكراتها كما يحفظ أحرف الهجاء، كاللحن المكرر حتى اعتاده. مواقف كثيرة تكتبها، حتى تكاد تصف الصرصور الذي قتلته وهى طفلة فزعًا، تصف كل شيء يحدث لها بحرص،حتى أحاديثها مع أصدقائها والهمهمات، أدق أدق الأسرار أفرغتها في دفترها الرقيق الذي يحمل وردات بغلافه ذي الطابع الرومانسي، بكتابات حمراء. انتابه شعور خفي بالإمساك بدفتره الكبير بغلافه الجلدي الموروث من الأب، وقد قرَّر كتابة يومياته..

فكان مبتدأ الكلمات..........................

ولا أدري ماذا اكتب! أصعب ما يكون مرافقة الفراغ، مجالسة الوحدة على سرير واحد،النظر إلى صورة شخص لم يعد يحيا بيننا، رفيقتي وحبيبتي غادرت وتركتني وحيدًا، أتساءل: متى العودة الأخيرة، متى فراق تلك الدنيا والذهاب إليها! فراق الأحباب مؤلم وقاسٍ ويمكنه أن يكون قاتلًا، وها أنا أتعايش من جديد، أتعايش وحيدًا، لا أسمح بمجاورة أحد من الأقارب، فكلٌّ له هَمٌّ يشغله عن حزني، فعلوا ما عليهم، ربتوا على كتفيَّ وذهبوا وكأن شيئًا لم يكن! أرأيتِ يا حبيبتي ماذا فعل بي فراقك! كشف لي غربتي، أصبحت غريبًا عن تلك الدنيا، وجودك يؤنسني، يُمدني بصهاريج طاقة لا تنتهي، ومن بعدك! يجب أن أعتاد الفارق، أعلم ما تقولين الآن في تلك اللحظات، تعايش، سوف أرافقك في أحلامك فقط، أنا جوارك، داخل قلبك، أربت على شعرك بحنان، تعايش.. تعايش، أنظر من آنٍ لآخر عبر البلكون، أنظر إلى القمر يتلألأ حوله أسراب من النجوم اللامعة، يذكرني بأيام كنتِ جواري، كل ذكرى في ذلك المنزل لا تخلو من لمساتك، حتى أنا، أنظر إلى ألبومات الصور الموضوعة هنالك، وأتذكر كانوا جميعًا



مُرتدِين الأسود، غريبة حقًّا تلك الليلة! متشحات باللون الأسود هؤلاء النسوة، منهن من تبكى وتذرف الدمع بحرارة، كان هو محنيًا رأسُه ـ تعبير فاضح ـ بعدم التصديق، يشعر بمن يحاول التزام الصبر من أفراد عائلتها فى ذلك الجمع الهادئ، يربت أحدهم على إحدى السيدات، مواسيًا عمَّه، أو جده، أو أمه. ينتظر الأب وصول المزيد من رجال يرتدون حلل سوداء يفعلون الواجب!.. عسى أن يجدي ويموت أحدهم فيتذكر أن فلانًا أتى يومًا في عزاء كذا وكذا. منافقون نفاقًا باطلًا. قد شعرت بوجودها، قد أتت كالملاك لمراسم العزاء، عزائها! كوردة تفتَّحت وسط غابة مشتعلة يحاوطها رماد أطراف الأشجار، تأتي كالنور الصافي في مشهد بطيء، حيث تضفى على ذلك المكان روح الهدوء، تنظر للجميع في تعجب وذهول.. كيف، ومتى؟! لا يمكنها الذهاب هكذا!!!!. أخفيت براكين تلك المشاعر المتراكمة داخلي.. كلما تخيلت وجودها في تلك الليلة وسط الحضور.. حقًّا شيء لا تعبر عنه أقسى الكلمات، عندما تفقد أحد أطراف أصابعك،قل لى بماذا تشعر؟! بالتأكيد تتألم، أو تصرخ، ماذا لو كانت روحك؟. أخبرني حقًّا بماذا تشعر! روحك تقفز هنا وهناك، تمرح بين الجدران، تفتح التلفاز، تمسك بأداة الطبخ، ترتمى فى أحضانك، تشعر بدفء، وفجأة يختفي كل هذا فى لمح البصر،كيف هو شعورك إذن؟! شيء ما يقول إنها لن تتركك أبدًا مهما طال الزمن، شيء ما يقول إنها لن تتركك أبدًا. أنا لا أستطع التعبير مثلها.. لذلك سوف أخبر من يقرأ رسائلي كيف حدث هذا، كيف فقدتها..و...

* * *



أغلق دفتر يومياته وقد نفدت الكلمات من قلمه، أصيب بصداع قسَّم جمجمته لنصفين، يغلق دفتره بتوتر بالغ، يتثائب ثم يبحث عن أقرص المسكِّن الذي اعتاد التهامها، كلما هاجمه ذلك الصداع، صداع مزمن، يتسبَّب في قلب الأوضاع رأسًا على عقب، صداع برؤية غريبة، يغمض عينيه كي يرى أشخاصًا تمر في سرعة الأمطار، صعود جبال عالية، فتح عينيه ليجد أرض الواقع، تذكرها وقد اختفى الألم وذلك الصداع! لينصت بكل حواسه لصدى ذلك الصوت، وإلى مصدره الذي أتى من الصالة، قائلًا بهمس:

ـ جعان يا حبيبى؟

أتى مهرولًا إلى الصالة وكأنه يطارد طفله الصغير وهو ينظر إليها، وهى تقف واضعةً يديها أمام صدرها في رقة قائلة:

ـ هاا.. تاكل إيه؟

قال بنشوة لا يعلم مصدرها تنم عن سعادة ابن بعودة أمه من التسوُّق:

ـ فراااااااااااخ.

ـ عيونى.

قال بهمس:

ـ مش عارف ليه بحبك يا بنت الإيه!.. إنتى عارفة إن حبك بيبان بالذات فى الأكل؟

ارتفعت شفتاها برقة:

ـ كل بعقلى حلاوة.



ـ إنتى الحلاوة كلها يا أحلى البنات.

قالت قبل أن تغادر إلى المطبخ بصوت هامس:

ـ بتحبنى؟

نفض غبار تلك الذكريات، مستحيل أن يفارق جدرانه. تردَّد صدى تلك الكلمة داخلة آلاف المرات،جعلت فوج الدمع يؤجل رحلته اليوم للعبور خارج عينيه الحمراوين من كثرة الحزن، فيحاول الاحتفاظ بذلك الفيض بعدما يجدها ويقبلها بعدها، يفرغ ما فى جعبته من دموع اللهفة. في تلك الليلة سوف يتخذ قرارًا أخيرًا بقطع تلك المعزوفة الموسيقية الحزينة التي يستمر قلبه فى عزفها يوميًّا؛ لذلك حسم أمره وهو يتمسك بالهاتف الجوال، ذلك الرقم المميز لصديقه المقرَّب الذي أصبح هو الملجأ الوحيد الذي يسطع من جديد لرؤيتها. أدار مؤشرات الأرقام بحثًا عن رفيق الدرب الذي كان منذ زمن يمتهن مهنة الطب.. بعدها قام باعتزال المهنة بعدما فقد أحد أطراف أصابعه داخل فم إحدى السيدات الحسناوات أثناء تحضيره جلسة التنويم المغناطيسي بعدما اكتشف أغوارها الخفية التي لا يحق للمرءِ ذكرها. عبر جهاز دقيق يوضع بجوانب الرأس، يترك لمن يشتاق لأحدهم بالعودة عبر شريط الماضي، فيذهب لرحلة زمنية لمدة ساعة كاملة أو أقل! فقط هو جهاز قام بصنعه أحد الأساتذة المصريين، بعدها تأكدت نظرية آلة الزمن للعودة للزمن لكن داخل العقل فقط. رحلة يسير معها بعقله الحديث، ربما رحلة عبر عقله فقط، ويرى فيها نفسه كما يرها بالمرآة. ها قد ارتفع صوته عبر الهاتف مردِّدًا:

ـ حسام باشا.



أجاب حسام بنبرة لا بد وأن تكون إيجابية تنم عن سعادة لسماع صوته!.. ولا بد أن يخفي سبب الاتصال أولًا! لابد أن تنتهي المكالمة بطلب مصلحة ما.. حتى لا يفتضح أمره ويكشف ما فى جعبته.. إنه لا يعرفه سوى لغرض المصلحة.. وأنه لا يراه صديقًا بالمرة.. وأنه فقط يراه كلبًا يسير خلف عظمة، وحشًا يليق بهذا الزمن يجري خلف المال.. و.. النساء.. أخفى حسام كل شيءٍ عبر ابتسامة أتت رحبة عبر الهاتف الآخر لـ (صلاح):

- حبيبى يا صلاح ازيك؟

- أحسن منك.. إنت فين يا بنى؟.. اختفيت مرة واحدة ومحدش سمع عنك حاجة من ساعة آخر مرة قعدنا فيها على القهوة.

حاول حسام إخفاء ضيقه عبر كلمات مرحة لا تمت لمشاعره بصلة.. ربما لاحظها وأخفاها صلاح فأجاب:

- نعمل اية بقى يا عم صلاح الجواز والشغل والكلام الفاضى الى انت عارفو.

- طيب إيه بتتصل ليه؟..

- ههههههه إنت على طول بجح كده؟..

- إخلص يا عم معايا موزة لوز العنب.. كان نفسى أعزمك، بس عارف إنت خلاص ملكش في العط يا صحبى.

لقد ظفر أخيرًا بنهاية الحديث لذا أسرع وقال بحسم:

- صلاح.. هو الجهاز لسه موجود؟

- جهاز إيه؟



ـ الجهاز بتاع التنويم المغناطيسى؟

ـ آههههههههه قول كدة بقى.. عايز مصلحة.. ها قولى عايزها لمين؟

ـ بقولك إيه.. إنت هتخلص الليلة اللى عندك على إمتى؟

ـ هاخدها ناكل فى حتة وبعديها هروح.. بس الساعة هتكون ساعتها بقت إتناشر.. خليها بكره.

ـ إنت مش بتسهر يا بنى؟

ـ وإنت مش متجوز يا بنى؟

ـ هعدى عليك الساعة واحده.. تمام؟

ـ أصل أنا بكرة عندى....

ـ اتفقنا.. سلاااااااااام.

* * *



ها هو أصبح بجوار باب شقة صلاح، وسوف يقوم بتهشيمه لو لم يستجب للطرقات فورًا! ضرب ذلك الجرس المصاحب لموسيقى مزعجة، لا ينم أبدًا عن طبيب نفسي مريض بداء محبة الأغاني (الراب) الصخبة، كرَّر دق الجرس مرة أخرى، يعلم أنه بالداخل، ويعلم أيضًا أن (صلاح) لا يحب أن يحتاجه أحدٌ ما موضوع في بطاقته الشخصية لقب (ذكر).. خصوصًا لو كان يريده في مصلحة ما تحت مسمى صداقة لا يأتي من ورائها أي أموال.. أو لم يكن مصطحبًا معه إحدى الحسناوات..

لذلك قرر معاقبته..

وأخذ يرن الجرس..

أتى ذلك الصداع مرة أخرى..

خيالات عديدة، أشخاص تسير من وهناك، أمطار تهطل وهو وحيد دون مظلة!!..

فتح عينيه ليرى ذلك الباب أمامه.

ولتنتهي تلك الأوهام مؤقتًا.

* * *



في الوقت الحالي....

داخل المشفى...

مذهولًا كان يقف الشاب (صلاح). كان أمامه الرجل العجوز يفترش فراش منتظر قدوم الموت في أي لحظة.. ينظر إليه بخوف ورهبة وشغف ويأس العار، ثم تتلاشى كل هذه المناظر ليحل محلها الابتسامة العريضة، وكأنه مصاب بـ (الزهايمر)، أو لعله على مشارف الموت فيرى فيلم حياته يُعرض أمامه! لا مزيد من طرح الأسئلة الواهنة عن ذلك العجوز، هو يعرفه جيدًا.. لقد أخذ من ذلك الرجل كل شيء، هو من تسبَّب في هذا!.. اللوم لن يفلح في تلك الحالة.. ينتظر أن يحدث شيء، ودَّ الآن لو كان معه مسدس كي يقتل نفسه بنفس راضية! تقدَّم ببطءٍ نحو العجوز الذي استكان تمامًا.. كأنما يتمتع بتلك الغيبوبة المؤقتة، الأطباء أخبروه أنه يفيق لعدة لحظات يتساءل: ها هل أتى صلاح؟ ويذهب إلى الغيبوبة مجددًا، أصبح يقف أمامه تمامًا، ينظر له برعب، فقد فتح العجوز عينيه بوهن، نظر له في صمت لعدة ثوانٍ شعر خلالها صلاح أنها انتزعت عمره بأكمله، نظرة تحمل كل شيء عدا اللوم، لم يكن يلومه مطلقًا! نظرة حملت بعدها ابتسامة شاحبة، يعلم صلاح من هو. لكن الشك يحاوط عقله ويرفض تلك الإجابة الموضوعة على بطاقته الشخصية. من ذلك العجوز حقًّا؟!

* * *

فى وقت سابق...

لا يزال حسام يرن جرس صديقه صلاح، ارتفعت الرنات أكثر وأكثر،



قلة ذوق مبكرة لذلك الشخص! كان يُصرُّ حسام ذلك اليوم على تلك التجربة بكل صرامة كأنما هو حق مكتسب، حتى لو حطم جدار ذلك الباب اللعين، حتى لو اضطر لفتح الباب!... قائلًا بعصبية:

ـ إيييييه إيييه يا بنى! جبتلى صداع.

بابتسامة ساخرة أزاحه من أمامه تاركًا جسده يستريح على تلك الأريكة الواسعة:

ـ مفتحتش ليه على طول ياض؟

حكَّ صلاح أسفل ذقنه قليلًا يفكر بإحدى أكاذيبه التي لا تنتهي. لا يكشفها سوى المقربين وقال في ضيق:

ـ كنت فى الحمام.. بلاش ولَّا إيه؟ أعملك شاى؟

ـ ست معالق سكر..

ـ يخربيتك!.. أنا مش عارف ازاى بتشرب الشاى معسل ازاى كده؟!

بعد مرور عدة دقائق كان يتصفح الأخير هاتفه النقال عبر صفحته بالفيس بوك.. يقول جملته المشهورة..

(لا يوجد حب.. لا توجد حياة.. لا يوجد شيء على الإطلاق).

ها قد جاء صلاح فى ضيق ، يعطيه كوب الشاي ويجلس واضعًا قدمًا فوق قدم في غطرسة، قائلًا:

ـ كنت سألتنى عن الجهاز..

التفت له حسام بنبرة غير مبالية بغرور ظهر فجأة على صديق قديم

يعلمه جيدًا،هكذا كان طيلة عمره ،طيلة عمره لا يعلم من هو صديقه الحقيقي.. أجاب باقتضاب:

ـ هو إنت ليه مسافرتش يا صلاح؟

ـ إنت جاى تسأل عن إيه بالظبط؟

ـ يا أخى بطل.. كل ما آجى أسألك سؤال ترد بسؤال؟

أجاب صلاح بكل غضب مستكين ملوحًا بيده:

ـ هو أنا كده.. عمرى ما هتغير.. وجاوب.. ولا إنت ناسى إنى دكتور نفسى؟

ـ هههههه شغل الأفلام النفسية أثرت عليك ولا إيه؟

ضحك ضحكة سمجة فأكمل:

ـ بقولك إيه الجهاز مش عندى دلوقتى.

قالها ثم تأمل الأخير وينظر له صلاح نظرة نافذة قائلًا بهدوء:

ـ صحبى.. اللى جابك هنا حاجه تانيه.. يأما بقى وحشك أبوك وعايز تشوفو.. أو مشكله عويصه مع مراتك فترجع ذكريات قديمه علشان تحن ليها.. وأنا بفضل الرأى التانى يا صديقى.

ينظر له حسام بقلق.. كيف نفذ خلاله بتلك السرعة!.. فلا ينبغى أن يرواغ.. فأعطاه صلاح الجواب ساخرًا:

ـ أقولك أنا.. بص يا صحبى.. إنت طول عمرك بتحب هيام.. ولا إنت ناسى لما كنت بتيجى تعيط أيام الكلية لما ماكنتش بتعبرك.. وكنت غضبان



وكسرتلى الفازة بتاعت تيته اللى بسببك جالها السكر؟؟ هاها ها.. إنت عارف ياض الفازة دى كانت بكام؟ ما علينا.. ورَّمتلى دماغى، كل مرة كانت بتحصل معاك مشكلة معاها تيجى تشتكيلى كإنى أمها مش عارف ليه! كنت أقولك إتقل على الرز.. إتقل يا اهبل.. وكنت لما تشوفها وتيجى تلعب معانا.. ألاقى نظره معينه بتعبر عن الحب الخفى.. اللى بيؤدى لمزاج عالى الجودة يخليك تطرقعلنا واحد واحد.. ومش فارق معاك أى حاجة.. تعرف كام مرة لاقيتك زعلان وبدارى؟.. كانت بيبقى منها..أنا حفظتك.. أى مشكله تانيه جانبيه كانت بالنسبالك مشكله عاديه إنت عمرك ما حاجه زعلتك أد خصامها معاك.. وعمر ما واحده هتجبرك غيرها إنك تعمل رؤية الماضى إلا هيام.. فا فوكك وخش دغرى وأنا هصالحكم مع بعض كالعادة علشان ورايا شغل الصبح بدرى.

اشرأب بعنقه، في محاولة يائسة من كتم دموع تكاد تقصم حدقتها وتعبر لتغرق الغرفة بمن فيها..

هبطت دمعة على وجهه المتجهم ناظرًا إليه قائلًا:

ـ مش هينفع..

أدرك صلاح فى تلك اللحظة أن الوضع مستحيل ليعود كما كان مطلقًا.. ردَّد داخله أنه ربما أن يكونا قد انفصلا، أو تكون قد هاجرت عنوة وفارقت البلاد.. أو كانت.....!!

ـ هو حصل إيه يا بنى فهمنى؟

أطلق تلك الرصاصة التي أقحمت نفسها داخل مسلسل الغموض داخله منذ أن خطَّت قدماه داخل منزله:



ـ هيام... ماتت.

* * *

مرت الدقائق الخمس على صلاح بمزيج من المشاعر المختلطة المرتبكة، تخلى عن أهم جوانب من شخصيته الوصولية الانتهازية، طريقته القديمة، استغلال أصدقائه لأغراضه وهمومه فقط، كل هذا وضعه أسفل قدمه وهرسه كصرصور مزعج يود الآخرة! انتشل نفسه من ركام المصلحة الشخصية وهو يربت على صديقه فى حزن لا يصلح مطلقًا لشخصه، ولم يستطع فعل أكثر من هذا، على الأقل في هذا الوقت، فهو لم يستطع رغم حصوله على شهادة الدكتوراه في علم النفس، أن يعبر يومًا عما بداخله، فقد اعتاد دائمًا إخراج ما في جعبة بني آدم.. أكمل حسام بحزن وهو ينظر إلى الأسفل، وعيناه قد أُدميتا من كثرة كتم دموعه التي هي خليط من الأنين والعجز والضعف:

ـ إتسممت.

صمت لبضع ثوانٍ وشدَّ من رباط جأشه وأكمل:

ـ مكنتش جمبها يا صلاح.. إتصلت بيا ومكنتش برد.. كنت زعلان منها وعامل فيها مقموص.. كانت بتتصل تستنجد بيا.. ومكنتش جمبها.. أنا السبب.

ـ هاااااش هاششش.. إوعى تقول كده.. عمرك ما كنت هتقدر تعمل أي حاجة يا حسام.. ده قدر ومكتبولها إياك تعترض.. متلمش نفسك.. ده قدر ها..



ـ عايز أشوفها.. أرجوك يا صلاح.. نفسى أشوفها.. نفسى آخدها فى حضنى من تانى.

حاول ترميم ما فعله، وتقدير ما يمر به صديقه، وتلاشى الأمر برمَّته، فلا سبيل سوى وضعه على ذلك الجهاز مهما فعل.. فبتلك الفعلة وُضع أمام اللا خيار... أكمل بجدية:

ـ طيب ممكن تهدى شويه.. أنا حاسس بيك يا صحبى.. مينفعش تتحط على الجهاز وإنت متعصب..

ـ يعنى هو موجود؟

انتصب صلاح وذهب إلى ركنه بحزم خلف جدار. ضغط زرًّا كأزرار الإضاءة العادية، انكشفت خلالها غرفة صغيرة كالمخزن خلف الصالة، انتزع منها جهازًا أشبه بعلبة داخلها أسلاك كثيرة معقدة تسير بشكل حلزوني مبهر، أضاءت مصابيح من الداخل تتموج وقال بهدوء:

ـ مشكلة الجهاز ده إنه بيعيشك حياتك السابقه.. بكل تفاصيلها.. لكنك متقدرش تتحكم فى أى حاجه.. حتى الكلام.. بتسافر كمشاهد.. بعقلك المستقبلى بس.. لكن متقدرش تتحكم فى أدنى شيء.. علشان العشم بس.. أنا عدلت فى الاختراع كتير علشان يحس اللى هيسافر بواقعية كل شيء.. يعنى الرحلات هتشوفها كانها ثرى دى، زى أفلام السينما بالظبط، طلعت خبر إنو جهاز تنويم مغناطيسى يساعد المريض إنو ينسى أمراضه القديمه.. ويمحيها من الجذور.. لكن الحقيقه إن الجهاز ده بيخلى العقل فى حالة حادة الرؤية.. وإنو بيرجع معاه للزمن اللى يتمناه.. لمدة ساعة واحدة.

قال حسام وهو يمسح دموعه باهتمام:



ـ مش مهم عندي كل الكلام اللى قلتوا.. المهم عندي يا صلاح إنى أشوفها.

أكمل صلاح بلا مبالاة:

ـ كل حاجه عقلك كان مسجلها أو شافها.. حاجه كده عامله زى برنامج الميديا بلاير.. إنت فاهم كلامي ولّا لأ؟

ـ أشوفها بس!

نظر له صلاح طويلًا.. وهو يعلم أن صديقه مُصر كل الإصرار ولا سبيل من شرح أو طرق التمويه، سوف يضعه بالفراش، ويضع الجهاز على رأسه، ثم يقول له مثلما فعلها مسبقًا من أجل المال، ماذا تريد أن ترى، أو من أين نبدأ؟

كل هذا دون مقابل.. لأول مرة يفعل شيئًا دون أدنى مقابل، بالنسبة له كان مستحيلًا.. لكنه الاستثناء الوحيد.

لأنه صديق العمر.

أو لأنه يريد شيئًا آخر!

* * *



دوامات عميقة، قطرات ماء، رياح عاصفة،يطير كالسوبر مان متخطيًا الأمطار، شيء أشبه بغسيل السيارات بمحطة البنزين، يقع ثم يقف، يضرب ويضرب، يبتسم كثيرًا ويبكي أكثر، أشبه بشريط السينما يلتف ليرى ذلك الكم الهائل من الأخطاء المتكررة التي اقترفها في عدة أيام.. أتى صوت خفيف في الظلام يقول:

ـ أول مرة شوفتها!.

تتطاير الأمواج الهائجة وهدوء الحدائق، جميع تلك الأشياء يعشقها، قطرات الماء، الرياح العاصفة، الطيران، أمواج البحر، لذلك هو يعيش داخلها الآن، يعشق ذلك الهدوء المنبعث من الحدائق الخضراء التي تُنبت فى تلك اللحظات زهورًا وردية اللون، يفكر فى أمر ذلك الجهاز الرائع، لا يعلم صلاح حقيقة الجهاز! هل قام بالتجربة على نفسه من قبل؟! كلها أسئلة تترسم على هوامش الظلام، وتتفت مع تلك الصور المتكررة، عن الطفولة البائسة من لطم أمه على وفاة أبيه المسكين الذي تُوفي في حادث اليم، مشهد أبدًا لن ينمحي من مخيلته،يرقد على الفراش يحاول الحصول على الهواء داخل رئتيه ولم يفلح، ينظر إليه متوسلًا أن يفعل شيئًا ما، ولم يفعل! يغمض عينيه. قبل أن تأتي سكرات الموت، ويخرج لسانه ببطءٍ ويتنفس من فمه كما يظن. هكذا خرجت روحه فى تلك اللحظات. يقع



حسام أرضًا في تلك اللحظات، ما بين أرض الواقع وأرض الخيال ، لا يدري شيئًا سوى الحزن.. ولا يعلم أين هو! المنطقة خالية من البشر، يقع أمام طريق طويل، تنتصب المباني في صمت، خالية من الحياة، البكاء يظل يراوده.. تردَّد الصوت من مصدر مجهول يقول بهدوء انعش تلك المنطقة التى وقعت فيها بالحياة. كان يقول:

ـ «افتكر آخر لحظه كنت معاها.. وأول لحظه.. هى دى اللحظه اللى لازم تشوفها».

وكأنما هو منادٍ، يهتف من بعيد كي يقبع أهالي تلك المنطقة في منازلهم لا يغادرونها، لكنه يعلم أن تلك المنطقة لا تحيا سوى فى عقله فقط. وقف وهو يراقب الصمت والهدوء، ذهنه الآن صافٍ، يراقب كل ما حوله في هدوء، محلات قديمة كان يحفظها عن ظهر قلب، تلك المباني التي تؤدي إلى نهايتها إلى آخر شيءٍ يتذكره عقله.

ينتصب واقفًا، يرى مشهد أمه تسير معه نحو مدرسته السقيمة التي لا يعشقها مطلقًا رغم شغفه النهم بالتعلم!.. نعم هو فى المرحلة الثانية من العمر الدراسى.. kg2.. كان صغيرًا.. يحتاج إلى احتواء الأم الذي تلاشى مع هطول الأمطار.. يقف على عتبة ذلك الجمهور العريض في صرامة.. يشاهد كيف كان عمه يبتسم نصف ابتسامة..

هو الوحيد الذى لاحظها.. ذاب وجه عمه..

وحل محله زوجته بمنزلها، تُردد لطفل صغير:

ـ بقولك إيه.. الأكل على الأد.. تاكل ومتعزش زياده.. أنا عارفه إيه الهم ده!.



لا يعلم معاني فى تلك الدنيا مع اختفاء أبيه وأمه سوى نظرات اللوم لكل من معه. أصبح منعزلًا، يطير متجاوزًا أحلامه وطموحاته قبل أن تُدفن داخل دهاليز منزل عمه، يعمل هناك كعامل بسيط في مقهى بلدي، ليمتلك غرفة بسيطة، ويظفر بمنحة دراسية لا تحتاج سوى مبلغ محترم من المال، حيث بدأ من جديد سعيه للاحتكاك، بمستوى أعلى من البشر والباعة الجائلين، قد قرر، وفى ذلك الفندق. كان طموحه الجديد بدأ كعامل للغرف؛ حيث كان يستمع لثرثرة الزملاء المتوترة عن مريضٍ ما يحتاج لمسعف، يركض مسرعًا لنجدته. كان قد ابتلع مضغة وانحشرت داخل حلقه، وبحركات طبية دقيقة تعلمها على يد زوجة عمه التي كانت تعمل في مجال التمريض أخرج المضغة، هكذا أصبح صديقًا مقربًا لأحد أهم رجال الأعمال في جمهورية مصر العربية. لذلك ورغم صغر سنِّه، ورغم التحاقه بكلية علوم سياسية.. إلا أنه رفض وبشدة طلب رجل الأعمال أن يمنحه بعض الأموال يسيل لها اللعاب، رفض واكتفى فقط بصداقة ولده الوحيد ووظيفة في إحدى شركات البترول رغم عدم حصوله بعد على شهادته العليا، كان ولده يُدعى (صلاح) الملتحق آنذاك بكلية الطب تخصص علم نفس، كان يهتم بالاختراعات العجيبة. الأشخاص في حياته قلائل،هكذا استقرت أقدامه داخل المدرج. بالطبع مدرج الصف الثانى بالجامعة، حيث الفتاة الملائكية التي لا تنتبه لشيءٍ ألبتة، سوى لما يلقيه المحاضر، وتدون ملاحظاتها بكل هدوء، يشاهدها، قد تلاشى الضباب من حوله، واستقر عقله المستقبلي كضيف كريم.. يجلس ممسكًا بقلم.. ويلتفت لها. وتذرف عينه دمعة غيرت مجرى الأحداث.. وأحدثت طفرة غير متوقعة على ذلك الجهاز العجيب.. إنه ليس ضيفًا بالمرة، إنه يتحكم أو هكذا ما خيل إليه!



وذلك يُعدُّ تطورًا رهيبًا..

سوف يغير كل الأحداث.

* * *

تلمس ذلك الجاكت الجلدي غالي الثمن بني اللون، الذي ردَّد أحد الأصدقاء القدامى على مسامعه جملة مقيتة تعبر عن الشبع بعد الجوع. تحسَّس وجهه أكثر من مرة.. بدا له الأمر غريبًا.. لقد كان هنا منذ زمن.. أو كالبارحة طيلة الوقت في ذلك الركن ..المستقبل لا يرى!!.. لا وجود للمستقبل!.. وكأنه لم يغادره! وكأن المستقبل كان حلمًا، أضغاث أحلام، لا شيء أمامي سوى تلك اللحظات، بيده قلم أسود مزركش رسمت بحروف إنجليزية ماركة ذلك القلم الذي أعطاه له رجل الأعمال (قرني النجار)، نظر إلى تاريخ اليوم الذي دوَّنه منذ قليل، أو قبل ولوجه عبر عقله بالماضي، كل شيء حقيقي، الطلبة متراصون، منهم من يُدوِّن كلمات المحاضر، ومنهم من يمزح مع زميله، ومنهم مَنْ يواري نفسه عن أنظار الجميع، ويختلس عدة دقائق مع النوم، هو ذلك الجو الكئيب الذي لطالما كان يَملُّ من بعض أوقاته عندما كان لا ينصت لملل المحاضرة ويستمر بإلقاء المحاضرة إلى أن يموت وقت المحاضرة.. ولا يراعي شيئًا ألبتة ممن خلد للنوم، وممن ترك قلمه وجلس واضعًا يديه أمام صدره.. وينظر له بكل صرامة وهو يهدده بكل اللعنات الصامتة الخفية، التفت يمينًا ويسارًا، يتذكر كل شيءٍ بخصوص ذلك اليوم، لكنه لا يتذكره فعليًّا. شيء متناقض تمامًا! كان يراقبها، حتى ينتهي وقت تلك المحاضرة، ويذهب لها، كشاب مشاغب، يطرح عدة أسئلة،تجاوبه بالذهاب وتتركه، فتاة جديرة بالاحترام،



حبيبته الوحيدة، كانت قد احتلت مكان أمه التي لحقت بأبيه بفترة قصيرة من رحيله مفتقدًا كل السبل للحصول على الحنان إلى أن أتت هي، يلتفت يمينًا ويسارًا، يتساءل ويكاد عقله يعتصر من كثرة التساؤلات، طرح عقله أسئلة غامضة لا يدرك كنهها، أفكار تتطارح يمينًا ويسارًا، حتى كاد يُغشى عليه، يغمض عينيه حتى يدرك ماذا يدور داخل تلابيب عقله! أسئلة أطلقها عقله بمنتهى السرعة.

هل تلك الآلة نقلته بالفعل للماضي البعيد، هل بلغ عامه الثلاثين، هل كل ما حدث كان حلمًا؟

هل تزوجها، هل ما يحدث الآن واقع أم خيال، هل ذلك الاختراع العجيب حقيقي؟!!

عن أي اختراع يتحدث عقله؟!

هل أصيب بالخرف؟!

* * *

ـ «إنت يا اللى بتبص يمين وشمال انت».

صوت المحاضر يقول بغضب وهو ممسك بميك يلقى من خلاله المحاضرات، يمكنه فضح أى طالب مشاغب لا يروق له ويراه الجميع لجعله عبرة، موجهًا سؤاله بصرامة عدائية، ينظر إليه ليتأكد بأنه الشخص المنشود.. كثيرًا ما يحدث هذا داخل قاعات المحاضرات.

ـ أيوه انت يا ابو عيون خضره يا مسمسم.. قوم اقف.



وجد الجميع ينظرون إليه وكأنه أحد الكائنات التي تم صيدها بغابات الأمازون.. منتظرين أن يأتي ويتقدم إلى منصة الإعدام الكبيرة.. ويضع رأسه تحت المقصلة.. ويشهق الجميع عندما تسقط رأسه فى فزع!.. قال بكل احترام وهو يقف مصوبًا نظره إلى المحاضر:

ـ أيوه يا دكتور.

ـ بتبص يمين وشمال ليه؟ أنا كنت بقول إيه؟

لا بد أن يستعيد كل شيء الآن، لقد حصل على علامة امتياز فى تلك المادة، لا بد له أن يقوم بالجواب. ينظر إلى تلك الشاشة العريضة المتصله بجهاز صغير يقوم بالكتابة على سطحه.. وتظهر الكلمات بارزة على الشاشة الكبيرة.. يتحدث موضوع المحاضرة..

لا يوجد موضوع عام..

يظهر على الشاشة..

إذا كان الفراغ الدستوري غير مؤكد، فإن الفراغ السياسي لا شك فيه!!!

ـ حضرتك كنت بتقول نظرًا للفراغ السياسي الذي تعيشه مصر، نظن أنه من الأوفق أن تبحث الأمة من الآن على من يقوم بهذه التبعة، ولحين انتهاء فترة الرئيس مبارك الرابعة.. ونظن أنه من الأنسب أن تتبنى القوى السياسية والشعبية خلال الفترة القادمة مطلبًا وحيدًا يتركز في الدعوة لتغيير المادة رقم (٧٦) بالدستور بأن يكون انتخاب رئيس الجمهورية انتخابًا حرًّا مباشرًا بين أكثر من مرشح.. وإعادة المادة رقم (٧٧) لأصلها الأول بأن يجوز إعادة انتخاب رئيس الجمهورية مدة واحدة أخرى، وهي المادة التي عدلها الرئيس السادات في استفتاء ٢٢ مايو سنة ١٩٨٠.. وكذا تغيير المادة



(٧٨) بأن تبدأ الإجراءات الخاصة بانتخاب رئيس الجمهورية قبل انتهاء مدة رئيس الجمهورية بستة شهور بدلًا من ستين يومًا.

ينظرون له وكأن على رؤوسهم الطير! حتى هي، لقد دوَّنت كلمات المحاضر ولم تحفظ أرقام أو تواريخ ما ذكره الآن على سبيل أنها سوف تعيد فتح الدفاتر عندما تعود لمنزلها وتقوم بمراجعة ما تفوَّه به دكتور المحاضرة. تنظر إلى دفترها، وتجد ما قاله صحيح بنسبة تتخطى المائة بالمائة، حتى المحاضر! كان قد صمت بعد قوله، فهو يعتاد مثل هؤلاء الطلبة الذي ينتقيهم ليقوم بشنقهم أمام أنفسهم وأمام الجميع، بترديد ما كان يقوله. هو كان يدرك أن ذلك الطالب تشتت ذهنه.. وقد راقبه جيدًا، حتى يتم اصطياده فى وقت تقليب الصفحات، ليلفت انتباه الطلبة على قدر ذكائه فى اكتشاف غباء الآخرين، لذا لم يجد سوى كلمة واحدة، فلا يوجد عقاب لذلك الطالب:

ـ اتفضل اقعد، متبصش تانى وتعمل فيها عيل تايه فى محاضرتى.. مفهوم؟

لم يجتذب حتى ضحكات خافتة من الطلبة مثلما كان يعتاد. كان حسام في ذلك الوقت،قد حسم أمر وجوده في ذلك الزمن، وقت انتهاء المحاضرة، لم يفلح في إخفاء دموع طفرت تدلف عبر مقلتيه وهو ينظر إليها ، لا تهتم حتى بخروج الطلبة، إنما جلست تدون ملاحظاتها.. ولينفجر ذلك العالم، وليمت من يموت، فلن تترك قلمها ولا دفترها وكأنها تقوم بعملية استئصال الزائدة الدودية لمريض مقرب لها، خطا إليها محاولًا إخفاء مشاعره محاولًا كتمان رغبته في ضمِّها من جديد محاولًا تجاوز أنها كانت زوجته يومًا ما ، لا بد أن ينسى أنه يومًا كان يضمها في أحضانه لا بد إذا كان يريد الاستمرار فى رؤيتها، فلا بد أن يصير عاقلًا ، على الأقل فى تلك اللحظات.. لا بد



ولا فرار. حاول أن يكون صوته هادئًا لا يشوبه نبرة بكاء التي صعدت فجأة عندما نطق وقال:

ـ حد قاعد هنا؟

تنظر إليه بكل جدية قائلة بآلية حادة:

ـ لا مفيش ،بس يستحسن تشوف مكان تانى.

كان ردها متوقعًا ، لذلك تقدم نحو مقعد خلفها تمامًا.. جلس خلفها.. وترك لدموع الاندهاش العنان.. هو الآن بجوارها.. وذلك يكفيه.. حتى لم يعنه تلك الفتيات اللائي ينظرْنَ من خلفه.. واحدة تقول هامسة لصديقتها.. (إلحقى بصى ده بيعيط). لم يبالِ بذلك الشاب الذى كان يصعد درجات سلم المدرج ويحني حاجبه فى عجب.. قائلًا بكل سخرية:

ـ يا عينى على الرجالة!

كان ينظر إلى قسمات ظهرها الذي يحفظ كل ركن به، يودُّ أن يحتويها من جديد ولا يستطيع، يتألم ويتضرع جسده بأن يترك ذلك المكان، ولكن قلبه يأبى. لذلك أمسك قلمه، وارتفع صوته حتى يصل إليها هى فقط:

ـ أعرف واحده.. حنينه.. عمرها ماكرهت حد.. ذنبها الوحيد إنها وهى صغيره كانت بتاكل الشوكولاته.. واتزحلقت وهى بتجبها من الثلاجه.. صوبعها انكسر.. ومن ساعتها كرهت الشوكولاته.. بس أنا حببتها فيها من تانى.

انتصب رأسها فى دهشة، وقد توقف قلمها عن تدوين بعض ملاحظات المحاضرة الأخيرة.. وقد أنصتت لأول مرة لكلمات ذلك الشاب الذى



منعته منذ قليل من الجلوس جوارها.. ودون قصد متعمد استمعت لكلماته وهى تعطيه الكثير من اللامبالاة:

ـ يوم وفاة باباها.. أخدت دبدوبها الصغير.. آخر هدية كان باباها جابهالها فى حضنها.. ومسابتوش لحد أولى ثانوى.. و..

فجأة نظرت إليه بكل صرامة واعتراض، ولم تجد كلمة مناسبة تطرحها على ذلك الغريب الذي يعلم أحداثًا لا يعلمها سواها هي وأمها فقط! وأمها كانت من النوع الكتوم الذي لو أمسكها أحد اللصوص وهددها بالقتل بالرشاش الآلي لن تنطق أين يكمن برطمان السكر، فلا يعقل أن تحدث شخصًا غريبًا عن أدقِّ أسرارها!.. لا أحد يعلم أسرارها حتى الزميلات المقربات. كانت صحبتها قليلة.. تنظر إليه بغرابة مدهوشة.. أو مصعوقة!.. تتساءل بعينيها العسليتين اللتين تتسعان كلما شاهدت خبرًا عجيبًا!

ولا تدرك كم يتسع جمالها كلما نظرت متسائلة بوجهها الخمري! حقًّا لا تجد ما تطرحه، فلم تعتد سؤال الغرباء!..

وفي تلك اللحظة كان ينظر إليها بكل حب.. فنادرًا ما تصادف أحدًا فارق الحياة.. وتعد له بالماضى.. لتراه من جديد!

* * *

ـ (إنت ازاى عرفت الحاجات دى؟!!).

لا ينطق.. ينظر إليها وقد التهم وجهها التهامًا من كثرة الاشتياق، كررت كلماتها مجددًا:



ـ (للمرة الأخيرة.. بقولك عرفت الحاجات دي عنى ازاي؟!).

ـ صدفة.

ـ أفندم؟!

ـ بكتب قصة.. وبحب اتكلم بصوت عالي.. حتى بصي.

أظهر دفتره، وقد تراصت تلك الكلمات فوق أسطره الأولى، كان ينظر إلى شغفها وهى تتمسك بذلك الدفتر الذي كان موضوعًا جواره، وقد دوَّن حديثه السابق في سطوره الأولى،ثم أسرع يقول:

ـ إسمى حسام محمد على.. عضو هيئة اتحاد الطلبة ورئيس القصة القصيرة فى اتحاد (امتدحني.. واهجنى).

لا يدري كيف تراصت كلماته الدقيقة التي قد تناساها منذ أزمان!.. يبدو ما حدَّثه عنه صلاح كان صحيحًا.. مسافرًا لا يتحكم بشيء مطلقًا.. ويبدو أن ذلك الموقف قد حدث بالماضي لكنه لا يذكره.. إنه لا يتحكم إذن بشيء ألبتة، ولكن.. آلاف الأسئلة تكاد تشج رأسه نصفين، نظرت إلى وجهه متسائلة، تبحث في دفتر عقلها أين شاهدته من قبل! هل حدثت يومًا نفسها بشأن ماضيها وأنصت ذلك الوغد؟!... أشاحت بوجهها مبتعدة عنه بتجاهل متعمد.. متسائلة كيف علم بأمرها! وهنا ارتطم رأسه أمامها مغشيًّا عليه.. ذلك لأن (صلاح) قد قام بسحب شيء قطع الطاقة عن ذلك الجهاز الذى كان موضوعًا برأسه.. فذهبت وذهب كل شيء.

* * *



أحضر أدوات الإفاقة اللازمة، وضع محقنه داخل أحد العروق الزرقاء بوريد حسام، الذي كان يهم بفراقها.. ويسقط في دوامات زرقاء متخطيًا طفولته وترك أمه له بالغرفة وحيدًا، يتلمس الأشياء السوداء، يتخيل وحوشًا تهم بالتهامه. كان يصرخ، ثم فتح عينيه أمام صديقه، ينظر إليه وقد سقطت دمعة قهرًا معاتبة.

لم يفلح في إخفائها.

* * *





العودة إلى الماضى...





ـ «(شوفتها)»..؟.

يواري وجهه من ذلك الصديق الذي لم يمهله دقائق لرؤيتها، يتحدث معها، يتأمل وجهها الأملس، يردد بداخله بويلات الانتقام من ذلك الحقير عندما ردَّد:

ـ (شوفت إيه؟.. إحكيلى).

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يبوح بهدوء يشوبه نبرات حزينة:

ـ شريط حياتى شوفته قدام عينى.. كل اللى مريت بيه في حياتي شوفته في لحظات...

ـ سيبك.. المهم شوفتها؟ كلمتها؟

ينظر بغضب هادر نحوه وكأنه يهم بلكمه:

ـ وحضرتك فصلت الجهاز وسحبتنى من جمبها يا....

كان يتفحص الجهاز مليًّا وهو يلقي الأسئلة.. أكمل بشغف:

ـ قولي إيه أول إحساس حسيته لما لاقيتها؟

ـ حسيت إنى بتحكم.



اتسعت عينا الأخير في انبهار، واختطف الجهاز وأسرع داخل الغرفة، مغلقًا الباب خلفه في غموض وريبة. في تلك اللحظات لم يعلم حسام شيئًا، بل ولم يستعد بعد كامل طاقاته، وما دار بخلده الآن، ذلك الشك الخفي الذى عبث داخل سرابيل وجدانه تجاه صديقه.

* * *

أربع سويعات كاملة، كان يشعر خلالها أنه كائن منزوع الإرادة، هش، لا جدوى من تحريك اليدين ،كل شيء يثبت أنه مادي اختفى.. شعور باختراق السيوف للأضلع والأذرع من كل صوب فى جسده. بماذا حقنه ذلك الوغد لا يدري؟! لماذا هنالك أشياء تتحرك وتذهب هناك؟! خلف ذلك الباب الذي أغلقه صلاح منذ قليل أو منذ بضع ساعات، هناك أشياء غير مفهومة تتراكم كبناء الهرم الأكبر! إنه بالعقل يرى بناء الهرم الأكبر.. كيف تم بناء ذلك الهيكل بشكل هندسي متقن، كيف كانت أطواهم فارعة وهم يضعون حجر الأساس لأبي الهول! يرى فأرين يجرَّان جثة قطة مهشمة، يبدو أنهم سوف يعلنون نصرهم على أحد ثوار القطط! كل شيء يبدأ وينتهي إلى داخل الغرفة التي دخلها منذ دقائق.. فقد إحساسه بالزمن.. ردد تساؤلات بغيضة لا جواب لها عن الأسباب التي دفعته للموت داخل غرفة ذلك الشخص.. هل يموت فعلًا؟! هل فقد الأمل؟! أمسك رأسه بقوة. خُيِّل إليه أن باب غرفة صلاح يُفتح ويخرج حاملًا أملًا..الدوار يحيطه كدوامات الغبار الموسمية.

حاول الوقوف ولم يفلح..

ينظر إلى يده..

لا ليست تلك يده!

يبدو أن الدوار يطيح بكل شيء أمامه!

دقات القلب تنخفض رويدًا رويدًا.. لا بد أن يستسلم، لا بد أن يلملم أوراقه من تلك الحياة ليذهب إلى هناك.

سقط أرضًا على أنفه بقسوة، والغريب أنه لم يشعر بأى ألم أو يصدر صوتًا سوى اصطدام جسده أرضًا.

خُيِّل إليه أنه يراها!

لذلك ذهب إلى هناك حيث طريق اللاوعي!

* * *

ـ (إنت يا عم اصحى!).

همَّ بقول تلك الجملة وهو يقذف بكوب الماء المثلج على وجه حسام في توتر بالغ، هبَّ من مرقده فجأة كأنه نجا من الغرق.. يحاول التقاط أنفاسه بصعوبة بالغة.. نظر إلى صلاح فى رهبة، وقال بنبرة كأنه أحدهم يكتم على صدره:

ـ إيه اللى حصل.. أنا فين؟

ـ (مافيش يا مصيبه، جيتلى حضرتك وعيطت زى العيال عايز تشوف مراتك).

أمسك رأسه مجددًا وكأنه يحاول أن يتذكر، قائلًا بنبرة متألمة:

ـ أنا عملت كده؟!



ـ ده إنت كنت طينه خالص يا جدع.. لولا إنك مالكش فى المخدرات كنت افتكرتك ضارب حاجه.. قوم بقى الساعة داخله على سته الصبح شوف وراك إيه.

نظر إليه وكأنه لأول مرة يراه وقال بلهفة:

ـ أنا تقريبًا مش فاكر أى حاجه.. هو أنا إيه اللى جابنى عندك؟

بنبرة صارمة أجابه في ضيق:

ـ جيت تعيط على موت مراتك وإنك مش عارف تعيش من غيرها.. بس هو ده يا عاطفي.

كان صلاح يتفحصه بكل إمعان وهو يقف ويمسك بهاتفه النقال، فقال بكل براءة خالية من أى اصطناع:

ـ أنا آسف يا صحبى لو تقلت عليك.. بس أنا بجد مش فاكر أى حاجه حتى...

ـ حتى إيه؟

ـ مفيش خلاص أنا عايز أروح.. شكرًا ياصحبى تعبتك معايا.

وهمَّ بفتح باب شقة الأخير قبل أن يهتف صلاح:

ـ إنت نسيت قصتك؟!

نظر إليه بكل براءة وكأنه لم يقترب من سنِّ البلوغ بعد:

ـ قصة إيه؟!

حمل بعض الأوراق واتجه إليه بكل تعاطف مصطنع:



ـ كنت بتكتب فيها من امبارح.

أمسك بالأوراق، راقب عنوانها بحذر.. ذلك العنوان الذي يقول (حب يتحدى الزمن). نظر إليه مرة أخرى بدهشة وكأنه أول مرة يرى صديقه:

ـ أنا كتبتها؟!

ـ أحلفلك؟

ـ لا خلاص شكرًا يا صحبى آسف مرة تانيه على الإزعاج.

أعطاه نظرة لا مبالاة وهو يغلق الباب بقلة ذوق.. ولم ينتبه إلى ذلك الجار الذى كان يقطن أمامه مباشرة أمام نافذة الصالة التي كان يجلس على أريكتها الأخير.

* * *

بكل غرابة استعاد حسام نشاطه عبر خرير الماء المثلج وكوب القهوة الساخن، أمسك الأوراق التي كان عنوانها..

من يكتب قصة ساذجة مثل تلك.. كيف كتبها؟!

قصة تحكى عن سفر أحدهم لرؤية حبيبته فى الماضي! لقد تذكر تلك القصة، لقد رآها في أفلام الغرب يومًا ما، عن آلة الزمن، ومحاولة البطل إنقاذ حبيبته من الموت فى الماضي، لقد ولدت تلك القصة داخل مشاعر خفية مبهمة، تطالبه لفعل شيء يجهله ولا يدرى كنهه، آخر ورقة بالأحداث تقول من مذكرات مقطوعة الطرف الآخر ولا يدري مذكرات من وأين! لا يتذكر أين ومتى خط سطورها! رغم أن ذلك الأسلوب أسلوبه، كل



حرف يخصه، يمتلك تلك الحروف.. لكن حقيقة لا يذكر أين ومتى! يبدو أن حالات فقدان الذاكرة قد عاودته من جديد. لم يتعاطَ أدوية علاج (الزهايمر) رغم أن عمره لم يتجاوز الثامنة والعشرين بعد! نعم.. أثر ذلك الحادث الأليم الذي أودى بحياة أحد الأفراد الهامة بحياته الكئيبة. هناك شيء مفقود، هناك أسئلة تترنح في كل جنبات غرفته.. هناك شخص ما يفتقده، هناك حنين غامض لشخص مجهول كان هاهنا منذ زمن ليس ببعيد!! داعب عنقه وهو ينظر إلى جنبات صالة منزله في توتر، كثيرًا ما يفعل ذلك الأمر كلما راوده أمرٌ غريبٌ، يراقب الصمت.. يقف فى ضيق.. يذهب إلى تلك الغرفة الجانبية، هناك شخص ما كان يحبه، كان هنا، يفتح بكل غضب دولاب غرفته، يردد كثيرًا بداخله عن ماذا الذي يترك له أثر ذكريات أليمة، ذكريات زوجته الحبيبة! ملابس أنثوية. كانت هنا امرأة، يلوح بالملابس.. يبعد عنه ملابسها الرقيقة، يبعثر فى الملابس أكثر وأكثر. كل شيء يستعيده الآن.. ذكريات تتحرك من هنا وهناك تلهب مشاعره من جديد، لمساتها، لمساته، حديثها، حبها ورحيقها المختلط بعطر الياسمين، كل شيء يستعيده، تسترسل بداخله جميع أحداث الماضي عدا أحداث بعينها. أماكن مهجورة.. الماضي عبارة عن خرائب منهارة تتساقط حوله كالذباب المصعوق. المشاهد تنهار من حوله.. تردد كلمات مجهولة بالإفاقة من الغيبوبة.. «استعد كل شيء الآن وإلا فقدته إلى الأبد». هل يمكن استعادة الماضي؟! يحطم كل شيء أمامه كان موضوعًا بعناية أثر آخر تنظيم لها قبل أن تفارق الحياة: بارفان، ممشط الشعر الذى كان ينسدل على شعيراتها بنعومة وعناية، كل شيء يؤكد وجودها يومًا ما في تلك الغرفة. ذهب إلى المنضدة حيث ترك تلك القصة، إنه لم يكن كاتب تلك القصة إطلاقًا، بل كانت هي. ذهب مرة أخرى إلى غرفة النوم حيث فتح الأدراج مجددًا،



حيث عثر على دفترها المسكين، انتزع منه تلك الأوراق، لماذا إذن قال له ذلك الوغد إنه من كان يكتب تلك القصة؟! لماذا أقنعه؟ الدوار يحوطه، يشعر بالحمى، يمسك برأسه، يسقط أرضًا، وبعد سقوط الأخير أرضًا لم يكن يعلم أنه وفي تلك الأثناء كان ذلك الجار العجوز الذى يقطن جوار صلاح يطرق باب الأخير قائلًا:

ـ افتح البااااااااااااااااااااااااب.. مش سامع.. افتح بدل مطلبلك البوليس.

لم يعطه سوى الصمت.. تزداد خبطاته على الباب أكثر وأكثر ونبرته تتعالى:

ـ إفتح يا حيواااااااااااااااااااااااااااااااااااااان.

كان قد انتابه اليأس، فيذهب ويراقب عبر فتحات العين، ينتظر خروج صلاح. ولم يخرج..حتى ظن بموت من في الغرفة.. يتأكد من وجوده عبر خطوات بطيئة خبيثة.. يرسل إليه صبيًّا عبر طرقات خفيفة.. ولم يعطِ بادرة فتح الباب.. كان يعلم كل شيء عن أسباب زيارات ذلك المسكين المدعو (حسام) ويصمت ويقول كلمة يرددها جميع المصريين (وانا مالي). صرخ شيء داخله يدعى «الضمير الحي» بمنع ما يحدث.. لن يصمت بعد الآن. لا بد أن يعلم الجميع حقيقة ذلك الشخص.. لا بد.

* * *

كان الوقت أوشك على الحادية عشرة مساءً، حيث كان (حسام) نائمًا على فراشه في غرفة منهارة، لا تحمل أي أثر لنظام قديم.. حتى فراشه كان وجبة لصور قديمة لحبيبته، وزجاج العطور المحطمة، حتى أنك لو اقتربت لاختنقت من كثرة الروائح المنتشرة التي أصحبت في وضع حميمي



مع الفراش.. يفتح عينيه بصعوبة، وتكاسل شيء ما يضغط على جفنيه ليعود إلى النوم، لكنه قام كالمخمور يحاول التمسك بجدار ما يقع هنا، يقف مرة أخرى.. يضع يديه تحت الصنبور، كانتا ترتعشان، ورؤيته غير واضحة، صداع يشج ويقسم رأسه نصفين، نبتت بذور العرق وانتهت وجفت على مسام جلد رأسه، وأصبحت كحبات الملح الصغيرة، هكذا علم من أين يأتي ذلك الصداع الرهيب، وكيف تدور الأحداث داخل جمجمته، يتمسك بشيء ما دقيق لا يعلم كنهه! لم يكن يعلم شيئًا سوى وضع القليل من حبيبات السكاكر، ماذا نسي داخل تلك الفوهة الصغيرة التي وضع خلالها مسحوق اللبن فاتح اللون؟! كل شيء معد على ـ ما يعتقد ـ لإعداد كوب ساخن كى يجرع المزيد من قوة التركيز، غبار هنا وهناك لا يرى شيئًا!.. أصابه الوهن، أوصاله تصرخ، يبدو شاحبًا كالأموات، مصفر السحنة، لا يدري حقًّا ما يراه بتلك المرآة! هل هو صحيح أم هذيان؟! المهم بالنسبة له الآن أنه يتنفس، إنه لا يزال على قيد الحياة.. ودونها.. هي.. أين هي؟! شريان حياته الوحيد قُطع.. كل يوم فى غيابها تُستنزف روحه، الأيام تصرخ كالأطفال.. أيامه تطالب برؤيتها.. لو غاص معها تحت التراب فقط لارتاحت روحه.. خطر على باله شيء يمكنه من خلاله أن يعاود رؤيتها.. اختراع صديقه القديم للتنويم المغناطيسى، تستطيع روحه رؤيتها من جديد..

اختراع ما كان لدى صديقه القديم، يجعلك تذهب إلى الماضي لرؤيته، إذن هو الحل!

سوف يجري مكالمة هاتفية.

وسوف يهرع إليه فورًا.

* * *



طرق (حسام) الباب..

باب صلاح صديقه..

الملجأ الأخير لرؤيتها..

قد ملَّ من قراءة قصاصاتها الحية (مذكراتها)! التى تكتبها كروائية محترفة، لامَ نفسه كثيرًا أنه لم يشجعها يومًا على خوض ذلك الغمار. لا مفرَّ من رؤيتها مجددًا عبر بوابات عقله، بوابات رؤية الماضي الحي، عبر بوابة ذلك الوغد، الذي ينتمي لفصيلة الزواحف اللئيمة التي تنتمي إلى مصلحتها فقط ولْيذهب العالم إلى الجحيم! لا بد أن يدلف داخل الغرفة، بأي ثمن، يد تمسك ذراعه، رجل طاعن في السن يتعرَّى رأسه بصلعة كسيراميك غالي الثمن، حتى شاربه المتآكل المشتعل شيبًا، ينظر له دون حق بصرامة وتعاطف لا مثيل لهما، كيف اجتمعت وانصبت داخل عيني كأبٍ يخشى أن يمرح ولده بالخارج! قال:

ـ رايح تعمل إيه معاه يا بنى؟

ينظر إليه حسام نظرات شخص مصاب بمرض لا يجعله ينام أصيب جفناه بسواد عارم كأنه لم يذق طعم النوم لمدة طويلة. يغتاظ من الرجل العجوز ولا يظهر، رجل طاعن في السن ونصائحه التي لا تنتهي، بالتأكيد سوف يعطيه نصيحة يسيرة للابتعاد عن صديقه. لم يعطه إجابة، بل أعطاه الفرصة ليقول:

ـ يا بنى اللى بيعملو فيك حرام!

قال حسام بنفاد صبرٍ:



ـ إنت عايز منى إيه دلوقتى يا عم الحاج؟

قال بصرامة يشوبها الشفقة تعجب لها الأخير:

ـ إنت مبتبصش لنفسك فى المرايه يابنى؟.. مشفتش جرالك إيه؟!.. سيبو بقى، وروح بيتك يا بنى.

قطب حاجبيه فى غضب الشباب، وقال بصرامة:

ـ خليك فى حالك لو سمحت!

كتم العجوز كلماته داخل فمه حرصًا على شيبته وضياع عمره أمامه. شعور بالحسرة اجتاحه، لكنه لن يستسلم، فقد اعتاد على احترام الصغير للكبير، فلم يعتد في حياته كلها أن يحرجه الذين هم في سن أبنائه. يبحث عن جملة مناسبة يطرحها ولم يجد. راقب المسكين الذي أمسك رأسه وكأنه يشعر بصداع كبير يقصم جمجمته فيجعله يغلق عينيه في ألم، لذلك نظر إليه فى تعاطف وقال:

ـ أنا خايف عليك بس يا بنى.. الولد اللى جوه دى بـ....

قطع حديثهما صلاح وهو يفتح باب شقته ناظرًا إلى العجوز بلا مبالاة ممسكًا بذراع حسام يسحبه للداخل قائلًا بكل برودٍ إلى الكهل:

ـ إبقى خليك في حالك زى ما قالك، وابعد عنى أحسنلك!

وأغلق الباب تاركًا العجوز مذهولًا لما حدث ولما سوف يحدث في كل الحالات. لن يصمت، سوف يفعل شيئًا لمنع اكتمال تلك الكارثة.

* * *



ما يزال الهدوء يعم تلك الغرفة المستديرة، ذات الأريكة الحمراء الناعمة التي جلس بأحضانها (حسام) الذي ما يزال يمسك بجمجمته قائلًا في ألم موجهًا حديثه لصلاح الذي كان أمام (اللاب توب) يكتشف ما قيل اليوم عن صورته بالمسبح وآراء الفتيات، لم ينتبه:

ـ معاك أسبرين فلورست أو بنادول؟

لم ينظر له صلاح بالمرة قائلًا بلا مبالاة:

ـ عندك فى الدرج الشمال.

هبَّ حسام ببطءٍ يقف مترنحًا حتى كاد أن يقع. وصل إلى درج المكتب كالمخمور، فتح أول الأدراج، أزاح من أمامه عدة أوراق متراكمة فوق بعضها البعض، لم يكن من عاداته الفضول مثلما كان يفعل (صلاح) عندما كانا ملتحقين بتلك الكلية، عندما كان يكشف للفتيات عيبًا من عيوبه غير مراعٍ بالمرة مشاعره، كان يعتقد نفسه متسامحًا مع الآخرين لدرجة أنه قد سامح (صلاح) في سرعة فور الاعتذار. أزاح ورقة، لم يلحظ تلك الكلمة التي بها تصريح خروج من مصحة نفسية للمريض.... يعامل معاملة الأطفال.... أزاح تلك الورقة التي لا تعنيه كثيرًا، واتسعت عيناه فرحًا عندما وجد ذلك الشريط، الذي سوف يضع حدًّا للصداع. أمسك بشريط الأقراص. وضع بفمه قرصًا يسمح لكون الماء بعبورها داخل أمعائه.. قال دون أن ينظر إلى (صلاح):

ـ صحبى أنا عايزك فى موضوع محدش غيرك ممكن يعملهولى.

لم يُعرْه أى انتباه أو رد وهو يكتب حروفًا عبر (الكى بورد) لفتاة يوهمها بأنه واقع من قمة رأسه لأظافر قدميه بأنه يحبها ويربطها بحبه، لمدة يمكنها



أن تصل إلى ثمانية أشهر كاملة، ولن تنساه بعدها أبدًا، لذلك يريدها أن تثبت له حبها بأن تأتي إلى غرفته لممارسة الجنس الخالي من أي شهوات، جنس عفيف، جنس الاشتياق فقط، لإثبات حبها وتثبت له أنها رخيصة، وتكون حجة للفراق فيما بعد، وبعدها لا تصلح أن تكون زوجته بعدما أسلمت له نفسها طوعًا وعن رضا تام. وخوفًا من غضبه، يعلم جيدًا كم كانت رخيصة! أي فتاة بالنسبة له رخيصة!، لن يعطيها ذلك الشيء الذي تحتاجه وبشدة الاهتمام، بل يحتاج منها الثقة، أن تجعله يثق من جديد أنه رجل جاذب للفتيات، وحينما تفعل سيرميها مثلما يرمى كيس الحلوى الفارغ، سوف يتركها؛ لأن العلاقة مدمرة قبل أن تبدأ، هو يدركها، أما زوجته المستقبلية فستكون مختلفة، وكأنها أتت عبر النجوم، واخترقت السماء، نظيفة نقية له وحده، أما الباقيات... المهم هو الآن يريد أن يعلقها به فقط، وبعدها فلتندثر الأرض بأكملها، فذلك لا يعنيه. نظر (حسام) ببراءة إلى شاشة (اللاب توب):

ـ هو انت لسة بتعلق البنات؟

ـ ملكش فيه.

ـ يا بنى قلتلك اللى بتعملوا فى البنات ده هيتعمل فى...

ـ مليش اخوات.. وأمى ميتة.. ومبفكرش فى الجواز.. فكك واقعد قعتدك... سبنى فى حال أمى بقى!

ـ يا بنى أنا بقولك حاجة جايز تنفعك.. البنات دول ميستحقوش كل اللى بتعملو فيهم البنت بتبقى عايزه احتواء بس مش أكتر.. تجبرها ليه تتكلم فى الجنس وتضغط على نقطة ضعفها؟ يا بنى حرام عليك متخليش



شهوتك تعميك.. البنت بتنفذ اللى إنت عايزو علشان مش متخيلة الحياة من غير حيوان زيك.. متخيلتش مره إن اللى بتكلمها هتبقى أم لحد غيرك ويصونها وهى كدبت عليه علشان عارفة إنو لو عرف هيسبها زى ما الحيوان سابها...

نظر إليه بكل اشمئزاز قائلًا بنفاد صبر:

- محدش ضربها على إيدها علشان تعمل اللى بقولو.. واحترم نفسك، إنت هضيعلى الدماغ اللى عملها بدماغ أمك دى.

قال وهو يضغط على أسنانه بغضب ممسكًا بيد صلاح قبل أن تُدشن حروف ملساء لإحداهن:

- وفى الآخر تسبها زى غيرها وغيرها.. بطل تلعب ببنات الناس يا بنى الـ...

نفض يده التى كان ممسكًا به منذ ثوانٍ قائلًا:

- سيب إيدى.. لو مسكتها تانى هتزعل.

نظر صوب عينيه مباشرةً.. نظرة لم يرها (صلاح) من قبل تعني أنه يوشك على الإطاحة به، نظرة تعني الشر ولا شيء غيره، تحطم شيء ما بالغرفة.. لذلك درس الموقف جيدًا، ابتسم في سخرية قبل أن تتغير الأحداث قائلًا:

- إهدى يا عم إنت مالك كده شحنت البطاريات ليه مره واحده كده؟.. البنت دى زى اختى و..........

وقد حدث ما يخشاه، فقد أطاح بوجه صديقه تاركًا (اللاب) يصطدم بالحائط وتتحطم شاشته. صلاح فقد الوعي، فلا يمكن له أن يصمد بعدما



اختفت السِّنان السفليتان من أسنانه.

* * *

مشط الغرفة بأكملها بحثًا عن ذلك الجهاز أسفل المكتب، دولاب ملابس الصديق اللعين أسفل الفراش، لم يجد شيئًا ألبتة، ربما يظن أن ذلك الزر الخفي خلف جدار، ربما لو ضغط ذلك الزر كأزرار الإضاءة العادية فقد تنكشف تلك الغرفة الخفية! انكشفت خلالها غرفة صغيرة كالمخزن خلف الصالة. قد يتمسك بذلك الجهاز وينظر إليه نظرة جنونية، ليس في حاجة لصديقه القذر. تدرب فيما مضى على يد أصدقائه برغم من أنه كان ينبغي أن يجد ملاحظة، دائمًا يراقب مؤشرات ذلك الجهاز. ليس هامًّا طالما سار في ذلك الشارع المظلم، ويذهب إلى منزله لإحضار شنطة بها كل ملابسه، كل المتعلقات، يجب ألا يجده ذلك اللعين، يجب أن يفر إليها. وفي ذلك الفندق المتواضع جهز كل شيء لعبور بوابات الماضي، يعلم أنه من الخطر الولوج دون مراقب. من قال إنه يود العودة؟!..إنه انتحار دائم. تخلَّى عن الحاضر، مثلما فعل صاحب تلك الرواية القصيرة. ما عليه الآن سوى حقن نفسه بجرعة لا بأس بها من مخدر أشبه بجرعة من البنج. ثبت على رأسه الجاهز الدائري، أعد مؤشرات البحث الذاتي. لا يوجد ألم، ربما يفيق بعد يوم أو اثنين.. شهر.. سنين، لا يهم، لن يعثر عليها أحد على الأقل، سوف يرحل إليها. فقط لاحظ قبل أن يغلق عينيه أن يده تتغير ملامحها قبل خوض تلك الرحلة، فقط نفس الرحلة ذاتها.. ذلك العالم ولكن دون صلاح.

* * *



فى الوقت الحالي...

حاول (صلاح) أن يساعد العجوز في إسناد رأسه إلى تلك الوسادة الصغيرة خلف ظهره، فقام بإعطاء أمر للممرضة بإعطائه أكثر من واحدة لجعل ظهره ينتصب، ويستطيع العجوز إسناد رأسه، وما إن اعتدل ببطء، ونظر إلى صلاح إلا قال له بجدية:

ـ قولى.. الدكتور ما قالكش هخرج إمتى؟

يتطلع إليه (صلاح) بكل توتر، ثم قال بعد تفكير دقيق:

ـ لسه ميعرفش.. حالتك مش مستقره.

ـ تمام.. كححححح كح كح،إدينى الدوا اللى بيخفف الكحة اللى عندك فى الدرج الشمال.

أسرع صلاح يحضره له بكل اهتمام، ثم أعطاه له وهو يراقبه بحذر، ثم تركه يقول:

ـ عملت التجربه على كام واحد؟

لا يزال (صلاح) ينظر إليه بحالة غريبة من الخوف والفضول معًا، وكأنه في أحد السجون يستوجب عليه قول الحقيقة ولا شيء سواها! ثم قال بتوتر:

ـ على أكتر من شخص، حوالى كده ثلاثة أشخاص، والأخير معرفش خطف الجهاز ومشى ومعرفش عنه أى حاجه.

ـ مين يعنى؟



ـ واحد كان معايا زمان فى الكلية وبعد ما مسحتلو الذاكرة، علشان ميعانيش من هلاوس، وينسى هو كان جايلى ليه أصلًا، سبتلو ورقة في بيتهم، عبارة عن قصة قصيرة بتعيد ليه شغف قديم فبيرجعلى مره تانيه وبعيد عليه نفس التجربة وأعيد تعديل الجهاز، بس المرة الأخيرة، حصلت حاجه مغايره قلبت الأحداث كلها، خطف الجهاز ومشى، ومن ساعتها قلبت الدنيا عليه وملقتهوش بعدها.

قال العجوز بضيق:

ـ عارف مسح الذاكرة ممكن يسبب إيه لأى شخص؟ وبعدين؟ ولسه عندك نسخ من الجهاز ده؟

ـ عملت ليه أكتر من نسخه مطوره، النسخه اللى قبل الأخيره هى رحله للرجوع للماضى، وهو قادر يتحكم فى الأحداث، بس الجهاز اللى معايا دلوقتى مغاير لكل الأحداث. وفى طفرات كبيرة مش مسموح لى أقولهالك.

ـ الحذر لا يمنع القدر يا بنى!

ـ يعنى إيه؟

ثم أخرج من الدرج الذي كان على يمينه ألبومات صور قديمة، ولكنها ليست بالقدم المعروف كالأبيض والأسود، صور تعود إلى عام ٢٠٠٠، وأعطاها لصلاح ثم قال له بكل هدوء وبساطة معهودة موروثة عن الأم:

ـ بص فى الصور دى وقولى مين فيهم تعرفو؟

قلَّب ألبوم الصور وحدًا تلو الآخر، وهو يقول باهتمام:



ـ أعرفهم كلهم.

ـ لا مفهمتنيش، مين فيهم اللى عملت عليهم التجربة بتاعتك؟

ـ يمكن ٤ منهم.

ـ والأخير كان فى وسطهم.

أغلق ألبوم الصور وهو لا يزال يتحلَّى بقدر هائل من الغموض، وهو لا يزال يتفرَّس بملامح العجوز. وهو الآن يتذكر كيف هرب رفيقه القديم وتركه ينبش الأرض نحوه.

لم يترك شيئًا إلا وبحث فيه عن ظلِّه.

ـ «أيوه فيهم».

* * *

في الماضي...

بفعل ذلك الجهاز، طار كيان (حسام) يسبح في الأفق داخل السحب المتراكمة البيضاء، يشاهد أسراب الحمام وهو ينطلق ويتناغم مع الريح والهواء، هبط أرضًا ولا تزال الأرض تمطر، والجبال تهتز وهنالك صوت يأتي من خلفها، السماء أظلمت ستائرها، وهزيم رعد السماء يهز القلوب، ذكريات من هنا وهناك تأتي كالأشخاص السائرين في تلك المنطقة، ذكريات طفولته ولهوه، والسماء لا تزال مظلمة، ولم تمر ثوانٍ حتى أشرقت الشمس مجدَّدًا، كانت تختبئ ولم تلبث أن أشاعت الضوء في كل مكان، الخضرة تنتشر بالأرض وكأنها ولدت البارحة، مياه الأنهار تنهمر برفق على بحيرة



صغيرة لا يدري متى امتلأت! فها هو يسير ويرى كل الأشياء تُقتلع من أماكنها برفق، ويحتلها مكان بسرعة الصوت! إلى أن ظهرت هي، وعبر سور حديقة الجامعة الشهيرة، حيث كان على وشك الاقتراب منها وهو يتحسَّس وجهه ولا تزال يده تنهب جسده ليتأكد أنه استقر في تلك الحقبة الزمنية التي عاشها بالماضي، كانت تبتسم جوار صديقتيها، كلما اقترب منها لا تعيره أدنى انتباه. قلبه يرتعش، وبنفس الوقت يرقص طربًا، ها هو أمامها أخيرًا ولن يتحكم به رفيقه (صلاح)، يدرك أنه عائد إلى الماضي لا يتوهم، يحتفظ بذاكرته المستقبلية، ولا يزال يقترب منها، كانت برفقة زملائها، يبدو أنه رآها أول مرة صدفة ولم ينتبه، تذكر عقله الباطن تلك الذكرى التي لا يذكرها هو، كانت تبدو طفلة وهى لم تبلغ سن ١٩عامًا بعد، تضحك مع رفيقاتها بنعومة، كانت تخفي في ذلك العمر أحداثًا بحياتها، تجارب عديدة بالمنزل، حيث رمتها أمها في أكناف الأب المدمن للكحوليات وشرب السجائر المسكرة والمذهبة للعقل، حيث لم يرحمها وهى لم تبلغ عامها الثاني عشر. لم تلبث أن هربت إلى أمها التي كانت بالفعل تزوجت من آخر، وتركته هو الآخر وذهبت بعيدًا جدًّا عن منازل الماضي؛ حيث اعتنت ببنتها الوحيدة والتي صبَّت جُلَّ اهتمامها في التعليم والنجاح فقط!

تحاشت كلمات البشر التي تترامى يمينًا ويسارًا عن تربيتها في أحضان أنثى و.. و.. و...

رمت كل هذا خلف ظهرها كي تعيش سنها الصغيرة في أحضان تلك الكلية وحيث تدرس ما تحب، وهو يأتي إليها بعد محاولات من والدها كي تعود إليه، وترفض وتظل ملتصقة بذراع الأم التي لن تتركها، جاء



إليها ولا يدري ماذا يقول، يكفيه فقط أنه رآها حية ولا يزال وجهها يحمر باحمرار الحياة...! جاء وتقدم والجميع رآها، وتعجب من ذلك الأمر، قد وقف أمامها مباشرة، ووجهه مصاب بالتجهم والحيرة! قالت بلكنة جدية:

ـ مالك فيه حاجه؟

ـ ممكن أكلمك على انفراد؟

تتعصب إحدى زميلاتها قائلة:

ـ روح شوف انت جاى منين.

قالت الأخرى:

ـ عايز إيه يا كابتن؟

قال بشيء من الحيرة وهو لا يزال يتطلع إليها:

ـ هى حاجه واحده بس عايز أقولها.. ممكن؟

قالت الأخرى:

ـ لأ، قول هنا لو سمحت، هي مش هتقوم تكلم واحد غريب. لو سمحت..

كانت (هيام) تتفرَّسه بملامح مندهشة، لم تنطق، تركت زميلاتها تتحدث بالنيابة عنها، ثم قالت وهى تقف:

ـ مش هنبعد يا جماعه هنمشى قدامكوا.

قالت إحدى زميلاتها:



ـ خليكى هنا قدامنا..اقعدوا هناك كده قدامنا.. ماشى؟

يقول في ذات نفسه، شيء ما يُعصِّبنى في تلك اللحظات، كيف تترك لصديقتها التحكم بها! أعلم أن شخصيتها قوية إلى الحد الذى تستطيع قيادتها واحدة تلو الأخرى، لكني أنهيت تساؤلاتي التي تنهي سر تلك الهمهمات الجانبية وأنا أسمع ردَّها الآن. قالت (هيام) وهى تبتسم وتنظر إلى صديقتها:

ـ متخفوش هنكون هناك كده قدامكوا.

وقفت (هيام)، وهو يسير معها إلى آخر الممر، وجلسا بالفعل، أمامهن على بعد ثلاثة أمتار، جلسا وهي تنظر إليه بفضول قائلة:

ـ ها.. عايز إيه؟

نظرت إليها، ولم ألتفت إلى تعبير وجهي الذي امتلأ بقدر كافٍ من الإعجاب، لقد أحنت حاجبيها حين تغضب:

ـ هو انت جاى عايزنى في إيه، وبتبصلى كده ليه؟

يقول فى همس داخله بنبرات لا يسمعها احد سواه، أحدِّث نفسى ولا أكف. أقول شيئًا غريبًا مختلطًا، وكأني غمست رأسي في قالب به ماء مثلج، ولا أستطيع التنفس، ولا أستطيع إخراج رأسي وأنا أراني أحملها إلى مثواها الأخير، وأعود بالزمن كي أراها خلسة، وتتساءل عمَّا أريده منها! لحظاتي أمامها لا تساوي عدد سويعات وأيام وسنين، وهبت نفسى لرؤيتها، كثيرًا ما سألت نفسي هل يستحق الحب كل ما فعلته من أجلها؟! أضحي بالـ...

ـ هتقول ولَّا امشى؟



قال بحذر:

ـ لو قلت هتصدقينى؟!

ـ إنت أصلًا مقلتش حاجة علشان أصدقها.

ـ اللى هقولوا ده صعب يتصدق لكنه واقع.

ـ قول وأنا هحاول أصدقك.

لايزال يتطلع نحوها بفضول ويردد داخله (نفس جملتها، لم تتغير كثيرًا، أسلوبها، طباعها، لم تتغير أبدًا، نظرت إلى عيونها الواسعة، وإلى شعرها المنسدل أمامها، وإلى حقيبتها، إلى... وأعلم أنها لا تمتلك غيرها في ذلك الوقت،اتطلع الى زميلاتها اللاتي يجاورنها، واللاتي يتهامسْنَ وهن الآن يراقبْنَنَا في انتظار أن تحدث ردة فعل منها حتى يهرعن ليأتين لإنقاذها مني. قلت في هدوء وأنا أتطلع إلى عيونها المتسائلة):

ـ هقولك حاجه بسيطة جدًّا، وعايزك تركزى معايا، هى عبارة عن حكاية، واحد حب واحدة واتجوزوا وهى فارقتو.. فى اختراع بيرجعو للماضى فى هيئته للماضى، بعقل واحد مشتاق لحبيبته اللى فارقته..

قاطعته متسائلة:

ـ فارقته ازاى؟ ماتت مثلًا، أو راحت لغيرو؟

ـ فارقته وخلاص، وهى واحشاه، فراح لأقرب شخص يقدر يرجعو للزمن القديم اللى كانت موجوده فيه معاه..

ـ هعيد بردو السؤال التانى.. هعيد السؤال للمره التانيه... ماتت ولَّا راحت لغيرو؟؟؟



ـ مش المفروض أقول، بقول معدتش موجوده معاه يا هيام.

بنفس أسلوبها المتسائل فى أعمق المواقف ولا تكف أبدًا، تعاود ردَّ السؤال باستخفاف شديد.. ثم قالت:

ـ وحضرتك جاى تفهمنى إنك عقل المستقبل فى جسد الماضى... ههههههههههه.

ثم وقفت بصرامة وذهبت إلى رفيقاتها، حيث كانت قالت لهن ما قلت لها. لم يلبثن أن ضحكن جميعًا.

أما أنا، الغبي الوحيد في ذلك المكان، فقد كان جُلُّ ما يهمني أنها حية. وقصته سوف تعاود الكرة من جديد.. ولكن بطريقة أخرى، لكنه لا يعلم ـ أو لا يدرك ـ أن وجوده في الزمن يهدده في المستقبل البعيد.

* * *

في الوقت الحاضر..

تطلع العجوز إلى (صلاح) المرتبك، الذي كان واقفًا متوترًا تلك المرة وهو ينظر إلى النافذة متحاشيًا النظر إلى العجوز..

«التجربة اللى عملتها كانت مع واحده ست، كان عندها ٣٠ سنة، مطلقة، لما حطيت الجهاز على راسها وبدأت الرحلة وإديتها الحقنة المنومة وشغلت الجهاز وأمرتها تروح لأكتر لحظات كانت معاه، مع حبيبها أقصد، لاحظت عليها علامات الرضا فى الأول، ثم علامات العبوس والحزن، لما رجعتها للماضى كان مع أول حبيب ليها، اختارت أجمل اللحظات،



فلاحظت عليها الـ...

قاطعته الممرضة وهى تطرق الباب، ودون السماح لها بالدخول، فتحت الباب بهدوء، وكانت طرقاتها بلا معنى، دخلت فورًا حاملةً طعامًا للعجوز عبر سيارات الطعام المعروفة داخل المستشفيات، رصَصْتُ الطعام للعجوز قائلًا:

ـ بقينا أحسن، هبتدى أعاكسك بقى.

تبسَّم العجوز لها قائلًا:

ـ لو كنت فى سنك كنت اتجوزتك.

ـ هههههههه وأنا أطول يا حاج؟ يديك طولة العمر.. لازم تاكل الأكل ده كله... اتفقنا؟

أعطاها ابتسامة تحمل الأسى ووجه مفعم بالصبر، راقبها (صلاح) وهى تُعد الطعام، وما إن غادرت حتى أعطى العجوز الإذن باستكمال حديثه الذي قال ـ بعدما أخذ شهيقًا طويلًا وكأنه يمتصُّ الهواء بأكمله داخل الحجرة ـ:

ـ لاقيت على الست دى علامات تدل إن عمرها زاد، ومش بس زاد، الشيب انتشر فى شعرها بسرعة، ولكنى كنت واثق إنها أول ما جت مكنش فيه نقطة تدل إن فيها شعره واحده بيضاه، بس اللى اتضح ليها، لما راقبتها وعيونها من تحت اتملت تجاعيد، ابتدت الحياة تروح منها. سحبت الجهاز منها بسرعة، وحضرت حقنة الإفاقة، ودسيته فى عروقها، وأول ما فاقت..

دسَّ العجوز قطعة الجبن داخل الخبز، وقضمها في نهم عجيب.. ثم قال:



ـ كمل كلامك..

ـ صرخت أول ما شوفت شكلها! كنت المفروض أعملها تنويم مغناطيسى أنسيها جزئية مهمة، صراخ وعويل الجيران، افتكروا بتحرش بيها، خصوصًا إن كلهم عارفينها من الأول، لأنها جارتى، وكانت أول واحده من الجيران أقولها سر اختراعى ووافقت تخضع ليه، الكل اتهمنى إنى اتحرشت بيها ووو.. إنما بعد كده وبعد شويه محاضر فى الشرطة، رجعت بيتى تانى لإن ملقوش حاجه يتهمونى بيها، شوفتها مره أو مرتين مش فاكر، تانى مرة شوفتها فيها كانت عبوسة مكشرة، بعدما فقدت أعز ما تملك عمرها، وأنا مكنتش أعرف، صدقنى، لما راحت المستشفى وأجروا عليها بعض التحليلات، اكتشفوا إن عمرها الطبي هو الأربعين مش التلاتين.

ـ الموضوع ده مخلكش تبعد عن الاختراع ده طالما عرفت مدى خطورته؟

يصمت صلاح.. ثم أتى إلى العجوز وكأنه يستنجده أن يسامحه:

ـ صدقنى مكنتش عايز، بس واحد جالى صحى فيا حلم كان مات من ساعة الواقعه بتاعت الست دى، لاقيتو قادر يضحى بكل حاجة فى سبيل إنه بس يشوفها.

ـ صحى ولا صحيتو بنفسك؟

صمت العجوز وهو يحضر النظارة الطبية من أمامه بصوته الرخيم الحازم:

ـ يضحى بإيه بقى؟.. يشوف الإنسانة اللى حبها ويضحى بسنين عمره من غير ما يعرف؟

قال صلاح بتوتر:



- «كل ساعة هناك فى الماضى، بعشر سنين من عمره الحالى».

- يعنى هو كان عارف إنو بيضحى بعمره فى سبيل لحظات؟!

- مش عارف!!

نظر إليه العجوز بنظرات غاضبة لأول مرة.. وكانت إجابته لم تشفِ شغفه لمعرفة الأسباب. كانت نظرات (صلاح) ممتلئة بخوف عجيب وغير مبرر.. وهو ينظر إلى العجوز ويتأمل ملامحه جيدًا، الذي قال:

- لأ كان عارف..

* * *

كتب ورقة صغيرة، بها أحداث دقيقة، كانت قد أخبرته في المستقبل عنها، وأكدت له أنه لا أحد يعلم ذلك السر سواها، ولمن سيكون زوجها فقط، سوف تخبره بجميع أسرارها، صديقاتها مهما بلغت درجة حبها لهن، لن تصرح لهن بأسرارها... اقترب منها، والجميع متحفز له، لقد اقترب من يدها وأعطاها الورقة، ثم ذهب إلى حيث كانا جالسين معًا. فرَدَت تلك الورقة، لقد صُعقت!.. وضعت يديها على فِيها، ونظرت إليه بنظرات تجمع بين الخائفة والمذهولة في آنٍ واحد! لقد حاولت إحداهن خطف الورقة، لكنها تمسكت بها جيدًا، وقد تركتهن وتركت المكان بأكمله وذهبت، أما هو فقد رسم ابتسامة النصر على شفتيه، وجلس في انتظار عودتها، وكله ثقة بأنها سوف تأتي، وتتحدث معه من جديد، لقد أقنعها، وقد صدقت، وهو الآن في انتظار عودتها. ولكن ماذا عنها هي، هل ستأتي إليه أم سوف؟...

* * *



- «إيه اللى يخليك تجيلى من المستقبل؟!».

يتطلع إليها بكل حنان، يود الإمساك بيدها ولكنه أدرك أنها بالماضي، لا يمكن أن يحدث ذلك بعد طمع، لن تسمح له بفعل كل ما يدور في باله، لم يرد، إنما تركها تتحدث:

- لو حد من صحابى عرفوا إحنا بنتكلم فى إيه هيقولوا عليا مجنونة إنى صدقت أكيد، بس السر اللى إنت قلتو محدش ومستحيل حد يعرفوا غير مع شخص حبيته، إنت إيه اللى جابك؟.. إنت من ساعة مجتلك وإنت منطقتش كلمه واحده... جاوبنى طيب.. إيه اللى رجعك للماضى؟ هل أنا فعلا سيبتك؟!

- يعنى اقتنعتى إنى جايلك من المستقبل؟

تنظر إلى عينيه، تغوص داخلهما، تستشف فطرتها في كشف كذب البشر، ثم تقول:

- أيوه مصدقاك.

لا ينطق ولا يجيب، إنما يتطلع إليها في صمت، وشفتاه تنحني بابتسامة حقيقية نسيها منذ زمن، منذ رحيلها عن عالمه ودفنت معها إلى الأبد.. «من فضلك جاوب على أسئلتى لو سمحت».. يُحرك شفتيه أخيرًا قائلًا:

- عايزه تعرفى إيه؟

تتطَّلع نحوه بمزيد من الحيرة ثم قالت:

- إيه اللى رجعك للماضى؟! متقوليش جاى علشان تشوفنى، لو كنت موجودة فعلًا فى المستقبل مكنتش رجعت للماضى.. صح؟



ذكية، استنتج عقلها الأمر فى سرعة دون أن ينطق.. يحبها، ويذوب في حبها، ويسير كمجرى الدماء داخل الأوردة التي تسير في كل قطعة بجسده، ثم قال ـ بخفوت ـ:

ـ هيااااام...(تذرف عيناه دمعة حارة عند نطق اسمها، كان يعلم أنه لن يقولها إلا أمام قبرها وحيدةً، وفعلها عدة مرات ولم يستمع لأى إجابة)، بلاش تستنتجي أى حاجه لسه مقلتهاش.. ممكن؟

أسرعت تلتقط بتلقائية من حقيبتها قطعة من المنديل، وأعطاها إياه.. ثم قالت ـ بخفوت ولانت معالم وجهها بتعاطف ـ وهى تقول:

ـ طب بتعيط ليه؟

تتطلع إليه في تلك اللحظات بحنان رهيب، تخيل حينها (حسام) أنها استدعت ذاكرة المستقبل وحلَّ محل الماضي مثلما فعل هو.. لم يلبث أن قال بكل هدوء:

ـ بصى.. كل اللى أقدر أقولهولك إنى هفضل يوم واحد معاكى.. وبلاش أسئلة عن القدر واللى هيحصلك فى المستقبل، أنا عارف إنك لما تحبى ومن كل قلبك بتتمنى الراحة للحبيب، كل اللى أقدر أقولهولك إننا كنا اتحدينا كل الدنيا علشان نفضل مع بعض، اتحدينا ووقفنا جمب بعض، محدش فينا قدر يتخلى عن التانى، وده سبب حبى الكبير ليكى، كنت فى حياتك أب وأخ وحبيب وزوج، كنت كل اللى تتمنيه واللى حلمتى بيه و...

قاطعته بحزم:

ـ طيب يلا بينا من هنا.



ـ هنروح فين؟

ـ أكتر مكان كان بيجمعنا سوا.. لو عجبنى فعلاً وحسيتو وارتحلتو، يبقى فعلًا كلامك كلو حقيقى.

ينظر اليها كالمصعوق قائلًا:

ـ هو إنتى لسه بتشكى فى كلامى؟!

ـ يلا بينا..

* * *

في الزمن الحالي.. رمقه العجوز وهو مسترق السمع جيدًا إلى صلاح الذي كان ارتبك بالفعل ولا يدري ماذا يقول في تلك الأوقات العصيبة!.. ثم قال:

ـ الجروب كلو بتاع الشلة عارف عيوب الجهاز ده إيه.

ـ بس مقلتش إن صحبك اللى خطف الجهاز يعرف الموضوع ده.

ـ بقولك الجروب كلو عارف عيوب الجهاز، ازاى مكنش يعرف؟

ابتلع العجوز برشامة كانت موضوعة بعناية أمامه، وتجرع جرعة ماء، بعدما استقرت البرشامة داخل فمه، وضع الزجاجة أمامه:

ـ كمل وبعدين إيه اللى حصل؟

ـ كانت فرصة لتحسين أداء الآلة من جديد، جايز أعراض الشيخوخة اللى بتظهر على الحالات تنتهي، خصوصًا إن فى أول تجربة مكنش لسه



ظهرت عليه أى علامات مخيفه زى ما حصل للست، كان في شعره أو اتنين ظهرو على دماغو، بس محصلش على وشو أى تغيير.

ـ التجربه كانت عليه كانت مدتها قد إيه؟

ـ حوالى تقريبًا ١٥ دقيقه.

ـ والست كانت ساعه كامله..

صمت صلاح وهو يبتلع ريقه، لم يلبث أن اختطف تلك الزجاجة التي جرع منها العجوز وأفرغها داخل فمه بكل توتر.. ثم وضعها، أو حاول أن يضعها، لكنها نفرت منه ووقعت أرضًا، أحضرها سريعًا، والعجوز يراقبه بدقة دون أن يعلق.. جلس (صلاح) وهو يحاول التقاط أنفاسه..:

ـ أرجوك مش عايز حد يعرف الموضوع ده، أنا مسبتش حته غير لما دورت فيها عليه، صدقنى أنا لفيت الجمهورية بحالها، حتى رحت بيت عيلته الكبير اللى في المريوطية، دورت فى الأماكن اللى ممكن يتواجد فيها وملقتهوش، أيوه كان عارف، وعارف كمان خطورة إنه يحط الجهاز على راسه من غير متابع، كان عارف إنها رحلة الرجوع ومفيهاش عودة للماضي ولا حتى للحاضر.

أحنى العجوز حاجبيه في تأثر واضح بالأمر. ما قاله (صلاح) أحزنه بالفعل، وكأنه لا يدري شيئًا بالمرة، لكنه يعلم بالأمر كله:

ـ صحابك اللى ساعدوك فى الاختراع ده سافروا بره وسابهولك، متعرفش ليه؟

بكل كيانه شرد وقال كالممسوس:



ـ لا، كل اللى أعرفوا إنهم يأسوا لما البلد رفضت الاختراع، أو منعوه من دخول لجنة الاختراعات الكبرى اللى كانت منظماها الجمهورية بس.. وسافروا وسابولى الجهاز.

ـ أنا أقولك السر فى تفرقة الكل.. قولى، محدش فيهم جرب الجهاز على نفسه قبل كده؟..

فجأة، وكأن العجوز أضاء فكرة كانت مختفية عن حيز تفكيره!.. لماذا لم يطرح ذلك السؤال على نفسه وهو مشارك فى صنع الجهاز؟! إثر دراسته لمناهج (أينشتاين) المعروفة عن تحرك الزمن، ولوحات لـ(سلفادور دالي)(*).. تلك اللوحة التي تعرض لمجموعة من الساعات النائمة والخاملة وارتباطها بنظريات (أينشتاين) تركت أثرًا كبيرًا في نفوس أصدقائه المبتعدين عن أرض الوطن، وقاموا بعدة تجارب إثبات السفر عبر الزمن والمكان، إلى أن توصلوا إلى إمكان السفر عبر عقل الماضي، وأثبتوا بكل الطرق أن الإنسان يستطيع السفر عبر الزمان والمكان ولكن بعقله فقط. انتبه بكل كيانه لمعرفة السر الحقيقي لسفر الرفقاء إلى الخارج.. قال له العجوز بكل بساطة:

ـ واحد من زمايلك هو اللى اقترح الموضوع ده.. صح؟

ـ مظبوط.

ـ حمسكوا فى الأول، وكل واحد شارك فى حاجه.. وبالليل بعد ما الجهاز

(*) إصرار الذاكرة أو ثبات الذاكرة (١٩٣١) أو هي اللوحة الأكثر شهرة لسلفادور دالي، هذه اللوحة يظهر فيها عدد من الساعات التي تشير إلى الوقت، وهي تبدو مرتخية وفي حالة مائعة، وتعرف اللوحة أيضًا باسم لوحة الزمن، اتصال الذاكرة، الساعات اللينة، الساعات المتساقطة، والساعات الذائبة، وفيها موقف نسبي من الزمن فيما يشبه نظرية ألبرت أينشتاين.



اتحضر خلاص، قام بالتجربة على نفسه، وحقن نفسه بجرعة زيادة من مخدر ميزدش عن ربع ساعة نوم، قام بتوجيه نفسه، عبر الجهاز الكهرومغناطيسى، اعتمادًا على قطار أينشتاين(*) اللى كل واحد ضاف لمسته فيه، فراح لنقطة بعيده جدًّا، بس المشكلة إنه مكبرش ولا زاد عمره، لإنك لما بترجع للماضى والمشاهدة بس مبيحصلش أى تغيير جسدى، لكنك أضفت حاجة تخليه يغير شىء فى الماضي، ولكن مهما حاول، مش هيعرف يغير شىء، كل شيء مقدر ومكتوب، مهما حاولت تغيير الماضى، مستحيل يتغير، حتى لو اختلف الأشخاص المسافرين بالرحلة للماضى، فى حاجة هتعطلهم وتخليهم مش قادرين يقولو أى حاجة غير اللى مكتوب، واللى هيحاول، هيضر بنفسه.

(*) نفرض أن «قطار أينشتاين» لا يسير في خط مستقيم وإنما في مسار دائري بحيث يعود بعد دورة كاملة إلى النقطة التي بدأ منها الرحلة. فكما رأينا، سيكتشف المسافر في القطار أن ساعته تؤخر، ويزيد هذا التأخير بزيادة سرعة القطار. فإذا زادت سرعة قطار أينشتاين في مساره الدائري، نصل إلى حالة تمضي فيها سنوات طويلة على ناظر المحطة، في حين لا تمر على المسافر سوى - أو ربما - ساعة واحدة. فإذا عاد المسافر من رحلته - طبقًا لساعته - إلى المكان الذي بدأ منه الرحلة سيكتشف أن جميع أصدقائه وناظر المحطة قد توفوا بسبب كبر سنِّهم. ألا يتعارض هذا مع مبدأ النسبية؟ هل يمكننا اعتبار المسافر في حالة سكون والمحطة هي التي تقوم برحلة دائرية بنفس سرعة قطار أينشتاين؟ هذا الفرض ربما يصل بنا إلى إمكانية مرور يوم واحد على الناس في المحطة بينما تمضي على راكب القطار أعوام طويلة، لكن هذا الافتراض غير سليم وتعليل ذلك كالآتي: وضحنا من قبل أن اعتبار جسم في حالة سكون ينطبق فقط على أجسام لا تقع تحت تأثير قوى خارجية. ففي الحقيقة، فإن الساعة الموجودة في قطار أينشتاين تقع تحت تأثير القوة المركزية الطاردة، وبذلك لا يحق لنا اعتبارها في حالة سكون، ففي هذه الحالة يكون الفرق الزمني بين قراءة ساعة المحطة الساكنة وقراءة الساعة الموجودة في القطار فارقًا مطلقًا من حيث المبدأ يمكننا القيام برحلة دائرية بسرعة تقارب سرعة الضوء وافتراض تحقيق «الآلة الزمنية». فنكتشف عند عودتنا إلى النقطة التي بدأنا منها الرحلة بأننا قد قمنا برحلة إلى المستقبل. وفي الحقيقة يمكننا السفر بتلك الآلة إلى المستقبل فقط ولا يمكننا السفر بها إلى الماضي (بعكس ما يأتي في بعض الأفلام الخيالية المسلية).



ـ مقلتليش مين اللى قام بالرحله؟

ينظر إليه بنظرات ثاقبة، تعنى ألا تعلم من قام بالرحلة؟

ـ شخص كان صديقك جه وحكالى الموضوع.

ـ يعنى مش إنت؟

وهنا تغيرت نظرات العجوز تلك المرة! وتذكر شيئًا بالماضي، وتذكر كيف حاول غيره بالماضي، وما آل إليه الأمر بأكمله.

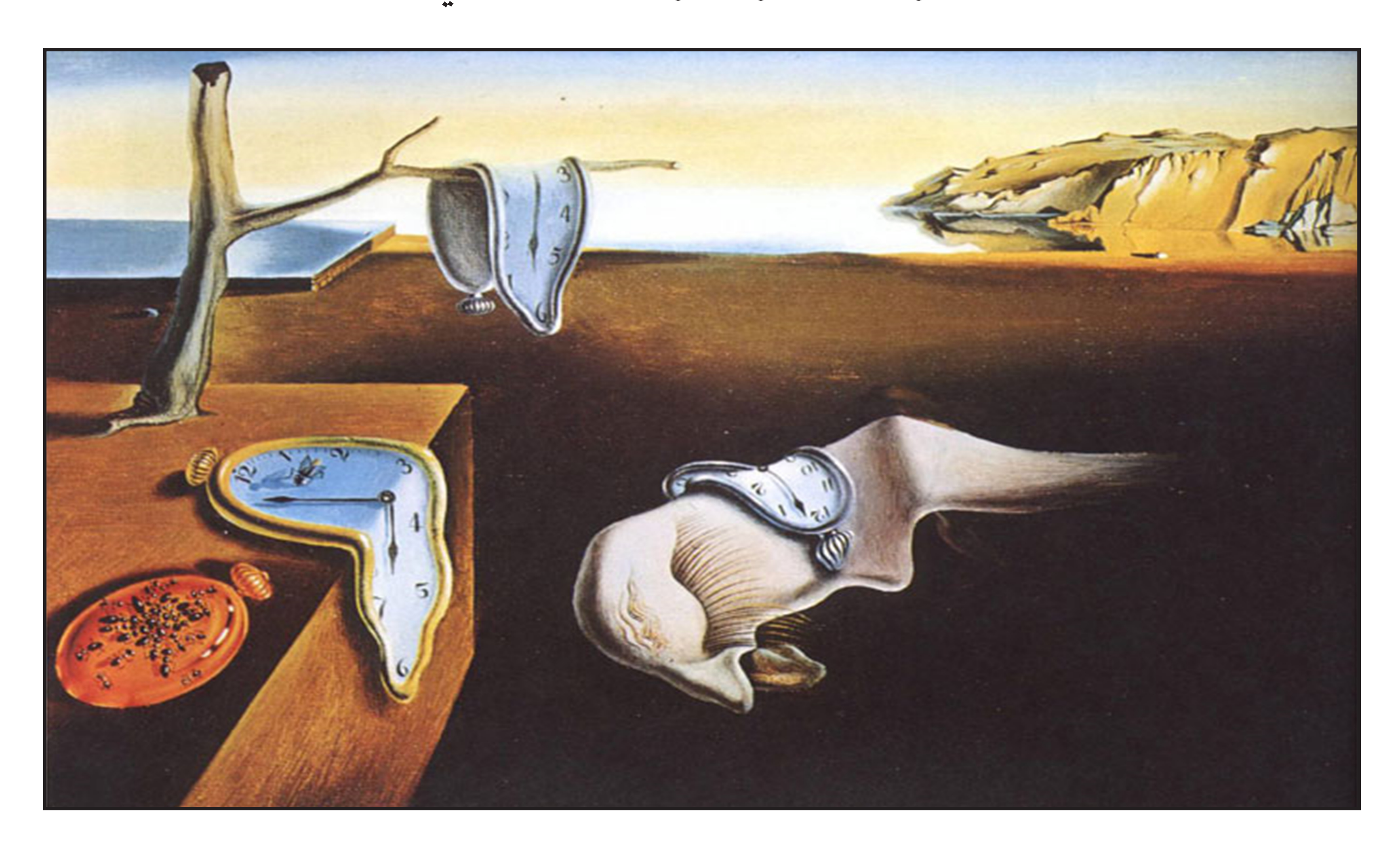
قال العجوز:

ـ لو عرفت أنا مين عقلك مش هيبقى فى مكانه!... «ركز فى وشى أكتر هتعرفنى».

وهنا صُعق صلاح بالفعل! كانت تراوده شكوك ولكنها ثبتت بالفعل.. شخص آخر، شخص يعرفه جيدًا!



اللوحة الأكثر شهرة لسلفادوردالي





في الماضي..

قال حسام ـ بخفوت هادئ ـ:

ـ هو ده المكان.

كان كورنيش النيل، على جناحه الأيسر، وقفا، وجدا شيئًا غير طبيعي بالمرة.. وجدا قلبًا مخترقًا، مؤخرة سهمه تحمل حرفي الـ H، H.. اندهشت هيام قائلة:

ـ مين اللى كاتب الكلام ده؟

ـ وأنا ايش عرفنى؟ مجرد صدفة، ومتنسيش إنك اللى اخترتى تروحي المكان ده مش أنا.

قالت وهى تحاول الالتصاق بالسور كالأطفال أكثر:

ـ المكان ده مريح فعلًا، رحنااااه كتير.

تطلع إليها وكأنه يطبع لصورتها وإلى ذلك المكان صورة، يطبعها في ذاكرته التي لن ينساها. قال لها بصوت واهن:

ـ كنت بحب المكان ده، واتعودنا نشوف بعض فيه.

ـ حصل موقف معين بينا هنا؟ موقف مثلًا ميتنسيش؟

ـ شايفه الجنينه اللى هناك دى، اللى تحت النيل؟ جبنا أكل فراخ وأكل وسلطات، وزى عوايدك حنينه، المرة دى حنيتى على قط فضحنا، راح نده لكل القطط صحابه، لحد ما كان كل الجنينه (الكابلز) انتبهوا لينا، وراقبونا واحنا عمالين نمشى القطط الكتير. طبعا أنا مكلتش ولا إنتى هههههه، ده يوم ميتنسيش!



لم تضحك، إنما أعطته ابتسامة تحمل الكثير من الأسئلة، قالت ـ ولا تزال تردد جملتها الشهيرة ـ:

ـ إيه اللى رجعك للماضى؟

ـ إنتى مبتزهقيش؟

ـ هو ده السؤال اللى محيرنى، قصتك متتصدقش لكنك عملت حاجه أثبتتلى صدق كلامك ومش هرتاح غير لما أعرف إيه اللى رجعك ليا فى الماضى.

وضع يده على يدها في لحظة، حسبها حانية ومريحة، إلا أنها غضبت وسحبت يدها فورًا قائلة بلكنة عصبية:

ـ من فضلك متعملش حركه كده ولَّا كده، حتى لو مصدقاك مينفعش تعمل الحركات دى معايا... المفروض إنك عارفنى كويس.. صح؟

ـ صح.

تذكر تلك الذكرى التي فعلتها يومًا ما، وهما جالسان في ذلك الكافيه الشهير بـ(الهرم)، عندما ازداد بينهما الحوار حميةً وحماسًا. سحبت يدها في غمرة ثورة حديثها ما لا يتذكره، ولكن سحبة تلك اليد ذكرته بالتأكيد، ثم قالت وهي تشفق على وجهه المصدوم:

ـ متزعلش منى، مفيش أى حاجه تربطك بيا فى الزمن ده..

قال لها وهو ما يزال يتأمل ملامحها:

ـ مش زعلان، كفايه عليا إنى شايفك معايا دلوقتى.



ـ يوووووه هو أنا مكنتش معاك فى المستقبل؟

اتخذ قراره الأخير، ثم قال بحزم:

ـ قولى اللى إنتى عايزاه، بس متسأليش عن مصيرك فى المستقبل.. ممكن؟

ـ ماشى، قولى مين اللى قال للتانى كلمة بحبك؟

ـ هتفرق فى إيه؟

ـ مش اتفقنا تجاوب؟

ـ إنتى يا ستى.

ـ كنت مصدقها منى؟

ـ جدًّا.

ـ وإنت قلتها إمتى؟

ـ قلتها بأفعال مش بالكلام، بس عمومًا أول ما قلتى بحبك رديت عليكى وقلتلك بحبك فى نفس الوقت.

ـ كنت مصدقها وإنت بتقولها؟

ـ مستحيل أقول حاجه مش مصدقها أصلًا.

ـ واجهتنا بعض المشاكل فى حياتنا؟

ـ كتير، بس قدرنا نتخطاها بالتفاهم المتبادل، أنا وإنتى بينا كيميا خاصة، محدش قدر يفهمها!

ـ أنا كنت ببقى عصبيه معاك أو...؟



ـ كنتى زى الملاك.. بتخافى على مشاعر كل اللى حواليكى، مبترضيش تأذى شخص بكلامك حتى لو كان جه عليكى.

تصمت برهة، ثم تنظر إليه، حاولت أن تنظر إليه بنظرات الإعجاب ولم تفلح، تتساءل: كيف أحبته؟! ماذا فعل كي تفعلها؟! للحب أسباب عديدة، ولمشيئة لا يعلمها سواه فقط، يحدث ذلك الأمر، إنها مثل رفيقاتها تحلم بذلك اليوم الذي تحب وتعشق فيه من يجاورها، ولكنْ لها أهداف أسمى، تود النجاح، والحب سوف يعطلها كثيرًا ولكنها تريده، وكما يقول ذلك الشاب المجهول، لقد أتى من المستقبل، وقال لها أشياء مستحيل أن يعلمها شخص في ذلك الكون، ما لم ينطق فمها، وفمها وحدها فقط! كانت نظراته لها مليئة بالحب وهو لا يزال يقول:

ـ اللى إنتى متعرفيهوش، إن حياتى كلها متوقفه على المده اللى قعدها معاكى هنا.

ـ ازاى ده؟

ـ يعنى كل ساعه بقضيها هنا معاكى، بعشر سنين من عمرى الأصلى.

ينصعق كيانها من ذلك الخبر! تفتح عينيها كأنها رأت مشهدًا بشعًا توًّا، فقالت ـ بنبرة منخنقة حزينة ـ:

ـ ليه جتلى؟... ليه جتلى وتضحى بحياتك؟ هو أنا أستحق إن حد يضحى بحياته علشانى؟

ـ وأكتر من كده.

ترتفع نبرتها الحزينة بالعصبية اللوامة:



ـ لأ، مفيش شخص يستاهل تضحى بحياتك علشانه مهما كان.. إنت اتغبيت وارتكبت أبشع حاجة فى الدنيا لنفسك، مفيش شخص بيعيش علشان شخص أو بيموت علشانه.

انصعق من تلك الكلمات التي خرجت من فمها! لم يكن يتوقع ردة فعلها مطلقًا، فقال ـ بنبرة حزينة ـ:

ـ مكنتش متوقع ردة فعلك دى يا هيام!!

وضعت يديها على وجهها، تداري دموعًا حارة سقطت من مقلتي عينيها وقالت ـ بخفوت ـ:

ـ ليه عملتها.. ليه؟!

* * *

في الوقت الحالى..

(أنا «وحيد» صحبك الأنتيم.. والمشاركين فى مشروع آلة الزمن للماضي)..

يذهل (صلاح)، يقف ويتوتر ثم ينظر إلى العجوز ثم يضحك، تملأ الضحكات الأرجاء، ثم يحاول تهدئة نفسه بعلامات من يده بالرفض قائلًا:

ـ إنت أكيد بتهزر، إنت شايفنى عيل صغير؟ «وحيد» سابنا وهو شاب وساب البلد وراح كندا من تلت سنين فاتوا.

قال العجوز ـ بكل بساطة ـ:

ـ هو إنت شفتنى وأنا مسافر؟



يقول صلاح ـ بحزم صارم ـ:

ـ في ناس تانيه شافتو وهو مسافر.

ـ محدش شافني أصلًا وأنا مسافر!

يراقبه صلاح مسترجعًا الأحداث السابقة، عندما قاموا بعمل ذلك المشروع مسبقًا، وبعد عدة تجارب أجروها على طفل كان ذا عشر سنوات فقط، وبعدها ـ وبعد الإفاقة ـ قال لهم: لقد عدت إلى أحضان أمي صغيرًا، قبل فصل ذلك الجهاز والعودة من جديد، ولاحظوا كبر سنه، حيث زاد إلى سن الثانية عشرة، (وحيد) هو كان أول المسافرين بالفعل، ولم يره أحد بالفعل، وأجرى عدة مكالمات صوتية يقول للرفاق: دمروا ذلك الجهاز واتركوه، وبعدها علموا بأنه أجرى عدة أبحاث ولا يدرون، هل أجراها على نفسه أم على شخص آخر؟ كان أملهم الوحيد أن لا يؤثر العودة إلى الماضي، بلمس سن المسافر ولكنه ـ بالفعل ـ فشل، وفشلت كل محاولات تمويل ذلك المشروع، ولم ير أحدًا.. ولم يروه.. أين كان منذ تلك الفترات، وإلى أين ذهب إلى الماضي؟ اقترب منه صلاح بتوتر:

ـ هو إنت دلوقتي مسافر؟ يعني رجعت للماضي.. ولّا دي بقت هيئته بعد رحلة للماضي؟ فهمني.

ينظر له (وحيد) ويبتسم ولا يرد، فيردِّد (صلاح) الجملة مرة أخرى ولا يجيب، ويعطيه ابتسامة زائفة لا تحمل أدنى تعبير يمكن لصلاح بلوغ رغبته في معرفة ما يريد، ثم أخذ (وحيد) العجوز الذي لم يبلغ بعد مطلع الثلاثين، رغم أن هيئته تبلغ الستين عامًا، زجاجة المياه التي كانت بالجوار، وأخذ يجرعها، حتى آخر نقطة بالزجاجة، تركها وحيدة ثم وضعها في



صمت على (الكومود) الذي يجاوره وهو لا يجيب، وهو يعلم بماذا يفكر صلاح الآن، الذي صمت ويدرس ملامح الكهل الشاب، قال صلاح أخيرًا وقد اتخذ كل ردود أفعال العجوز:

ـ هو إنت وحيد.. صاحبى اللى سابنا وادعى إنه سافر؟!

ـ سابك تلعب بحياة الناس بعد ما أجمعنا إن الجهاز مضر بحياتهم؟.. سيبناه مع شخص غير أمين، وقدر يلعب بحياة شخص برىء، وسفَّرو للماضى علشان يشوف حبيبته اللى كانت...

قاطعة صلاح بصرامة:

ـ مغصبتش حد علشان يجيلى ويترجانى ويرجع لحبيبته، محدش ضربو على إيده علشان يعملها.

ـ بجد؟! هههههههه.. بعد اللى عملته علشان تقنعو بالموضوع؟ بعد جلسات إيحاءات نفسيه وهمته بحب قديم؟ هى حياة البنى آدمين لعبه فى إيدك؟

نظر له صلاح بقسوة قائلًا بغضب:

ـ ورجعتنى للماضى لسبب مجهول، ولكن المره دى كلفك الموضوع كتير قوى من سنين عمرك، لأسباب صريحه ومعينه، مستحيل ترجع للماضى من غير ما تيجى تمنع حاجه.

ـ الحذر لا يمنع القدر، جايز المره دى أعرفك راح فين حسام، صحبك اللى خطف الجهاز وهرب وسافر للماضى.

نظر بكل غضب وثورة قائلًا:



ـ إنت عارف ليه مقلتليش من الأول؟!

ـ أقولك على إيه؟

ـ مش قبل ما تقولى الجهاز التانى راح فين؟.. الجهاز اللى عدلتو بحيث ميأثرش فى عمر المسافر.

صمت صلاح وكأنه يبتلع تلك الكلمات، وتوقفت في حلقه لبرهة، ثم قال بهدوء:

ـ ناوى تستخدمو على نفسك المره دى؟

رد وحيد العجوز بنبرة غاضبة:

ـ مين قال كده؟ أنا عارف إن الرحلة اللى قمت بيها مفيهاش رجوع، لإنك متعرفش عمرى فى المستقبل بقى كام.. والأصلاح بلاش أقولك، لإنك مش هتصدق!

أثار شغفه من جديد بعدما أرقدها ساكنة لبضع دقائق! قبل أن يكمل العجوز حديثه:

ـ وجودى فى الزمن ده وقتى، هموت وجسمى هيتحول لذرات تراب لا تذكر، أنا استخدمت أقدم جهاز، بدائى، ومكنتش أعرف تبعاته، الجهاز اللى اخترعناه واحنا لسه فى الكليه، فاكره؟ واللى عدلت فيه واستخدمتو على الطفل وبعدين السن الثلاثينية، استخدمتو ورجعت للماضى، وتمسكت بيه لدرجة إنى نسيت أنا كنت إيه فى المستقبل، أو حسيتو وهم، فضلت هناك، لحد ما حقنة التخدير انتهى مفعولها، ولاقيت نفسى رجعت بسرعة البرق، ولاقتنى رجل عجوز، عارف عمرو كام؟



ـ «١٠١ سنة»!!

* * *

في الماضى..

أثار أعصابها لأقصى درجة بهدوئه المستفز، بنظراته المحبة التي لعنته فيها عدة مرات، التي تفتقر للنضوج، وبمحاولاته العديدة للمس يدها أكثر من مرة، وتعلن عن غضبها، إثبات نظريات أنه بالمستقبل غير مقنع لها، ولكنه تقبل الأمر، لقد تأكد من بعض الأشياء التي تحدث بها نفسها فقط، هل هو (مخاوي)، هل هو أحد الدجالين الذين يخترقون النفس لمعرفة أسرارها، هل أرسله والدها كي يطمئن عليها وكيف أصبح حالها؟! أسئلة لا محل لها من الإعراب على الإطلاق. راودتها تلك المرة، تركته يقول ما لديه الآن في تلك اللحظات:

ـ كنت متوقع عكس اللى بشوفو دلوقتى! كنت متأكد إنى هشوف نظرات الحب مطلة من عينكى، كنت متاكد إنى لما أقولك إنى هكون جوزك فى المستقبل هتفرحى، لقيت كل همك وبس إيه اللى هيجرالك فى المستقبل، مش هيجرالنا إيه فى المستقبل!

ـ كلامك غير منطقى بالمره.. ازاى أبصلك بحب؟! عايزه افهم.. يعنى عايزنى أبصلك بحب مثلًا بناء على إيه؟ ولَّا أول ما اشوفك أقولك بحبك مثلًا! مش كل حاجه بتتوقعها لازم تحصل على فكره.

ينظر إليها بحزن قائلًا:



ـ بس كفايه عليا إنى شايفك دلوقتى و....

ـ بس بقى.. إنت مبتزهقش؟ ماتفتكرش إنى علشان قاعده معاك هكون زى ما إنت عايزنى أكون.. هي كلها شويه وامشى.. فمن فضلك، كلامك اللى من النوع الغرامى تبطلو شويه ممكن؟

مصعوق، يكاد يتمنى أن لو تفتح الأرض فاها وتلتهمه لينتهى ذلك الأمر مثلما بدأ! وأصبحت هيئته مناسبة، تلاشى النظر إليها، تكاد أسنانه تتحطم إثر ضغطه الشديد عليها بكل غضب، وهو يشعر الآن بلحظات الدوار، ولكنه لا بد له من أن يتماسك أمامها، يبدو أن عمره بالمستقبل يتآكل رويدًا رويدًا، لكنه يتمتع برحيق الشباب فى تلك اللحظات، حبه الشديد لهيام كان أقوى وأعنف، فتمالك نفسه قائلًا بحزم:

ـ بس أنا مش ندمان إنى رجعتلك للماضى.. وجايز أكون غلطان بس مش ندمان.

تنظر نحوه، ونظراتها تحمل تساؤلات عديدة، وكأنها تدرس ردود أفعاله، وكأنها تود مراجعة نفسها، وتبدو اكثر هدوءًا مع ذلك الشاب.. ثم قالت بنبرة هادئة، تمناها هو منذ لحظات:

ـ بتحب تسمع إيه؟!.. آةة تامر حسنى طبعًا! ومتأثر بكلامو وأغانيه، عارف كام واحد جه وحاول يقلدو قدامى، وفاكر إنى هعجب بيه؟ عارف كام واحد حب يعمل فيها الشاب الجرىء وجه يستعرض عليا وكان معاه جيتار وقعد على سور الجامعه؟ عارف كام واحد رفضته؟ عارف كام واحد قلتلو لأ؟ عارف كام واحد حاول يعاكسنى وعملت فيه إيه؟ عارف كام واحد حاول يعمل فيها شاب جرىء وكلم صحباتى وحاول يقرب؟ تعرف الكلام ده ولّا لأ؟!



بتلك المباغتة، وكأنها تلكمه فى أنفه ولا تكتفى، فسارعت بضربه، لو كان فى حلبة مصارعة لرفع يدها منتصرة عليه فى تلك اللحظات! لذا قال بخفوت:

ـ هو تامر موجود فى الزمن ده؟!

ـ هههههههههههه آةةة نسيت إنك من المستقبل، إحنا دلوقتى ٢٠٠٧، آه موجود..

ـ إنتى ليه بتضحكى عليا؟!

ـ علشان فاهمه إنت عايز منى إيه.

ثم أخذت نفسًا عميقًا، وهى ما تزال تبتسم له، ابتسامة الثقة التى لطالما رفضته بها فى الماضى أيضًا، وهو يتذكرها الآن. بالفعل رفضته بالماضى عدة مرات ولم ييأس، إنما تنوعت محاولاته، رفضته وبنفس الابتسامة، قالت بهدوئها المعهود:

ـ تعالى نعكس الأدوار؟.. أنا اللى جيتلك الماضى، وقلتلك أسرارك اللى مش ممكن حد يعرفها غيرك، تمام كده؟ كنت بعمل اللى بتعملو دلوقتى؟ بزمتك مش هتشك فيا؟ وفرضًا تجاوبت معاك، ازاى هتثق فيا؟.. من فضلك، بطل تثير شكى فيك، ويومك اللى بتقضيه فى الماضي خليه يعدى على خير.

لا تزال تصفعه بالكلمات، وزن تلك الكلمات ووجدها حقيقية، ومعها كل الحق، لكنها لا تزال تفاجئه، كيف يحاول لمس يدها ولا يرتبط بها بأى صلة، ولا تجرؤ على فعل شىء يثير ريبته؟! إنما هي الآن فتاة جامعية تسعى نحو تحقيق طموحها، وكان زواجها... أين كان زواجها؟!.. أحنى حاجبيه



فى شدة، وهى لا تلتفت إليه بالمرة، إنما وجهت كل كيانها نحو النيل، وهو الآن يحاول تذكر أين ذلك الوقت الذى ارتدى فيها دبلة الزواج! قال:

ـ إنتى معاكى حق.. أنا فعلًا غلطان إنى حاولت أعمل حاجه غلط، وليكى كل الحق فى شكوكك.

وبنبرتها الساخرة قالت:

ـ شوفت.. مش أنا قلتلك!

ـ يظهر إنى جتلك فى توقيت غلط.. كان المفروض آجى فى توقيت تكونى مرتبطه بيه رسميًّا!

تلتفت إليه باهتمام وكأنها تتساءل عن قواه العقلية! ترفضه بكل معانى الكلمة، ولا تدري لماذا تجلس معه فى ذلك المكان الذى وبكل تأكيد يرتاح إليه الجميع، وليست هى!! يبدو أنه قد اختار الحل الوسط للمكان، مكان لا يوجد عاشقان لا يأتيان إليه، تشك أنه خدعها ولكنها تسايره، كشفت تلك الخدعة منذ محاولاته الأولى للمس يدها، لذا أسرعت قائلة ولم يلحظْ فيها السخرية:

ـ طيب ليه مترحش دلوقتى؟!.. فى حاجه تمنعك؟

ـ محتاج شخص يكون متحكم فى الجهاز، يرجعلى وعيى، ويقوم بتوجيه عقلى وكيانى نحو النقطة اللى أنا كنت عايز أروحها.

ـ طيب وليه موجهتش نفسك بنفسك؟

أطلقت نبرة ساخرة منه قائلةً:

ـ مكنتش متوقع ردة فعلك دى خالص يا هيام ههههههه!.. كويس بردو إنك نبهتينى.



ـ هههههههه شفت بقى.. مش قلتلك؟ متتوقعش كل حاجه بتدور فى بالك إنها هتحصل.

ينظر نحوها وتغيرت نظراته إليها، ما لها لا تشعر به مثلما كانت بالسابق! لماذا لا تلمس قلبه بكلمات رقيقة؟! تذكرها وهى تحاول تخفيف ذلك الضغط النفسى الذي كان يعانيه بالمستقبل، ولكن أى موقف؟ لا يتذكر!

وقفت هيام وهى ترتدي حقيبتها بذراعها جيدًا، قائلة بصوت هادئ حنون يمتزج بقطرات من السخرية:

ـ مضطره أسيبك دلوقتى.

وقف مذهولًا جراء تلك الفعلة قائلًا بصوت متوتر:

ـ هتسيبينى وتمشى؟!.. هيام متسبنيش.

أمسكها من ذراعها بقوة ونظرات الغضب مطلة من من عينيها قائلة:

ـ سيب دراعى.. لصرخ وأعملك فضيحه.. فاهم؟

تركته كالمصعوق، وكأنما وقعت يده عنوة بفيشة كهرباء عارية!.. كالمتوسل قال:

ـ متسبينش أرررجوكى.

ابتعدت لمسافة متر واحد.. والتفت إليه مرة أخيرة قائلة بنبرة صارمة:

ـ لما تسافر تانى سنه أو اتنين هرفضك برضو، متحاولش تقرب منى تانى..

صعق لردها، وإلى عفوية تصرفه!..



لو كان بنضوج المستقبل، لكن رد فعله أكثر وأخف وطأةً..

لكنه يشعر بعنفوان الصبا ولا يستطيع التحكم!

لقد أفسد الامر بأكمله.

* * *

في الوقت الحاضر...

معالم الدهشة مرتسمة على وجه صلاح، سقط فكه كتمساح فتح فاه لالتهام سمكة تقترب من فمه بسرعة، كيف!!

كيف وصل عمره ١٠١ سنة! صديقه اقترب إلى عالم الأموات والكهولة فى آن واحد، لماذا جاء إلى هنا، لماذا عاد إلى تلك اللحظات، ماذا يود أن يفعل، لماذا أصرَّ على مقولة «الحذر لا يمنع القدر»؟! إذن لماذا عاد وهو يعلم أنه لا يستطيع تغيير شيء حدث بالماضي! ماذا يريد أن يعلم منه؟! قاطعه وحيد العجوز:

ـ وصلت هنا علشان أعرف مكان الجهاز، اللى رحلته مبتأثرش فى عمر الإنسان، ولازم تقولى راح فين.

قال صلاح ـ بحذر ـ:

ـ هتعمل بيه إيه؟!

ـ هصلح بيه الغلط اللى عملته يا صلاح!

ـ ازاى؟!



ـ هرجع للماضى وأخطف الجهاز، وساعتها عمرى ميتأثرش بشىء وارجع شاب زى منا.. وحسام ينسى هو كمان الرجوع للماضى.

ـ هههههههههههههه كلامك متناقض!.. طالما عارف إن الحذر لا يمنع القدر، ليه عايز تغير حاجه؟

ـ جايز بالمحاولة دى.. مش جايز بردو أعرف أغير حاجه ولو طفيفه بالمستقبل؟

ـ هههههههههه يا راجل!.. أمال فين النصايح اللى عمال تقولها؟! يا جدو تقبل الأمر زى ما هو، محدش بياخد أكتر من نصيبه.

أطلت نظرات غاضبة من العجوز، قائلًا بنبرة عالية جدًّا:

ـ إنت يا غبى عرضت حياة صحبك للخطر وإنت عارف... إنت ازاى بنى آدم! قولى ازززززاى بنى آدم وبتحس زيينا؟!

أطلت نبرة ساخرة من شفتى (صلاح) وهو يقول:

ـ أنا مش بنى آدم، صح.. معاك حق.. قولى بقى اللى سافر للماضى وحاول يسرق حبيبة صحبه، واللى كان بيحاول يقرب منها.. بعد ما ائتمنك على سره، رحت جرى تظبط معاها.. ووجعت قلب صحبك، فعلًا أنا معنديش قلب.. صح؟!

استشاط (وحيد) العجوز غضبًا، وهبَّ من رقدته، جسده لا يحتمل الغضب فوقع أرضًا مرددًا (يا كلب) (يا كلب)، وهنا أتت الممرضات مهرولات إلى الحجرة، لقد أحدث وقوعه ضجة، وقد ترامت زجاجات كانت تحمل المياه والعصير وتناثرت أرضًا. كان صلاح مفاجأً، فتراجع



قليلًا إلى الوراء خيفةً، وهو يشاهد طاقم الممرضات الثلاث يحاولن مساعدة العجوز. قالت إحداهن:

ـ من فضلك إطلع بره لو سمحت.

ـ بس أنا هنا...

ـ إطلع بره لو سمحت، يا أمن... طلعوه بره بسرعه.

لم ينتظر صلاح الأمر، فقد خطا إلى الخارج بالفعل وهو ينظر إلى وحيد، الذي كان يعاني من حالة هبوط حاد فى الدورة الدموية، وحالة غثيان وكأنه ينتقل إلى العالم الآخر فى ثورة! انتبه إلى صوت العجوز بعد إغلاق الباب خلفه الذي كان يقول بكل صرامة مهترئة ومتوسلًا: «متسبيهوش يمشى، هاتوا اللى طلع بره بسرعة». اتشحت ابتسامة على شفتي صلاح وهو يسير إلى الخارج، فقد انتهى هنا على الأقل، لن يستمع إلى توسلات العجوز مرة أخرى، فهو يعلم ماذا يريد ذلك الوغد الآن.. ارتطم بجسد طبيب كان يسرع نحوه، أمسكه من الخلف قائلًا:

ـ إنت صلاح؟

أبعد يديه عن كتفه وهو يقول:

ـ مش طردونى بره؟.. عايزين منى إيه؟

ـ لحالة المريض يا فندم، المريض ده حاله نادره وحالته وصلت لمرحلة الخطر فعلًا.

نظر له بعدم اكتراث وهو يقول:

ـ حتى لو مات، أنا مالى؟



ـ الراجل بيقول إنه يعرفك.. بس الممرضه قالتلى كلام ممكن يفيدنا.

ـ ممرضه كمان؟.. إنت مشغلهم جواسيس كمان يا دكتور؟

ـ اللى بينى وبينك هيبقى بينك وبينك بس يا أستاذ صلاح.. لو سمحت تعالى على مكتبى.

ـ لا ورايا مشوار مهم.. من فضلك وسعلى السكه.

تغيرت نظرات الطبيب وأصبحت أكثر غضبًا.. وهو يقول:

ـ برحتك إمشى!. آةةة بس متنساش إن كل كلمه متسجله بينك وبينه..

ـ بينى وبين مين؟!

صمت الطبيب، وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة وهو يقول:

ـ «وحيد» صحبك العجوز.. ها دلوقتى عايز تمشى ولا..؟!

* * *

في الماضي....

لم يستوعب (حسام) ما حدث..

فقد فارقته وذهبت..

لم يحاول اللحاق بها.. إنما كان ساذجًا وأفعاله تثير الشك والريبة فى نفس هيام، أى أنثى سوف تفعل ما فعلته بالتأكيد، لذلك عليه المحاولة مرة أخرى، ولكن أين ومتى؟ فقط كان عمره يتناقص فى تلك اللحظات



بالمستقبل وعقله يصغر رويدًا رويدًا في الماضي، حتى تصرفاته الصبيانة المندفعة، ولا يدري كيف سيكون عمره بالمستقبل البعيد! لقد مضى هنا أكثر من ساعتين ونصف على الأقل، كل ساعة بعشر سنوات من عمره الأصلي، يعني وبالتأكيد وصل عمره الآن إلى الخمسين وأكثر، لا بد أن يكون فى فترة زمنية أخرى حيث تتواجد (هيام)، لا بد له من بلوغ منحنى السفر عبر الزمن للوصول إلى نقاط مستقبلية يتواجد فيها مع (هيام). لا بد من بلوغ نقطة ما فى عقله. أغمض عينيه فى سكون، وحاول الالتحام مع جسده بالمستقبل، وتوجيه كيانه إلى نقطة أبعد من ذلك الزمن، وكأنه حلم داخل حلم. استمع إلى «وحيد» صديقه يتحدث عن ذلك الشأن، لا يدري أين ومتى استمع إلى تلك اللكنة، ولكنه قد استمع إليها! لا بد له من الوصول إلى نقطة تسمح له ببداية جديدة مع (هيام)، حبيبته التي ذهبت إلى العالم الآخر بلا رجعة، ولا تتواجد سوى بعض الصور العديدة التي تفترش غرفته الممزقة من الوحدة، والعودة إلى الماضى، ها هو يحاول التركيز فى بلوغ لحظة، كان يجاورها، لم يستمع إلى نبرات المارة الذين سخروا منه، لا يلتفت الى أى حدث فى ذلك الزمن، ربما لو تواجد أحد بتوجيه الجهاز إلى...

ماذا يحدث؟ سُحُب وأمطار، وعواصف عاتية، وصور لجبال تهتز بقوة، المدن تتعالى وتنخفض، تنهار وتتمدد، وتأتي وتنمو من جديد، وكأنه لم يصبها خدش! دمار الأرض وشيك، ينمحي أى أثر للحياة، الكرة المستديرة تزداد احمرارًا، وقبل تلاشي الحياة، وقبل انتهاء آخر زاحف، يقترب من النبتة ولم تلبث أن دبَّت الحياة مرة أخرى، تزداد الأرض خضرة، وتنتشر المياه في الأنهار والبحيرات بشدة، الطيور تتعالى أكثر وأكثر.. الآن أين يتواجد؟! هناك الكثير من البشر فى ذلك الزمن، أو فى تلك المنطقة تحديدًا، كافيتيريا



شهيرة داخل منطقة المهندسين، يجلس هو وأمامه (هيام) بذات نفسها، تحمل لمحات هادئة، وكأنها لا تتذكر ما حدث قبل الماضي! استقر كيانه فى ذلك المكان وهو يحاول استيعاب ما يحدث، لماذا جاء إلى هنا، ولماذا تتحدث (هيام) بكل اهتمام عن موضوع بلا قيمة عن عملها، لماذا هو منتبه بكل كيانه ولا يعنيه ذلك الأمر، بل كان يعنيه أنها هنالك وأمامه؟! في تلك اللحظات، أخرج هاتفه المحمول كي يعلم التاريخ، قاطعها بهدوء أنه قد جاءته رسالة، وعلم أنهما الآن فى عام ٢٠١٥، وأن عمره الآن بلغ الثامنة والعشرين. قالت هيام ـ بهدوئها ورقتها المعهودة ـ:

ـ فى حاجه؟ الرسالة مهمه؟

ـ لا لا مفيش حاجه، دى شركة المحمول بس... متشتغليش بالك، إحنا كنا وقفنا فين؟

تنظر نحوه ببراءة، تتأمل ملامحه من جديد، شعور يفتقده كثيرًا، فها هى حية من جديد، تجلس جواره مباشرة وتتحدث عن أمر بالغ الأهمية، لا يتذكر أين ومتى... لكنه حدث! تأمل وجهها وهي تقص ذلك الموضوع الجانبي، ينظر إلى عيونها الدائرية، يتأمل ملامحها من جديد وكأنه لأول مرة يراها! ماذا لو علمت بموتها وأن ضميره يعذبه من ذلك الأمر، ويتحمل كافة العواقب؟! يقول فى نفسه: إنه كان أحد الأسباب فى وفاتها، وأن ضميره...! تبًّا لذلك الضمير الذى جعله يفقد سنين من عمره من أجل رؤيتها! مشاعره الآن جامدة لا تتحرك وهو يرى فتاة، كانت فى يوم ما حبيبته، وزوجته، و... هنالك شيء غريب.. لماذا لا تتحرك مشاعره الآنً فى تلك اللحظات؟!.. لماذا توقف قلبه عن الاهتزاز بحبه لها؟! الآن يقاطعها:

ـ هيام ممكن ستوب شويه؟.. ممكن تقوليلى معلش إحنا إيه اللى جابنا هنا؟



تضحك (هيام) ضحكتها المعهودة قائلة بهدوء:

ـ إيه مالك؟!.. شكلك من شويه اتغير!

ـ معلش ممكن تجاوبى على سؤالى بس؟

تندهش وتقول بلكنة حذرة:

ـ مستنين صلاح!.. وبعدين إنت اللى قولتلنا هصالحكم على بعض.

ـ مين؟!!

* * *

في الوقت الحاضر ...

اشرأبَّ الطبيب بعنقه وهو يواجه (صلاح)، بعدما جلسا الاثنان فى حجرة الأطباء. أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال:

ـ الموضوع كلو أنا عرفته زى ما إنت عارف، بس فى تفاصيل لسه مش عارفها.

نظرات صلاح كانت عجيبة، لا هى تعابير الغضب ولا هى التوتر، أو الخوف، كانت تعابير أخرى عن الجنون ذاته وهو يتحدث:

ـ عايز الخلاصه؟

ـ يا ريت، أنا بعشقها.

ـ بس قولى الأول فى اتفاق بينك وبين وحيد على الموضوع ده؟



تتسع ابتسامة الطبيب أكثر وهو يجيب:

ـ حاجه زى كده.

ـ آةةة يعنى إنتوا جبتونى هنا علشان تسجلوا اعتراف منى بكل تفصيله عن الجهاز... هههههhe... لا دى ملعوبة يا دكتور.

يقف الطبيب براحة شديدة، ثم يذهب بروتينية، يفتح ثلاجة صغيرة تعج بالمشروبات المثلجة ويأخذ كنزتين تحملان علامية تجارية شهيرة للمشروبات المثلجة، أعطى واحدة لصلاح، وجلس هو يفتح غطاءها بهدوء محدثًا صوت الانتعاش الشهير ثم قال:

ـ لا هو انت فاكر اللى بتعملوا فى الناس ملهوش أى عقاب ولّا إيه؟ لا يا أستاذ صلاح، سرقة أعمار البشر ليها عقاب كبير، وكبير قوى، خصوصًا لما يكون أقرب الناس ليك، صحبك يا أخى، صحبك وعشرة عمرك تعمل فيه كده، ومع مين، مع حبيب...!

قاطعه صلاح بصرامة:

ـ هتقول إيه للنيابه؟ هتقولهم واحد استخدم جهاز على شخص سرق عمره؟ بالزمه فى حد هيصدقك؟!

ـ متسجله صوت إوعاك تنسى.

ـ صوت؟! هههههههههه.... على الأصوات أنا ممكن أعملك أوبرا عايده هنا يا دكتووور.

ـ متبقاش جامد كده، الجهاز اللى كان معاك الدوله صادرته... صح؟ واعتبرته خطر على البنى آدمين، لا مش كده وبس، اخترعت واحد واتنين



بعديه، لا وإيه، بقى بتأثر على صحبك علشان يقوم برحلات للماضى! ده لإنك عارف إن صحبك عاطفى وحساس، عملتلو جلسات تنويم مغناطيسى، أقنعت عقله الباطن إن حب عمره موجوده وعايش معاها زكريات كتيره، إنت كمان منستش أى تفصيله، كمان خليته يحضر جنازتها يا مفترى! جلسه ورا جلسة لحد ما اقتنع، وسبته، لحد ما أثار شغفه يشوف حبيبته اللى أقنعته إنها ماتت، وشخص زى ده حساس مستعد يضحى بعمره كلو فى سبيل يشوفها معاه وصحبة وبحيوية كمان، يعمل إيه جهاز صلاح العبقري، يروح يخليه يشوف حبيبته، اللى كان معجب بيها فى أيام الكلية زمااان! وحاول أكتر من مره يقرب منها، وإنتوا من بعيد تقعدوا تضحكوا عليه، كان يقعد معاكوا أيام وليالى يبكى من شدة حبه ليها، وهى مطنشاه تمامًا، لحد ما رحت حضرتك خلتها تعجب بيك وترتبط بيك، وأقنعتها بيك، وده اللى حسس حسام إنو ولا حاجه، وحسسو كمان إنه صغير قوى فى نفسه،كنت تاخدو معاك وانت رايح تقابلها، كنت بتعذبو عذاب السنين، وهو قاعد فى وسطكوا وصحبو الأنتيم اللى سرقها منه، وفى الآخر تسيبها وتمشى، لحد ما هى سافرت ومحدش عرف عنها أى حاجه، وصحبك فضل وحيد، يتمنى حتى يشوفها بعد قعدات لعب كوتشينه، وبكلامك الخبيث عن الحب، وعن الرجوع للحب، أخدت صحبك تعملو جلسات إيحاء نفسى، ده لإنك عارف إن صحبك عايش لوحده وملوش حد يسأل عليه أو يفتقده، جبروتك خلاك تقنعه إنه اتجوز هيام، لأ وإيه، هو كان السبب فى موتها!.. بالزمه مش حرام عليك؟!

طق.. طق.. طق.. طق صوت فرقعة باليد من صلاح وهو يبتسم فى سخرية:



ـ كل الكلام ده عرفته من قعدتى مع (وحيد)؟!.. لأ صحيح برافو.

نظرات الكراهية تطل من عينى الطبيب وكأن الأمر يعنيه هو، وليست قصة مؤثرة استمع إليها، وتأثرت عواطفه بها!.. قال صلاح بلكنة استفزازية:

ـ أنا بس عايز أعرف.. ازاى وحيد عرف الموضوع؟ مين اللى قالو؟ آةةة هو حسام خطف الجهاز ووداه لوحيد ولّا إيه؟!

اقترب أكثر من الطبيب وقال بصوت هامس:

ـ قولى....

❋ ❋ ❋

في الماضي...

كان حسام يستوعب ذلك الأمر.. لقد كانت تلك الجلسة للصلح بينها وبين صلاح، وهو الآن أكثر نضجًا مما سبق وأكثر وعيًا، ليس بينهما موعد غرامى إذن. قال حسام بلهفة:

ـ هو صلاح قال جاى؟

تنظر اليه بدهشة قائلة:

ـ بتقول إيه يا حسام! مش إنت جبتنى هنا علشان تصالحنا على بعض؟! إنت نسيت ولّا إيه؟

ـ معلش يا هيام ذاكرتى بقت ضعيفة الأيام دى.

ـ بتتكلم جد؟!



ـ أيوه يا هيام، ممكن أقوم بس؟.. هعمل حاجه واجى.

تنظر إليه بدهشة أكثر:

ـ اتفضل.

خطا حسام يأكل الأرض بقدمه أكلًا، دخل غرفة الـ wc، ضرب الحوض بيده، فتح الصنبور بيده، تتساقط معه المياه بصوت هدير، وضع رأسه بأسفله، أدرك ما يجول الآن، لقد كان يعتمد صلاح على اللحظات الأولى التى عشقها فيه، ونبهه فى كل مرة، اذهب إلى اللحظات الأولى، هى أجمل اللحظات التى يذوب فيها الإنسان عشقًا، حتى بعدما اختطف ذلك الجهاز دون توجيه، ذهب إلى نفس اللحظات الأولى، استرد عقله الباطن الأسئلة التي يمكن للمسافر إلى الماضى التنقل عبر الأزمنة التي كان متواجدًا فيها.

لقد اكتشف تلك الخدعة بعد فوات الأوان، لقد كانت رحلة بلا فائدة على الإطلاق، لقد كانت مكيدة من صديقه اللعين كي يكون فأرًا جديدًا لتجاربه العلمية الوقحة! عقله الباطن يتذكر الآن تلك اللحظات التي كان يحاول تنويمه بإرادته، ذهب إلى هناك وهو مسلوب الإرادة، ذهب وهو موقن أنه سوف يرى زوجته التي ليست كذلك، ذهب لرؤية حبيبته التي ليست كذلك، ذهب دون جدوى. لقد كان أحد الأسباب فى تطوير ذلك الجهاز المتنقل عبر ذاكرة الماضى البعيد. وبعد سرقته للجهاز وذهابه بعيدًا.. ظن منه أنه يفعل كل الصواب.. إنسان ضحَّى بكل عمره ليرى محبوبته ولم تكن كذلك بالفعل! لقد كانت حربًا بينه وبين نفسه، حربًا من طرف واحد، وتلك الحرب كلفته أعمارًا من عمره القصير.. تغيير الماضي لن يفيد، لا يستطيع أحدٌ تغيير الماضي! وإلا تسبب فى ارتباك زمني؛ مما يؤدي



لفقدان حيوات أخرى، وليست حياته فقط. بل لا بد له من العودة إذن إلى المستقبل ومواجهة مصيره المظلم، أو يفنى فى عالم بلا زمن. آن الأوان أن يعود إليها ويخبرها، لا يعلم بماذا يخبرها! فقط لا يوجد شيء يحدث عبثًا.. إنه هنا لأداء شيء هام ومحدد، لا يعلم ما هو! خرج يجرُّ قدميه إليها، ولقد رآه (صلاح) يجلس أمامها، متباهيًا، مغرورًا كعادته، تحاول بشتى الطرق معرفة سبب واحد تحاول به الولوج إليه كي يرضى عنها ويعطيها ابتسامة تحمل الكثير من الرضا. أتى إليهما (حسام) وملامح الصرامة ترتسم مرة أخرى على ملامحه. جلس جوارهما، قائلًا:

ـ ازيك يا صلاح؟

ـ ازيك يا حسام؟ أنا جيت علشان خاطرك بس. (يشير إليها) لازم تقولها كده!

تنحنى ملامح هيام فى براءة الأطفال مستنكرة وهى تقول:

ـ نفسى أعرف أنا عملتلك إيه يزعلك؟ (تتلفت تجاه حسام وهى تقول):

ـ هشهدك يا حسام، امبارح اتصل بيا ومردتش ومكنتش جمب التليفون و....

قاطعها حسام بكل حزم:

ـ إنتى بتعملى إيه يا هيام؟! صلاح أصلًا مبيحبكيش، هو حب بس يتسلى بيكى يومين ويقلبك.

وكأنى رميتها بجورب ممتلئ بالماء! انتفضت، أوشكت الرقيقة بالفعل أن تصرخ قائلةً:



ـ ااااااااانت بتقول إيه؟!

نظر إليه صلاح بكل صرامة:

ـ إنت مجنون يلااااا.. إيه اللى انت بتقولو ده؟!

ارتسمت علامات السخرية على وجه حسام وهو يجيب ناظرًا إلى هيام:

ـ لا.. إنتى جواكى عارفه الموضوع ده بس بتحبى تنكرى... هو علقك بيه وخنقك بحبو الوهمى، كل يوم يتكلم عليكى قدام زمايلو، ويتفشخر بيكى كمان، إنتى مخدوعة يا ماما، إذا كنتى عايزه تستمرى ده موضوعك انتى.

تبكى هيام وهى تنظر إلى صلاح:

ـ اللى بيقولو ده صح؟!.. إنت فعلًا مبتحبنيش؟!

لم يلتفت إليها صلاح، إنما وجَّه كل نظراته الصارمة إلى (حسام) قائلًا:

ـ ها.. وإيه كمان يا أستاذ حسام؟ جاى تخرب علاقتنا هنا.. مجمعنا علشان تفرقنا؟!

ـ أمال عايزنى أقولها إيه؟.. إنت سرقتها منى وانت عارف قد إيه كنت بحبها أنا.

صرخت هيام:

ـ بس بس بس كفايه بقى.. أنا اللعبة اللى وسطكوا!...بس بقى حرام عليكو.

أخذت الحقيبة وهرعت تهرب من المكان فى سرعة، وكأن هناك أحدًا يطاردها، وتركت صلاح يصبُّ جام لعناته على (حسام)، الذي كان ـ ولأول مرة ـ متزنًا ثابتًا في تلك المرة وهو لا يدري، هل أصاب الماضي



بعطب أم ماذا؟! ولكنه لا يدري ماذا أصابه حقًّا!.. ولماذا تحدث فى تلك اللحظات عن علاقة صديقه بحبيبته؟ هل فعلها بالماضي بالفعل؟

اللحظات تتكرر.. والأحداث تتوالى.. لقد فعل شيئًا شبيهًا بالماضي، حفاظًا على قلبها، فعلها. قال صلاح ـ بكل صرامة ـ:

ـ صدقنى.. هدفعك التمن غالى يا كلب.. أنا هو وانت هو.. لو مخلتكش تبوس رجلى يا حيوان!

ضرب المائدة حتى اصطدمت بحسام الذي وقف بعدها وكال له اللكمات.. وداخله يشتعل، لقد فعلها من قبل.. وها هى تتكرر.. رماه أرضًا (صلاح) بعد معركة صغيرة، التف حولها زبائن ذلك المطعم ذائع الصيت، ربما لم يشهد معركة تتاطير معها الأكواب والمقاعد مثلما حدث. لقد تورَّم وجه (صلاح) وأصيبت ذراع (حسام)، وما إن فرقهما الجمع..

لوَّح صلاح قائلًا بنبرات هادرة:

ـ أنا هدفعك التمن، بس اصبر.. بينى وبينك الزمن...!

* * *

جرس الهاتف يرن مجددًا ويتصاعد وبإصرار عنيف في منزل حسام. جلس بمنزله الصغير الوحيد شاردًا، كتمثال من الشمع. أمسك الهاتف بروتينة، وضع الهاتف على أذنه فى ضيق وهو يقول:

ـ أيوه يا وحيد.. عايز إيه؟

يجيب (وحيد) بشيء من التعاطف:



ـ ليه كده يا حسام؟ إيه اللى عملته فى صحبك ده يا أخى؟

ـ مش دى الحقيقه، مش هو بيلعب بيها وكلكم عارفين؟

ـ اسكت يا خايب.. ما يلعب زى ما يحب، يلعب يا أخى، هى كانت تخصك؟

ـ إنت عارف إنى بحبها يا وحيد ومش ممكن أخلى بنى آدم يأزيها.

ـ يا مغفل، ما البنات مترميه شمال ويمين.. إشمعنى البنت دى يا أخى؟!

ـ علشان هى اللى حبتها.

ـ وصحبك كمان بيحبها.. وهى بتحبو.

ـ لأ، هى متعلقه بيه وهو عاجبو الموضوع، وبيعذب فيها.

ـ إنت مالك يا بنى؟.. هى اختارتو إنت مالك؟... أنا بقولك لمصلحتك، كمان ساعه الشله هتتلم وهنكون كلنا عند صلاح، التجربه بتاعت الجهاز اياه، هينفزها.

ـ هو لقى حد يجرب عليه الجهاز؟

ـ آةة بيقول واحده جارته، حكلها الحكايه بتاعت الجهاز وعجبتها، فقررت يجرب عليها الجهاز، البنت دى تقريبًا عندها فوق التلاتين سنه، عايزه ترجع لذكريات قديمة فى حياتها، وإنت عارف صلاح مقنع، أقنعها بكل حاجه، ههههه يقنع العفريت إبن اللزينه!

صمت (حسام) طويلًا.. قبل أن يجيب:

ـ بس التجربه دى ليها أعراض جانبيه، الموضوع ده خطر على البنت؟



ـ إحنا مالنا، عرضنا الفكره وهى قبلت، وقال لها إن ليها أعراض جانبيه، هى عايزه تهرب من الواقع كله وترجع لماضيها، هى نفسها قالت أدفع نص عمرى وأرجع أشوف أول حبيب ليا، تصدق قعدت تتحايل عليا؟!

بندهاش قال حسام:

ـ للدرجة دى فيه ناس بتحب بجد؟!

ـ إحنا مالنا، المهم تكون موجود كمان نصاية تحت بيت صلاح، متخششش غير لما كلنا نكون موجودين فهمت؟ علشان نصالحكوا على بعض..

ـ حاضر!

أغلق الهاتف فى ضيق.. ولقد كان يتمنى أن يعض أصابعه من الغضب والغيرة معًا!.. مهلًا هناك خطأ.. تذكر فى تلك اللحظات أنه أتى من المستقبل... ومنذ ثوانٍ عاش لحظات كانت بالفعل في الماضي.. لم يغير فيها أى شيء. لم يعد عليه تغيير أى شيء أيضًا!...

نظر إلى ساعته التي لم تفارق يده، لقد بقي في الماضي مدة خمس ساعات وعشر دقائق بالتمام والكمال دقيقة.. أغمض عينيه. وحاول التركيز للعودة إلى المستقبل..

كان صوت (وحيد) يرن فى أذنه..

ولا يعلم لماذا يتذكر صوت وحيد!

* * *



«إتفضل خش...»..

تسمَّر حسام كتمثال رمسيس الثانى جوار الباب وكأنما يخشى الولوج! كأنما يعيش بالداخل قطيع كامل من الأسود! عقل المستقبل لا يستطيع المقاومة، فقد يتناغم مع تلك اللحظات التي شاهدها من قبل. تذكر حالة (ديجافو)(*). سبق الرؤية.. جلست السيدة على المقعد، وثبَّت طاقم العمل: الأجهزة الثلاثة حول جمجمتها، جلس أمامها صلاح يقول بهدوء:

ـ بصى يا أستاذه (رندا) اللى هنعملوا معاكى حاجه العلم نفسه اعترف بيها من زمان، امبارح كنتى موجوده، وأول أول امبارح، من شهر ومن شهور، من سنة أو اتنين، إنتى موجوده فى كل سنين عمرك، فى الأماكن والأحداث..الجهاز ده هيخدك لعقلك وكيانك اللى كان موجود فعلًا امبارح وأول الشهر ويمكن السنه، عقلك محتفظ بكل شىء، الصور، الأصوات، المشاعر المختلفه. من وانتى لسه صغيره، عقلك مسجل كل اللحظات دى، زى (الهارد ديسك) محتفظ بكل شىء، كل اللى بنعملوا هنا، بنرجعك للحظات كنتى فيها زمان، بنفس المشاعر، ونفس الأماكن، الموضوع مش زى حلم، التجربه مش هتعشيها كأنها حلم، إحنا بنسمح للعقل إنه ينطلق ويوسع آفاقه، بنشغل نقطة الطاقة فيه للعودة للماضى، عقلك مستحيل تكتشفى إمكانياته لإن إمكانياته خطيره جدًّا.

(*) ديجافو: هو الشعور الذي يشعر به الفرد بأنه رأى أو عاش الموقف الحاضر من قبل. يلازم هذه الظاهرة شعور بالمعرفة المسبقة وشعور بـ«الرهبة» و«الغرابة» أو ما سماه عالم النفس فرويد بـ«الأمر الخارق للطبيعة». التجربة السابقة التي يهيأ لنا بأننا عشناها عادة ما تكون زارتنا في أحد أحلامنا.



ـ ولكن في بعض الحالات تثبت بأن فعلًا ما نشعر بأنه موقف سابق قد كان حقيقة ووقع في الماضي والآن يُعاد.

ـ الموضوع بسيط جدًّا، مثلا، بفرض مثلًا لحظات سجلتيها فيديو صورة وصوت مع حبايبك، وتحتفظى فيها فى (فولدر) بييجى عليكى وقت تفتكرى اللحظات دى وتفتكرى إحساسها معاكى وانتى بتفتحى الفولدر وبتتفرجى، المره دى الملفات دى هتعشيها من تانى، بدون أدنى تحكم منك فيها، أنا عندى نظريه مخالفه، إحنا شفنا المستقبل فعلًا، بل وانتهينا أصلًا، بس لسه عايشين فى الماضى، حالة ديجافو، ودى نظريتى (لوحدى)، انفصال الشق الأيمن والأيسر من المخ كلام فاضى، لما بنعيش اللحظات دى بنكون فعلًا عملنا حاجه للماضى بتاعنا، فبيتهيأ لنا إننا شفناه قبل كده، لا، إحنا شفناه وعشناه قبل كده، عقلنا فى المستقبل عمل احتكاك بالماضى بتاعنا، منقدرش نتحكم فى حاجه، بس يخيل لينا إننا نقدر والحاله المسيطرة علينا، كل حاجه بتحصل أو هتحصل شفتها قبل كده، ده لأنك فى المستقبل حابب ترجع للحظاتك بالماضى، فبيحصل حالة ديجافو الشهيرة، يعنى لو فهمتى قصدى، إنتى ممكن ترجعى للماضى فى أى وقت، بس الجهاز ده بينشط الجزئيه دى، اللى فى المستقبل هتكون عادى جدًّا، الميت مثلاً أول ما بيموت، شريط حياته بيعرض قدام عينه فى لحظات بأدق التفاصيل، ده لأنه قدرات المخ بتبقى فى أقصاها فى لحظات الموت، فبيبتدى يعرضلك شريط حياتك بأدق التفاصيل. والجهاز ده بيخلينا نختار لحظات معينه نعيشها، لحظات هنشوفها فى حياتنا مرتين، مره لما عشناها، ومره فى آخرتنا لما بيعرضها علينا مخنا.

تجيب (راندا) بإيماءة من رأسها بالموافقة قائلة:



ـ كنت قلتلى الكلام ده قبل كده.. وموافقه!

ـ وبعدي عليها تانى، هتسمعى صوتى بوجهك من هنا، لأجمل لحظات كنتى عايشها فى حياتك مع حبيبك القديم، بس فيه تحذيرات مهمه، الجهاز ليه أعراض جانبيه ولسه معرفناش ايه هى.

تقول فى سرعة:

ـ عارفه عارفه، موافقه على كل حاجه!.. كمل بقى.

يراقب حسام نظرات صلاح، الذي فعل واجبه بالكامل تجاه السيدة، وتحذيراته المستمرة لها، قائلًا بحزم:

ـ اللى هتعمليه دلوقتى، استرجاع أحد الملفات اللى بيحتفظ بيها المخ، وخلى بالك من نقطة (ملف) دى، هنفتح الملف، وهترجعى بكل كيانك للحظات من الماضى، هيحتل عقلك المستقبلى كيانك فى الماضى.

ـ مفهوم.. مفهوم؟

دسَّ وحيد ذلك المحقن فى عروقها كي يستريح جسدها، ويطفو نشاط المخ، الذى استجاب للتنويم المغناطيسى لصلاح. ذهبت الفتاة فى نوم عميق. قال لها صلاح:

ـ عايزك تروحى لأجمل لحظه عشتيها فى يوم مع حبيبك القديم..

وبصمتٍ، استجابت السيدة، وذهبت إلى النوم الطويل، والعميق أيضًا، لا أحد يدري ماذا ترى! لكنها الآن تبتسم، كالأطفال الصغار عندما يخلدون إلى النوم فتظهر على ملامحهم الابتسامة والبراءة. الجميع شعر

أنها طفلة وليدة، أحنت حاجبيها عدة مرات، حدقتاها تتحركان يمينًا



ويسارًا بشكل مختلف عن المعتاد، ربما لاحظ الجميع ما يحدث الآن، لقد اشتعلت شعيراتها البنية كغصون من الأوراق البيضاء، أسفل عينيها ظهرت تجاعيد حول رقبتها، التي كانت تتمتع منذ لحظات برونق واستقامة الشباب، لتجاعيد هى الأخرى، كان الجميع ينظرون إليها بدهشة مثيرة، قلت وأنا أصرخ فيهم:

ـ افصل الجهاز عنها، عمرها بيزيد يا حيوانات.

فجأة أشعلت الموقف، أسرع وحيد بدسِّ محقن الإفاقة، وفصل صلاح الجهاز وهو ينظر إلي بغضب هادر، فتحت السيدة عينها ببراءة،جميع مَنْ بالغرفة يخشى أن ترى هيئتها، فكل ما تخشاه الأنثى أن ترى تجاعيد صغيرة تُرتسم على وجهها، فتسارع بإخفائها بأداوات التجميل، فما بالك بهيئة كاملة سُرق منها عدة سنوات من عمرها وهي تجلس الآن وتبتسم لنا فى هدوء؟! قال صلاح بلكنة متوترة بعض الشيء:

ـ شوفتيه؟

ـ يوووووه شوفته وبس! أنا رجعت لأجمل لحظات كنا فيها مع بعض، تخيلت للحظات إنى ممكن أتحكم فى الأمور، لكن محصلش، مش عارفه أشكركوا ازاى يا جماعة، من كل قلبى بشكركوا، بس بتمنى تعيدو التجربة عليا مره كمان.

قال حسام فى نفسه: أى تجربة أيتها المغفلة! تُرى ماذا سيحدث بعد رؤيتك لنفسك فى المرآة؟! وتُرى كم سنين من عمرك قد اختفت فى لحظات خلال جلوسك مع الحبيب؟! وأمانيكِ بالعودة إليه تزداد، قال صراحة وهو ينظر إلى وجهها بشيء من العنصرية البشرية التي نعتادها كلما ظهرت



علينا معالم غير طبيعية من هؤلاء الذين يتمتعون بقدر هائل من السخرية عن عاهات قدرية لا شأن لهم فيها:

ـ الأعراض الجانية اللى كنت كلمتك فيها... فكراها؟

تبتسم السيدة قائلة:

ـ مش حاسه بحاجه على فكره، لا صداع ولا إمساك أو أو أو.. متقلقش.

ـ إحم إحم، هى الأعراض مش كده وبس.

أمسك ذراعه، (وحيد) ينبغى أن يصمت، لولا أن الأمر سينكشف عاجلًا أم آجلًا!..

* * *

إنه ذلك العجوز، الذي ظهر في البداية، وقام بتحذير (حسام) من قبل، وجار صلاح المجاور له بالفعل، لا يعلمون أين ولا كيف كان جوارهم فى تلك اللحظات! كان حسام قد ترك الباب مفتوحًا على مصراعيه، صرخ العجوز عندما رأى السيدة ـ وهى جارتهم بذلك المبنى ـ وقد تغيرت ملامحها إلى الشيب! صرخ الرجل بكل ما أوتي من قوة:

ـ إنتوووووووووووو عملتو إيه فى البنت يا ولاد الكلب؟! خليتوا الست يبقى شعرها أبيض ووو...

صراخ منها رج المكان بأكمله، كان المتواجدون بقرب ذلك المكان يقولون كأنه صراخ من امرأة تعبر عن فقدان أعز من تملك: زوجها أبيها، شبابها، وهى تمسك بالمرآة التى تحتفظ بها داخل حقيبتها، تنظر إلى وجهها



الذى كان يحمل وجه شاب حيوى وقد تحول لوجه أصابه العجز والكبر، تجاعيد انتشرت كالمرض،تصرخ، ثم تصرخ، ثم تلطم خديها، الجيران يتجمعون من هنا وهناك. التجمهر اجتمع أسفل تلك العمارة، العجوز يهرول، يصرخ هو الآخر:

ـ عملتوا فيها إيييييه حرررررام عليكوا حرام عليكوا..

من بالأسفل؟! تكهنوا بأن الأمر تحرش ما من هؤلاء الصبية،أو محاولة فاشلة للاغتصاب وقد توالت الصرخات لنجدتها. هرب مجموعة من الشباب الذين يتواجدون بالحجرة فورًا، حتى (حسام) و(وحيد) لم يظلا طويلًا بالأعلى.

هربا وأخذا معهما الآخرين.. تاركين (صلاحًا) وحيدًا مع منزله لا يستطيع الفرار! يواجه ذلك الجمهور العريض الذى طالب بجز عنقه، وبالفعل كالوا له اللكمات، دون السؤال عن سبب صراخ السيدة، وتلك المرأة حولها المزيد من النساء.. يخففن عنها قليلًا.

وبعضهم يشفق على ما آل إليه وجهها الذى كان شابًّا منذ ساعات قليلة.

وانتهى الأمر....

الغريب أن تلك المرأة بعدها لم تبلغ الشرطة عنه.. فالأمور هدأت...

ودمر ذلك العجوز مع رجال أشداء الجهاز الذى حوَّل فتاة تتمتع بجموح الشباب لمرأة تجاوزت الأربعين!.. سُرق منها عشرة أعوام من عمرها الثمين.

العجوز انتقم...

وصلاح أيضًا، يود الانتقام من أصدقائه الذين فروا بالمساء، والذين ـ في الصباح ـ خلعوا له قلبه وفضحوا أمره مع فتاة ادعى أنه يحبها!

سوف ينتقم.

* * *

في الوقت الحاضر...

جلس الطبيب يراقب ردود أفعال صلاح وهو يقول بتوتر:

ـ بعد موضوع الست، اتفرقنا كلنا، مبقاش فاضل غير حسام، قدرت أقنعه بجلسه واحده من التنويم المغانطيسى، فكرتو بحب هيام، ومسحتلو جزء إنها كانت فى يوم حبيبتى، اقتنع إنه بيحب هيام، وكان بينهم قصة حب كبيرة.كنت بسيبو بالأسابيع، وكل ما نتجمع أعمل معاه جلسه بسيطه بإرادته، كان بيعانى من ظروف صعبه، كان وحيد ملوش أهل ولا حد يسأل عليه، أقنعته إن الونس الوحيد كان حبه لهيام.

يسأل الطبيب فى حذر:

ـ ازاى عرفت أسرار هيام ووصلتها لو؟

ـ هيام سابت معايا كتاب كان مكتوب فيه مذكراتها، كانت بتكتب عنى حاجات كتيره، غيرت صيغتها وخلتها بتخاطبو هو مش أنا، بينهم أسرارها الخاصة جدًّا، مستحيل كانت تقولهم غير لواحد حببها...

يصمت الطبيب ونظراته تحمل الكثير من الاحتقار، فأكمل قائلًا:



ـ كان كام عدد الجلسات اللى من خلالها أقنعت حسام ينتقل عبر الآله للماضي؟

ـ عشرين جلسه.

ارتفع حاجب الدكتور بهلع وهو يقول:

ـ ازاى يا بنى تعمل كده فى صحبك؟!

ـ أنا مليش صحاب، وكان لازم آخدحقي منهم.

ـ تقوم توهم صحبك وتخدعه وتخليه كمان يقوم برحلات للماضي تسرق بيها عمره؟! إنت من أنهى نوع من البني أدمين؟!

قام وانتصب واقفًا وهو يمط شفتيه:

ـ من النوع اللى محبش اتلام، تؤمرنى بأى حاجه؟!

قال الطبيب بخشونة:

ـ هيام.. حصلها ايه؟

ـ هيام؟!.. مالى بيها؟

ـ مالها ازاى؟ راحت فين، وفين هيا فى الأحداث الأخيره؟

تراجع صلاح عن الذهاب خارجًا. قال بحذر:

ـ سبتها بعد اللى عملو حسام فى الكافيتيريا.

ـ وإنت عايزنى أصدق الموضوع بسهوله كده؟ إنت شخص أنانى مش ممكن تسيب حاجه غير لما تجيب آخرها.

ـ تقصد إيه؟

ـ موضوع حسام وهيام منتهاش زى ما حكيت.. حصلت حاجات تانيه عارفها ومخبيها.

قال بازدراء:

ـ اللى حكيتو اللى أعرفو بس يا افندم.. لو فى حاجات تانيه كنت قلتلك.

قال الطبيب بحسم:

ـ مش هتقولى أنا مع الأسف.

هنا دخل ثلاثة يرتدون الزيَّ الرسمى لرجال الشرطة، الأعلى رتبة تقدم نحو الطبيب وقام بتحيته، واثنان يرتديان زيَّ العساكر التفا حول صلاح الذى كان مذهولًا، سمح للطبيب بالحديث:

ـ التسجيلات كلها اللى حصلت فى المستشفى متسجله يا صلاح بأمر من النيابه.. ده تفسير للمعامله الصارمه اللى استقبلوك بيها هنا!

صعق صلاح وكأن لسانه قد حُشر داخل جوفه، فلا يستطيع التعبير سوى بعيون جاحظة مذهولة، وهو ينظر إلى مصيره!.. فقد اكتشفوا الأمر بخدعة متقنة. قال صلاح وكأنه يستجدي النجاة من الضابط الأعلى رتبة:

ـ أنا معرفش حاجه.. كل اللى اعرفو حكيتو هنا، صدقونى.

لا يلتفت الضابط إلى صلاح إنما وجه انتباهه. قال للطبيب:

ـ مش عارف اشكرك ازاى يا دكتور، دلوقتى بس هتظهر الحقيقه، مكنش هيحصل غير بمساعدتكم هنا.



أخرجا (صلاح) كالممسوس، كان ينقصه الزى الأبيض المميز للمصابين بحالات نفسية صعبة وخطرة، وجارى نقلهم إلى مشفى للعلاج النفسي، كان يود التملص منهم وكأنه لم يستوعب الأمر!.. لقد وقع كغر ساذج.. وتركا الطبيب والضابط فى الغرفة وحدهما. قال الطبيب:

ـ كده كده هيعترف..

قاطعته سيدة مسنة دخلت الغرفة بهدوء، أطاحت بها سنون عمرها اتزانها، فقد اتكأت على عصا، وغطى وجهها تجاعيد وعلامات جدية، حتى أصيب وجهها بالعبوس الدائم، ساعدها الضابط بالجلوس. قالت بامتنان:

ـ شكرًا يا بنى،طمنى اعترف ولّا لسه؟

أسرع الضابط بقول:

ـ لسه يا حاجه، بس إحنا وراه لحد ما يقول وداها فين.

قال الطبيب متسائلًا:

ـ هى متغيبه بقالها قد إيه؟

تنبهت لوجوده كأنها لم تلحظ وجود شخص بالغرفة سوى الضابط فقط، فقد أسرعت تتحدث ببطء وهي تنظر إلى الأسفل وكأنها تتذكر أشياء مع ابنتها:

ـ بقالها أكتر من خمس شهور يا بنى.. دورنا عليها في كل مكان. عند عمتها فى المريوطية، وخالها فى الإسماعيلة، مسبناش مكان غير لما دورنا فيه.

تتساقط دموعها عنوة، كأنها كانت تكابر، أو معتادة على الحزن دائمًا:



ـ بنتى الوحيده، هيام بنتى، معرفش عنها حاجه. لقوها يا بنى، دورو عليها، دى زى اختكو الصغيره، دى طيبه قوى وعمرها ما أزت حد ومليش حد غيرها.

تقدم نحوها الطبيب وربت على كتفها فى حنان:

ـ متخفيش يا ماما، هنلاقيها بإذن الله.

ـ عايزه أسمع صوتها وأعرف إنها بخير بس..

تأثر الضابط كثيرًا لذلك المشهد، فقد كان حزنها كفيلًا بتفجير عاطفة أعتى الرجال لذلك، ويهرعون لخوض حرب شعواء. قال كلمته الأخيرة قبل الخروج:

ـ كنت عايز أسأل سؤال يا حاجه.

توجه وجلس أمامها مباشرة، قائلًا بجدية:

ـ مكنتش قريبه من حد الفتره الأخيره؟ مكنش ليها صحبه مثلًا؟

تقول السيدة ببطء:

ـ لا يا بنى، هو بس خاطبها، مكنتش بتتحرك من غيره.

ـ إسمو إيه خاطبها ده؟

تصمت مجددًا وكأنها تتذكر اسمه:

ـ إسمو (حسام محمد على).

* * *



أغمض عينيه (حسام) بالماضي...

لا يدري أين يتجه! قد تملك زمام أمور السفر عبر الزمن بأكمله، رغم أنه لا يوجد موجه، رغم أنه لا يسمع سوى صدى صوت (وحيد)، رغم أنه ـ بالفعل ـ قادر على التوجه لأقصى حدود يريدها بالفعل. لقد صب جُلَّ كيانه نحو الاتجاه إلى المستقبل القريب، لقد ظن عقله أن هناك حدثًا هامًّا، قام بربطه بهيام! بالفعل، آخر حدث تواجدت فيه هيام، آخر لحظة رآها وشعر بوجودها، ذلك الوقت، شعر بوجودها معه في لحظات قريبة. عاصفة عاتية، ريح قوية قادرة على انتزاع أمتن المنازل صنعًا. لقد تلاشت، وأصبحت كالتراب، كل شيء أصبح كالتراب، العالم بأكمله تحوَّل لكتلة رملية قائظة الحرارة، بل شديدة الحرارة لدرجة قادرة على إذابة جبالٍ من الجليد!! الأمر حتمي اليوم، إنه يرى (هيام).. ويشعر بدوار، لا يستطيع التنفس، إنها الآن مقيدة، وتجلس فوق كرسي خشبي مكممة الفم، لا تقوى على الحركة، تحاول الفرار من ذلك المأزق ولا تقدر، كان هو الآخر مقيدًا، ويجلس أمامها، كانا داخل مصنع حديث التكوين، لا يوجد سواهما، الأمر معقد للغاية! يحاول حسام ترجمة ما يحدث، وكيف أتى إلى هنا! كيف أتى إلى ذلك المكان الذى أدرك بعقله أنه يستقر داخل الصحراء! لا يدري أين أتى! لكنه أتى رغمًا عنه ها هنا. توجد مكبرات للصوت فى كل زاوية، وجهاز حديث ثالثهم يحمل شاشة كمبيوتر. كانت هيام تحاول أن تصرخ، وعيناها أغرقهما الدمع، أما حسام فكان مكبلًا ولكن ليس مكمم الفم مثلها، ينظر إليها، ولا توجد معانٍ تتجمع داخل عقله لنطق شيء مفهوم، يبدو أن رأسه نزف دمًا قاتم اللون منذ ساعات، وتجلد على وجهه وهو يقول ببطء:



ـ هو راح فين؟!

تومئ يمينًا ويسارًا وهي تبكي، وتتوسل بأن ينقذها، لذلك قال وهو يدرك ما يجول حوله الآن بالفعل، تذكر عقله ما حدث ويدركه الآن..

بعد ذلك الحادث الشهير، تفرق الجمع بعد ذلك الحادث: الأصدقاء، وانفصاله عن صديقه الذى لم يكن كذلك (صلاح). وقد حاول التقرب لـ(هيام) مرة أخرى، لقد فعل المستحيل كي يكون جوارها، مفارقات عديدة، حتى أصبحت بالفعل كل حياته، وقد ارتديا خواتم الخطبة بالفعل. وكانت صورهما قد ملأت السوشيال ميديا وهما ينظران لوجه بعضهما ووجهما يحمل ابتسامة واسعة، وحبًّا هدفه الاستمرار إلى النهاية. بعد أربع سنوات لم ينس (صلاح) ما فعلوه به، فقد أثارت صورتهما غيرته ومقته وأحيوها من جديد بعدما دُفنت داخل الرمال، لم ينس ذلك الثأر القديم، (سيدفعون الثمن) لقد كان يكِنُّ كل الحقد لـ(حسام)، و(هيام)، حسام صديقه الذي حاول تفرقته عنها، والذي فتح بابًا للعجوز لكشف أمره وفضحه أمام البشر، هروب الأصدقاء، ووو...

لم ينس..

ولن ينسى..

لقد أرسلت تلك السيدة التي سُرق من عمرها عشرة أعوام رجالًا أشداء كي يعطوه درسًا قاسيًا. بعدما فقدت عمرها بإرادتها وقد اختارت السفر إلى الماضي، ولم تهتم بعيوب ذلك الجهاز الذي حضرها منه مسبقًا، رغم أنها كانت مستعدة للتضحية بعمرها بأكمله مثلما قالت مسبقًا، لكنها أدركت أن الماضي قد رحل وانتهى، والآن تريد استرجاع شبابها وإعطاء



درس غير مدروس لذلك الشاب، وفي محاولة بائسة منها لا تدري هدفها، أرسلت نحوه رجالًا أشداء أوسعوه ضربًا، وقاموا بتكبيله، وحبسوه فى غرفته سبعة أيام كاملة دون طعام أو شراب، ودمروا كل شيء يمت للاختراع بصلة، ولقد زرع فيه حب الانتقام الدامي، كره الجميع. وتحاشاه الجميع أيضًا. وقد عزم وشرع فى صنع جهاز آخر أشد تطورًا، فلم يدمروا الأوراق التي نُحت عليها ذلك الاختراع بعدما تركه زملاؤه له وفروا بعيدًا، وقام بتطويره، حتى تلافوا العيوب السابقة.

وعليه إجراء التجربة على بشر..

وها قد حانت لحظة الانتقام والتجربة معًا.

حسام هو عدوه الوحيد.. رغم الافتراق الحتمي، فقد تركه وذهب لها، وحاول التقرب منها بأي طريقة. عدة محاولات فاشلة، وعلم صلاح أخيرًا أنه قد نجح بالتقرب إلى قلبها وفاز بروحها أخيرًا. قد باعه بأبخس الأثمان وفاز بها. استغنى عن صداقته، وفضَّل البقاء جوارها. بالنسبة لهيام فهي الخائنة التي هربت وهرعت نحو صديقه، وقد وضعها ضمن لائحة الفتيات الخائنات، رغم علمه أن (حسام) أحبها قبله بأعوام، لكنه كان فقير الرجولة وقليل الذكاء، وبالنهاية تركته وذهبت إلى حسام اللعين. ويجب تنفيذ التجربة عليهما..

وقد أحضرهما إلى ذلك المكان المنعزل عن البشر. لو حدث وماتا لن يعلم بشري بذلك الأمر، فقد ذهب لزيارته حسام فى مكان عمله، وقد اعتبرا اللقاء مجرد صدفة، وتحدث إليه طويلًا عن أيام صحبتهما وعن كل شيء قديمًا كان يجمعهما، وأخفى حقده ومقته لهما، فأخبره أن يأتي بصحبته إلى ذلك المكان اليوم، حيث اختراعه الجديد، الذي يوشك على الانتهاء،



فها قد سرق هاتف حسام بعد أن وضع داخل كوب الشاي الساخن مخدرًا فعالًا، وانتشل هاتفه المحمول، وبعث برسالة لهيام باسم حسام أخبرها أنه في حاجة إليها. وقد أتت لنجدة حبيبها الوحيد.. وفور مجيئها، لم تقاوم ونفذت الأمر وقبلت التكميم، فور رؤيتها لحسام فاقد الوعى، قد نشرت النيران فى صدره عندما قالت بصوت جليٍّ: (أحب حسام) (ولم أحبك مطلقًا)، (أنت مريض)، (مستعدة أن أموت من أجله فقط). أشعلت فتيل الغضب داخله أكثر وأكثر، صفعها، وبكت، وهي تنظر لحسام وهو فاقد الوعى تستنجده أن يفيق، وبعدما فتح عينيه، فرحت وازدادت فى البكاء أكثر وأكثر، هي تعلم أن ذلك اليوم لن يمر مرور الكرام، هناك حدث قوي سوف يحدث خلال لحظات، أحد الأشخاص سيفقد روحه! هنا استمع الاثنان صوت الأخير عبر مكبرات الصوت يقول:

- أهلًا وسهلًا.. حسام وهيام صحابى العزاز، لا... تؤتؤتؤ! سورى حبيبتى السابقة وصديقى الفاشل اللى هرب وسابنى مع الواطيين اللى كنت بقول عليهم صحابى، لو كنت عرفت مكانهم كنت جمعتهم، بس اعمل إيه بقى؟ ملقتش غيركم. تصدقو أول مره ألاحظ تشابه الوزن والقافيه فى إسمكم (حسام) (هيام) ها ها ها ها، صدفة صح!

قال حسام وهو يتألم بصوت مشوش:

- صصصصصلاااااح خررررررج هيام من اللعبه دى أرجوووك.

يقول بسخرية:

- إيه بتقول إيه مش سامع؟

- خرج هيااااام من الموضوع.



ـ آآآآآآة هيااام.. تصدق حرام فعلًا يلاااا، عايز تطلع بطل قدامها؟ (بنبرة غاضبة مرتفعة) فاكر يلا لما كنت تجيلي وتقولي أعمل إيه معاها علشان تعجب بيا؟ فاكر ولّا لاااا، فاكر لما كنت بتجيبي تعض في وسطنا عامل.

بصوت واهن حاول التملص من حالة الإغماء المسيطرة على كيانه قبل القيود، ثم قال بصوت واهن يحمل الضعف:

ـ الموضوع اتنسى وعدى عليه سنين.. إية اللى فكرك دلوقتى تنتقم؟

يقول صلاح وكأنه يقضم بالفعل من تفاحة حتى استمعا إلى صوته وهو يأكلها ويلوكها:

ـ موضوع إيه اللى اتنسى؟ ها، لا وإنت فاكر إنى من النوع النساى؟ يبقى معرفتنيش كويس يا صحبى مفيش حاجه فى حياتى تتنسى، أو حد غدر بيا أعديهالو بالساهل. (يقضم من التفاحة مجددًا) ثم يكمل:

ـ عارف الست اياها عملت إيه؟ أقولك أنا، الست محترمه بصراحه، لا بلغت بوليس ولا عملت شوشره، جابت ناس عملولى تهتك شبكية فى العين الشمال، وكسر فى الضلع التالت. بص بقى، قطع الرباط الصليبى مش لرجل واحده زى لاعيبة الكورة لا، الاتنين يا زميلى، أنا عارف إنو بييجى لناس اللى بتفهم وبس، بس شوفت قدرت أغلب لاعيبة الكورة.. الكلاب كتفونى ورمونى فى أوضتى وقفلوا عليا لمدة أسبوع، تخيل بقى صاحبك استحمل قد إيه، بالمناسبة.. الرجاله كانو محترفين، كبلونى بسلاسل من حديد وعليه أقفال سقع ماتتفكش، يعنى رمونى وهما عارفين إنو كده كده هموت، وبعد أسبوع كامل بالتمام والكمال جم فكونى ورمونى تانى، تصدق واحد صعبت عليه، آآآآةخخخخ. قاللى الست كانت عايزه إننا نكسرك



ومتعرفش تقوم على رجلك من تانى، استحملت كتير يا صحبى، اتعالجت شهور فى المستشفى، أوض العمليات اتعودت عليها، والجراحات موتتنى لدرجة إنى فكرت اتجوز الممرضة. هعيش ازاى كده؟ غرف عناية مركزة خلاص اتعودت عليها، خرجت بعد فترة طويلة لقيت الست مشيت خدت حاجتها وطفشت وسافرت بعيد ومحدش يعرف راحت فين. بصراحه كنت ناوى أعمل معاها الصح واكتفها زى ما عملت معاكوا كده وأمسح ذاكرتها، بس فلتت بنت الأبالسة، أهلى سفرونى أتعالج بره، وأول ما خفيت رجعت تانى، أهو واقف على رجلى، آةةة مش هلعب كوره زى الأول... هههههه بس مجهزلكوا حاجه هتبسطكوا قوى.

ثم ظهرت من خلف الحائط، تمشى ببطء، وهو ينظر إلى هيام بنظرات متعجبة، كأنما يقول: لماذا تلك الملامح العابسة يا فتاة؟! كانت تعانى من الإعياء الشديد، والبكاء والدمع يملأ وجهها، نظرات التوسل تطل من عينها الدامعة، ولا تستطيع نطق كلمة واحدة. قام بمسح دمعة هابطة من عينها، وهنا صرخ حسام:

ـ إياااااااك تلمسها يا كاااااااااالب. إبعد إيييييدك عنهاااااا.

ينظر له صلاح بتعجب قائلًا:

ـ أووووووه سورى معلش إنك هنا، اعذرنى يا سديكى،بس هى كانت حبيبتى الأول، وكانت بتسمحلى بمسح دموعها.

حاول التملص من القيود ومن حالة الألم فى الرأس الذي كاد يقصم جمجمته لنصفين، ألم رهيب لكنه تجاهله في تلك اللحظة، ود لو فتك به في تلك اللحظات وجز رأسه من القاع، (إلا هيام) لو سنحت له لحظة حرية،



لقطع يده من دابرها! ولا زالت هيام فى حالة شبه انهيار.

أبعد يده عنها فى سرعة:

ـ حاضر حاضر، براحه على نفسك، مش هلمسها تانى يا سيدى. إهدى كده علشان أعرف أتمم التجربة بتعتى عليكوا بقى. هى دى المفاجأة.

ـ تجربة إيه يا (كلمات خارجة)، فكنى دلوقتى بدل م...

قاطعه بحزم:

ـبدل إيه هاااا.. هههههههه عايز تعمل إيه؟ واضح إنك مش عارف الحاله اللى إنت فيها يا صحبى، إحنا فى الصحرااااا.. عارف يعنى إيه صحراااا؟ الحبل اللى مربوطين بيه بيزيد كل ما بتحاول تتخلص منه، هيقتلك بالشكل ده تؤ تؤ تؤ، المقاومه هتزود عليك المعاناه على فكره، ما علينا، الأجهزه الأربعه مش سماعات على فكره المترصه حواليكو بشكل مربع، دى أجهزه مولدة طاقات كهرومغناطيسية، فاكر نظرية الحقل الموحد(*) اللى شغلتكم بيها أيام الجامعة؟ تجربه اللى عملها البروف العبقرى (آينشتاين)(**) لما أخفى

(*) حقيقة علمية.

(**) نظرية الحقل الموحد لـ (ألبرت آينشتاين) عمل (ألبرت آينشتاين) منذ أوائل سنة ١٩١٦ على دراسة ما أطلق عليه اسم نظرية الحقل الموحد Unified field theory محاولًا إثبات أن الجاذبية ليست قوة في حد ذاتها وإنما هي اندماج أو تناغم بين عدة قوى أخرى على رأسها المجالات الكهرومغناطيسية للأرض.وفي عام ١٩٢٧ بدأ بصياغة نظرية الحقل الموحد مع نظرية تبادل الطاقة التي تقول إن كل نوع من الطاقة يمكن أن ينشأ من نوع آخر منها تمامًا، كما يمكن توليد الكهرباء بواسطة مغناطيس في المولدات الكهربية العادية، وهنا وضع العالم الفيزيائي يده على حقائق نظرية تنشأ من مزج الطاقة الكهربائية بالمجال المغناطيسي للأرض والجاذبية الأرضية والأشعة الكونية والنووية معًا. في سنة ١٩٤٠ نشر (آينشتاين) نظرية الحقل الموحد في إحدى الصحف الألمانية لأول مرة، فجذبت اهتمام البحرية الأمريكية، وتم تعيينه من ٣١ مايو ١٩٤٣ وحتى ٣٠ يونيو ١٩٤٤ ونقل (آينشتاين) مكتبه من البحرية=



سفينه كاملة بطاقمها كله. (بابتسامة عريضة تشابه ابتسامة من فقد عقله) أنا هخفيكوا زى ما عملوا كده بالظبط،

هنا انتبه حسام إلى ذلك الأمر، تناسى كل شيء عن إصابته برأسه، لقد كان الأمر أبشع مما كان يظن، لو فعلها ذلك المخبول الحائر بين الجنون والعبقرية! سوف يجرى عليهما تجربة حذر منها آلاف من العلماء، تجربة إخفاء الجسد المادي، هو يعلم تلك التجربة حقًّا وقرأ عنها كثيرًا.

تجربة خطيرة بالفعل قد تودى بحياتهما لو فعلها حقًّا.

قال صلاح بابتسامة تحمل الكثير من الانتصار:

ـ أدينى عرضت عليكم اللى هيحصل معاكوا بالتفصيل، علشان موضوع الشفافية، وعلشان كمان ما تقولوش مقالش.

تحاول هيام الصراخ ولا تقدر، أما حسام فقال بكل ما أوتى من غضب:

ـ عيل مريض مجنون جبان، اللى منعك عنى إنك رابطنى يا ابن ستين كلب. لو هيام حصلها حاجه مش هرحمك.

ـ ششششت... ولد إيه الكلام اللى بتقولو ده؟ هيحصلكوا يا حبيبى، مش لوحدها. خلاص قُضى الأمر، هتعيشوا تجربه وهسجلها عندى، والتجربة دى هتعتبر نقله فيها تطوير اللى عملو البروف آينشتاين، التعديلات دى بقى هتخليكم تختفوا كإنكم مش موجودين.. الكراسى اللى قاعدين عليها

=إلى فيلادلفيا، كما تقول الوثائق الرسمية من ١٨ سبتمبر ١٩٤٣ وحتى ٣٠ أكتوبر من العام نفسه، وهذا يرجح ـ إذا لم نقل يؤكد ـ أنه أجرى بالفعل تجربة علمية على تأثير «الحقل الموحد» وفقًا للتواريخ والملابسات.



مصنوعه من ماده خاصه بتمنع الآثار الجانبيه لتجربة آينشتاين.. أقصد يعنى مش هتمتزج مع أجسامكوا. تلافيت العيوب دى اطمن، على فكره أخدت حذرى المره دى، ومنها بقى لو نجحت، الموضوع معاكوا يعنى، هقدر أقدم اختراعى قدام العالم كله، وهكون أشهر من آينشتاين، وساعتها هحقق أكبر نجاح، هحقق حلمى، بس الأول لازم تنجح التجربه عليكوا،أنا جبت كل الأجهزه اللى استخدمها آينشتاين، بالظبببببط، مش عارف إذا كان الأثر الجانبى مؤلم ولا لأ، بس فى الأخير إنتوا تستاهلوا يا حبايبى.

حاولت هيام أن تفك القيد وتتألم كلما حاولت، تود قول شيء ولم تفلح، حاول حسام بكل عنف أن يقاوم، ولم يفلح هو الآخر، قال صلاح بتلذذ:

ـ دلوقتى يا جماعه أنا هدوس على الزر الأحمر ده، متقلقوش.. أنا فى الأوضه اللى جمبكوا براقب، الأوضه محصنه ومطليه بمادة الرصاص، هتكونوا جوا علبه محكمه.. بس متخفوش عليا، شايفين الإزاز اللى باين قدمكوا ده؟ زى اللى بيحصل فى أقسام البوليس الغربى يا ساده، أقدر أشوفكم من جواه وإنتوا لأ هههههه، هقدر من خلالها أشوف التجربه بوضوح. دلوقتى نبتدى التجربه..

قال حسام بثورة:

ـ طول عمرك مجنون وأنانى ومبتحبش غير نفسك،ملكش عزيز ولا غالى، هتموتنا. عاااااااارف يعنى إيه (محاولًا فك قيوده) طول عمرك غدااااار، الكل بعد عنك.. هتفضل طول عمرك لوحدك، حيواااان تستاهل اللى جرالك من الست وغيرها. (يحاول فك قيوده وهو ينظر إلى هيام التى أوشكت على الانهيار والدمع يغطى وجهها باكمله)، إوعى تفتكر إنك خلاص كسبت، لا، أقسملك لو انكتبلى أخرج من هنا لهقتلك، هقتلك يا صلااااااااااح..



ـ خلصت ولّا فى تانى؟...

دون تردد وبهدوء شديد..

ضغط على الزر الأحمر.. غيوم أحاطت الغرفة، غيوم بهالة خضراء، فكَّت (هيام) ذلك الشريط اللاصق من فمها، وصرخت كما لم تصرخ من قبل، أما حسام فك جزءًا صغيرًا، وحاول الاقتراب منها ولم يفلح. قالت هيام متوسلة: (أرجوووووك لاااااا... أرجوووووك... أرجوك). انتشر حولهما شىء أشبه بالدخان الأخضر القاتم وكأنها غيمة خضراء انتشرت بكل عنفوان داخل الحجرة، أخذت فى الاتساع أكثر وأكثر، وكأنها تلتهم كل من حولها داخلها. صلاح يجلس منتبهًا بكل تمعن، يراقب وتتسع حدقتاه، لم يبالِ بالصراخ ولا محاولة فك القيود، لقد اتسعت ابتسامته أكثر وأكثر وهو يرى السحب الخضراء تلتهم من يجلس داخل الحجرة، رويدًا رويدًا، عقارب الساعة أنهت المدة بزوال عشر دقائق تقريبًا من التجربة.. تلاشت السحب الخضراء، لتترك الحجرة فارغة على عروشها، لامعة لا يوجد بها شيء حي، أو أثر حتى لوجودها.

لقد اختفى حسام وهيام عن الوجود!..

* * *

فى الوقت الحالى...

جلس صلاح يرتعد داخل غرفة الاستجواب بداخل السجن. قال الضابط بصوت صارم:



ـ هيام راحت فين؟

ينظر له بنظرات عجيبة محملقًا فى وجهه، وكأنه طفل صغير اختطف قطعة من الأكل دون علم أمه ويحاول تبرئة نفسه، ينظر يمينًا ويسارًا، وكأنه يبحث عنها مستند إلى جوارها! توترت أعصابه، فأخذ يعزف بأصابعه على درج المكتب الذي كان أمامه مباشرةً، وكأنه هو الضابط أو صاحب اليد العليا ها هنا! ثم انتشل يده، وحجب وجهه بكلتا يديه وهو ينظر أرضًا، ثم قال:

ـ اختفت!

ـ أيوه راحت.. عرفنا إنها اختفت ومعاها حسام.. راحووو فين بقى؟

ـ بص.. كل الحكايه إنى أقنعتهم بتجربه علميه، الاتنين كانوا موافقين عليها، حتى بص.

أخرج من جيبه ورقة، كانت تحمل الكلمات الآتية:

نقر نحن حسام وهيام بقبولنا الخضوع لتجربة علمية، ونتحمل كامل المسئولية، نتحمل أضرار التجربة من أجل الوصول لأفضل النتائج العلمية التي تخدم بالتبعية رفع شأن البلاد العلمية..

إمضاء: حسام محمد على   إمضاء: هيام متولى سعيد.

ـ بعد التجربه شغلت الجهاز ورجعوا مرة تانيه، حسام كان بيهلوس وفى حالة إعياء، وهيام اختف ومرجعتش، أخدت حسام وبعدته عن الغرفه، كان فاقد الذاكره.. اللى كان شاغلنى ساعتها إن التجربه نجحت وقدرت أخفيهم وأخفى كل حاجه الوقت ده.



قال الضابط بنفاد صبر:

ـ ولاااا عرفنا إنك حشرتلو ذكريات، وإنك وهمتو إنو اتجوز البنت وعملت منه فار تجارب، وخليتو يجيلك علشان يشوفها فى الماضى.. وديتها فين وإلا أقسم لخليك تندم على اليوم اللى جابتك فيه الست الوالده!

ـ حشرتلو الذاكره دى علشان لقيتو متمسك بيها يا فندم، عملت كده علشان أخدمو بس.

ـ وديت هيام فين يلاااا؟!.

ينظر له صلاح بتمعن، وقد علم ما يكنه له ذلك الضابط، علامات التساؤل واللهفة لمعرفة أين مكان الفتاة المطلة من نبرة صوته تحمل تعاطفًا، وكأنه أدرك أنه أصيب بمرض نفسي، وكل ما يريده معرفة مكان هيام ليس أكثر! ولن يلبث خلف الأسوار الحديدية ولا يومًا واحدًا، فإذا علموا بمرضه النفسي البحت، سوف يتركونه داخل مشفى خاص للطب النفسي، لو لبث عدة أشهر لن يضر، حتى لو كانت جريمته القتل العمد، سوف يعود مرة أخرى لممارسة اختراعاته المجنونة... لذا أخذ حيطته جيدًا وهو يقول:

ـ هيام فى الصحرا.. هتلاقوها هناك..

ـ بتعمل إيه فى الصحرا يا روح امك؟!.. إنت هتستعبط؟!

صمت صلاح طويلًا وكأنه يتقبل الإهانة بصدر رحب، كأنما صفعه الضابط على وجهه بجملته الأخيرة. قال بهدوء:

ـ تعالوا معايا وأنا أوريهالكوا.

ـ عملت فيها إيه؟



قال بعناد مثل الأطفال بعدما أقنعه أنه يعاني مرضًا عقليًّا:

ـ لما تيجى هوريكوا هيا فين.. ده اللى عندى..

أخذه أحد العساكر بعدما أشار إليه الضابط بجدية.. وبعدما خرج صلاح بصحبة العسكرى رفع الهاتف على أذنه:

ـ بيقول إنها هناك فى الصحرا، جهزوا العربيه وخمس عساكر. هنروح دلوقتى نشوف البنت.

أغلق الهاتف بحزم، وهو يفكر.

ماذا جرى لهيام؟!

* * *

في الماضي...

أخذ صلاح يجره جرًّا بالكرسي الذي يجلس فوقه نحو غرفته. كان فى حالة ما بين الصحوة والغفوة محموم ينظر الى اللا شئ، أجلسه أمامه مباشرة، كان يكن كل مشاعر الحقد نحوه، ربما بقليل من الشفقة فى ذلك الوقت، لكنه أنَّب ضميره على ذلك الشعور، ثم إزالة ذلك الشعور بسهولة. قال وهو يلطم وجه (حسام) بخفة قائلًا:

ـ حسام، فوق، فوق يا يلااا..

لكنه لا يستجيب، كأنه تمثال، لا يحمل وجهه أى تعابير، دسَّ فى عنقه محقنًا جعله يغيب عن الوعي، وذهب إلى هيام. قال مبتسمًا:



ـ أوووه هيام مالك؟ حتى انتى مش عايزه تردى عليا؟

كانت تحملق في سقف الغرفة بانصعاق، وكأن بالأعلى وحشًا مخيفًا! لقد لامس خدها بنعومة محرومة من لمس النساء قائلًا:

ـ وحشتينى قوى. تخيلى.. كنت فاكر إنى مش هلمس خدك تانى! عايز أطلب منك طلب صغير لو تسمحى يعنى، تسمحيلى اتجوزك؟ آة يا ستى عايز اتجوزك وهنا حالًا، موافقة؟ ياااااه أنا فى منتهى السعاده.

أمسك أطراف الكرسي الذي كانت تجلس فوقه بهدوء وحذر شديد، وجره بعيدًا إلى الخارج قائلًا فى شىء من المرح العجيب متلذذًا بنصره:

ـ لأ لازم نطلع بره مينفعش جوا.. تعالى بره فى الهوااااء الطلق...

لقد أتم الأمر، وقام باغتصابها بشهادة رمال الصحراء الواسعة، اغتصاب شىء فارغ من المقاومة، وأمام أنظار الطير المحلقة، التي لو كانت تحمل ألسنة لنطقت وقالت (ملعون)! ينظرون إلى (هيام) التي كانت كالجثة، لا تبدى اعتراضًا ولا تدرى ماذا يحدث لها، كأنها ذهبت إلى عالم آخر! كان هو أشبه بمجنون ثائر، لا يحمل أدنى عواطف تمنحه لقب آدمي، وما إن فرغ منها، حتى حرك يدها اليمنى قائلًا:

ـ هيام.. أنا خلصت خلاص.. هياااام مالك؟ مبتتحركيش ليه؟

لقد انتشرت الزرقة، وانطفأ وهج الحياة بعينيها، وأسلمت روحها وذهبت عند بارئها. بهدوء فتح مقلتى عينيها، جسَّ نبضها، لقد توقفت عن المقاومة، وذهبت إلى العالم الآخر..

ربت على رأسها بهدوء كأنما يلومها، ثم ضغط على رأسه بيديه قائلًا:



ـ أنا نمت مع جثه!... (وكأنه يحدث جمهورًا عريضًا) حد يقولى هى ماتت قبل ولَّا بعد.. يووووه على التفكير. المهم أنا أخدت حقى.. صح؟.. صح!

لم يتعجب كثيرًا، بدا الأمر وكأنه روتينى بالنسبة له، لقد أحضر فأسًا، وحفر لها حفرة تتسع لجسدها، ونظر إلى هناك، حيث كانت النافذة مفتوحة على مصراعيها. كان وجه حسام مطلًا بلا تعبير، وبلا أدنى حركة وهو يرى صلاح يرمى بجثمان (هيام) كالطير الذبيح يُرمَى داخل الحفرة!

* * *

يرشدهم صلاح بشىء من الجنون والتوتر والخوف، كمن فقد أوصاله داخل سيارة الشرطة. كانت والدة (هيام) تبكي فى السيارة الأخرى من التأثر، تتزن ثم تنظر إلى الصحراء الممتدة أمامها، توقفا خلف ذلك المصنع الصغير، يخرج صلاح وكأنه يفرُّ من العساكر ويتجه قرب المصنع، ولكنها الصحراء، لا مجال للفرار، هكذا ظنَّ الجنود وهم يراقبون مع الضابط، التى تكشرت ملامحه بشدة، وحزن على حزن تلك الأم الوحيدة المنتشية، وجود ابنتها الوحيدة هو هدفه، وجودها حية على الأقل، لكنه يشك، يشك بوجودها حية، توجه كيانهم نحو صلاح، الذى أشار نحو بقعة، وقام بتوجيه العساكر بصرامة، تأكدوا بعدها أنه فقد عقله، ودفن تحت أرض تلك الصحراء:

ـ احفرو هنا، هى تحت، بسرعه، البت هتتخنق (ثم فرَّ منهم وهرع مسرعًا). أمسكوه بسهولة، بعدما أوثقوا القيود بيده، والذي استسلم لهم مبتسمًا، ثم حفروا، ازداد تبسمًا عندما قال الضابط موجهًا أحد الجنود:



ـ دخلوا العربيه، علشان شكلو اتجنن، اوعى يفك منكوا.

انهارت الأم وأخذت تبكي، كأنما أفرغت المزيد من البكاء لغيابها عنها طيلة الأيام الماضية، فلم يتبق إلا القليل من الدمع! تصور الضابط المتعاطف، انهيار أكبر، وتأثر أكبر، ولم يحدث! أدرجوا الجثة بالسيارة، وأحنى يساعد الأم العجوز على ركوب السيارة، التى لم تكف عن البكاء، ولم تتفوه بأدنى كلمة. قارن الضابط بكاءها عندما كانت فى قسم الشرطة وبكاءها الآن في تلك اللحظات. قال فى ذات نفسه: أهو كبرياؤها، أم فرغت جعبة الدموع إذن؟! تلاشت تلك الأفكار وهما يغوصان ويشقان الصحراء بسيارتهم نحو المدينة فى انتظار المحاكمة، وإيداع ذلك المخبول مشفى للعلاج العقلي، يقضي داخلها المزيد من السنين حتى يموت داخلها. أُغلقت تلك القضية، وعثروا على كل الدلائل الدفينة. أما صلاح وجواره من كل صوب الجنود، ينظر إليهم ويبتسم!.. لم يلبث بعدها بإحداث ضجيج مريض من الضحك الهيستيرى. لماذا يخشاه الجميع عندما ذكر الضابط أمامهم بأن ذلك الشخص مجنون وفى يده قيود حديدية؟!



مؤتمر صحفى يهز الأركان بعد تلك الجريمة التي هزت الرأى العام العربى والعالمى.. دسَّت الصحافة أنفها داخل الأحداث، وسرب أحد الصحفيين خبر مقتل الفتاة، ووجدوا جثتها في الصحراء جوار مصنع صغير للأعمال اليدوية، لا يوجد خبر أقوى من تلك الجريمة، جريمة قتل بغرض خدمة العلم، وإيداع صاحبها مشفى للأمراض العقلية! وقام باستكمال التجربة (وحيد فيليب) و(حسام محمد على) تجربة الجهاز يمكنك من خلاله العودة إلى الماضى البعيد، ودون إحداث أى تغيير، مجرد زيارة لرؤية الأحداث هناك. عُقد المؤتمر بعد وقوع اكتشاف الجريمة بثلاثة شهور كاملة. أعلن (وحيد) عن قيامه باستكمال التجربة، ووافقت الدولة على تبنى ذلك الاختراع بعد تلافى العيوب والآثار الجانبية، والذي يُعد مكسبًا علميًّا ومحطَّ أنظار دول عديدة أوروبية، مؤتمر صحفي كبير للإعلان عن ذلك الجهاز.



داخل قاعة المؤتمرات الواسعة.

«تك.. تك.. تك».

«نرجو من السادة الصحفيين الهدوء من فضلكم داخل القاعة».

كان قائد تلك الجلسة مدير أبحاث مركز العلوم والتكنولوجيا، و(حسام) والذي كانت تبدو على ملامحه الشيب والكبر، اشتعل رأسه بخصلات بيضاء. قد بلغ الأربعين من العمر، وجواره (وحيد)، والذي كان شابًّا كما هو. لم يزد عن المعدل الطبيعي بعد، كانا قد رويا الأحداث السابقة بـ (التفصيل)، رويا ما حدث بأدق التفاصيل بين الانتقال بين الماضى والحاضر، وأجريا عدة لقاءات صحفية، ورويا القصة عدة مرات حتى ملَّا منها وأصبح روتينيًّا للغاية، وحانت الخاتمة، لم يكن شاب أو فتاة لا يعلمان بأمر تلك الآلة الحديثة بالجمهورية، وقصة حب (هيام وحسام) التي انتهت بـ(الانتقام)، وذلك الجهاز التكنولوجى الحديث الذي يختطفك ويعود بك فورًا إلى الماضى القديم كمشاهد! تغنت الصحافة بأمر تلك الجريمة وذلك الجهاز، قصة حب مؤثرة للغاية، تخلب اللب وتثير العواطف، تحديدًا العواطف التي لم تصل لسن النضوج، واستضافتهما (حسام ووحيد) قنوات عديدة حتى ظنا أنهما مطربان مشهوران أو ممثلان عالميان فى انتظار عرض



فيلمهما الأخير! تجاوز عدد مشاهداتهما عبر اليوتيوب ملايين المشاهدات، حتى أصبحا حديث العالم أجمع، لذلك عقدا مؤتمرًا صحفيًّا أخيرًا لعرض ذلك الجهاز، وتقبلا جميع الأسئلة الصحفية من جديد. كانت القاعة متخمة بكارنيهات الصحافة والإعلام ورجال الأعمال..

كان مطلع الأسئلة من شاب لم يبلغ الخامسة والعشرين من العمر، يقول بكل حماسة:

ـ ممكن أوجه للأستاذ حسام الأسئلة المتعلقة بالجريمه؟

بهدوء وحذر بعيدًا عن الميكروفون، قال مدير الأبحاث موجهًا لحسام وكأنه ينصحه:

ـ لو حابب ألغى الأسئله المتعلقه بالجريمه ممكن أقولها من دلوقتى زى ما تحب.

قال حسام بهدوء:

ـ مستعد لأى أسئله، متقلقش..

قال بإشفاق أبوي وجدية:

ـ بقول يعنى الموضوع حساس بالنسبالك، فلو حابب ألغى موضوع الأسئله وخليها كلها عن الجهاز وبس؟

ـ الجهاز موضوعه ملتصق بالجريمه، وأنا خلاص مستعد لكل الأسئله مفيش مشكله.

قال مدير الأبحاث عبر الميكروفون:



ـ إتفضل...

تنحنح الشاب باحترام، وأمسك الميكروفون وقال:

ـ السؤال الأول: إيه إحساسك لما رجعت للماضى.. وهل مشاعرك المستقبلية أثرت عليك فى الماضى؟ يعنى سبِّب لحضرتك نوع من أنواع الملل مثلًا؟ بعتذر لحضرتك. حضرتك أول واحد يرجع للماضى، الموضوع بالنسبه لينا عباره عن خيال بحت.

اشرأبَّ حسام بعنقه، وقال ـ وهو يميل برأسه ـ يعنى أنه متفهم لذلك الأمر ثم قال:

ـ الرجوع للماضي بنفس أحاسيس المستقبل ممل جدًّا، زى ما قلت قبل كده فى حواراتى التليفزيونية شىء أشبه بالصعود عدة مرات لنفس العمارة، بياخد منك وبس، شىء كويس إنك تقدر تشوف حبك القديم وزمايل الكليه مره تانيه، لكن تعيش معاهم مرتين الملل بعينه، جميل قوى لما تصور المشاهد وتتفرج عليها إنت وصحابك الحاليين وتفتكروا زمان، ده وبكل صراحه أبسط من الرجوع للماضى، بل هى أجمل ما فى الماضى، صور الألبوم القديم.

رفعت إحداهن يدها، وسمح لها مدير الأبحاث بإلقاء السؤال. قالت الصحفية الشابة:

ـ لما شفت حبيبتك اللى توفت.. سورى يعنى. جدد جواك مشاعرك القديمه؟ يعنى الرجوع للماضى بقى ليه معنى بوجودها؟

أطال النظر إليها، وصمت كل من كان بالقاعة وكأنها ألقت قنبلة! لم يكن يدرك مدى قسوة ذلك السؤال، فكل شىء يتصل بها مؤلم لأقصى

درجة، لكنه بالطبع يتقبل كافة الأسئلة، لذلك تغيرت ملامحه فى لحظة وهو يقول ببساطة:

ـ أكيد طبعًا هزّنى رؤيتها، لإنها كانت أول حب فى حياتى، حتى لو كان الرجوع للماضى ممل، هى كانت جزء كبير من تخفيف الموضوع، أكيد زى ما حكيت قبل كده، مشاعر الحب ثابته مبتتغيرش، بس هى كانت صغيره، مش مستوعبه الموضوع، بس صدقتنى لما قلتلها الدلائل اللى تثبت صحة كلامى. وأكيد طبعًا الرجوع للماضى بهدف رؤية ذكريات معينة حاجه حلوه بس قاتله، لما تبقى عارف إنكم مش هتكونوا لبعض فى المستقبل، شىء أشبه بسرقة قطعة من الذهب وإنت عارف إنك كده كده مقبوض عليك، أشبه بالمحكوم عليه بالإعدام فليه إنه يتمنى أمنيه أخيره، حاجه مش ضامن وجودها معاك على طول، لكن رغم كده بتحاول تفرح بيها على قد ما تقدر.

قالت نفس الفتاة:

ـ لو فى قدره على تغيير جزء من الماضى، حضرتك تختار تغير إيه؟

قال وكأنما السؤال أشعره بالضيق بلمحة صارمة:

ـ مفش حاجه اسمها تغيير شىء بالماضى، حتى لو حسيتى إنك تقدرى تغيرى الماضى، قدرك واحد مهما أحدثتى زوبعة فى بحيرة.. مسيرها تجف هترجع زى ماكانت دون تأثير، حتى لو هترجعى تصلحى من نفسك مثلًا. مش هتعرفى، كل مرحله فى حياتك مهمه بكبوتها وفرحتها وحزنها، لما ترجعى تشوفى الكبوه تهون عليكى نفسك، لما ترجعى تشوفى الفرحة تحزنى لإنها مش دايمه، لما تشوفى الحزن، تضحكى، لإنه أهون من اللى



بيحصل فى مستقبلك، كل مرحله فى حياتنا بنستفيد منها على قد ما نقدر، كلها تصب نحو بناء الشخصية عمومًا، الكوارث والمخاطر اللى بنتعرض ليها يوميًّا بتفيدنا وبنستفيد منها وبنعرفها وبتدينا خبره، علشان كده الرجوع للماضى ملوش أى معنى.

ـ حتى لو روحت تشوف الحبيبه الأولى؟

ـ حتى لو روحت أشوف الحبيبه الأولى.. الموضوع يفتقر للنضوج، لما تكبرى شويه هتحسى إن كل اللى راح منك مجرد دروس فى حياتك، حتى لو كان الدرس فقدان شخص عزيز بالنسبالك، يمكن الزمن اللى جاى ده مش محتاج لوجوده، حتى لو كان أب أو أم، الزمن اللى جاى مش بتاعهم، وهما كده خلاص انتهت مدتهم.. المهم لما نفتكرهم ندعلهم وبس.

قال صحفى آخر تبدو عليه علامات النضوج، يبدو فى الخامسة والأربعين:

ـ عرفنا موضوع المستشفى علشان توقعوا المدعو (صلاح)، ممكن تفسير أكتر فى اللى حصل هناك؟

هنا قال وحيد وأخذ الميكروفون، وكأنه يسرقه، وقال بمرح طبيعي الذي يعطى انطباعًا عامًّا بأن الشخص البدين خفيف الظل دائمًا:

ـ اسمحولى أنا أجاوب على الموضوع ده..

انتبه له حسام ومدير الأبحاث بكل اهتمام وهو يقول:

ـ إحنا يمكن قلنا قبل كده فى الحوارات الصحفية إن اللى كان فى المستشفى كان أبويا أنا، وإنه كان هناك أصلًا بيتعالج، اتفقت مع الشرطة إنى شاكك فى صلاح وإنى علشان أوقعو فى شر أعماله لازم أخليه يصدق حاجه محدش



غيره يصدقها، إن الجهاز جربتو عليها قبل ما اسافر، بابا كان شبهى قوى على فكره، يمكن أنا النسخه المصغره منه، لا تتخيلو كمية الشتايم اللى هزأنى بيها لما جيت أقنعه بالموضوع (يضحك الكثير من الجمهور لمقولته). وكمية الشتايم بردو اللى هزأ بيها صلاح بعد ما قبضوا عليه. وافق على الموضوع لما عرف إنه خطف هيام، وجه الدور على الدكاتره والممرضات اللى أقنعتهم يمثلوا الدور على صلاح، وبجد أثبت إن الشعب المصرى ممثل بطبعه، خلوه فعلًا يصدق كل الحبكه اللى رسمناها عليه، بابا فعلًا مقدرش يكمل الدور وجاتلو النوبه لما شخط فيه وطلعوا بره الأوضه.. وكان مصمم مايكملش الدور وبيقول عليه (عيل ابن كلب معندوش دم). (يعود الجمهور لوصلة من الضحك).

تقول إحداهن:

ـ ممكن سؤال للأستاذ حسام؟

أجاب حسام بتلقائية:

ـ إتفضلى.

وقفت لتظهر أمام الجميع، وقالت:

ـ هو حضرتك حكيت للأستاذ وحيد اللى حصلك وكنتم متفقين توقعوه سوا، ولَّا كل واحد راح فى اتجاه؟

قال حسام ببساطة:

ـ الموضوع ده جه بالصدفه البحته، لما أخدت الجهاز وهربت رحت شقة (وحيد) وحيد كان جارى بالمناسبه، كتبت ورقه قلتلو فيها إنى هروح



للماضى وإنى أخدت جرعه من المخدر اللى كان المفروض ينيمنى لمدة تلات ساعات، وكتبت فيها بردو إنى رايح أشوف هيام فى الماضي، وساعدني ووجهني بشكل غير متوقع، خلاني أكشف تفاصيل الجريمه أو أشوف اللى حصل كمسافر، فى الساعه دى اكتشف موضوع اختفاء هيام ودون قصد بردو وجهنى لآخر لحظات شوفتها فيها، وهناك فى الماضى ساعتها كنت فى حاله غريبه من أثر التجربه الرهيبه اللى نفذها فينا (صلاح) وبعدها كنت فاقد الذاكره، التجربه أثرت على خلايا مخى لحد ما أفقدتنى الذاكره، صلاح عالجنى بالتنويم المغناطيسي، من أثر الصدمه نسيتها تمامًا، خلاني أفتكر إننا اتجوزنا، وإنها ماتت بالتسمم، ضميري كان بيأنبنى وكنت بقول فى نفسى إنى ليا ذنب فى موتها، لكن فى الحقيقه كنت شاهد على موتها، وعشان التجربه تنجح، ركز على مدى اشتياقى ليها، خلانى أروحلو، وخلانى أطلب منه إنه خلينى أروح الماضى عشان أشوفها، الغريبه إنو مسح جزء من ذكرياتى وخلانى أصدق إنها كانت حبيبتى وبس وإنه مرتبطش بيها، ولما كان بيبعتنى كان بيقصد زمن معين، زمن ما قبل اللقاء، وده اللى عقلى إتسستم عليه. لما فوقت شرحت لوحيد كل حاجة شوفتها، حكتلو لحد ما رحنا أنا وهى هناك فى الصحرا، ومقدرتش أكمل، فى حاجه منعتنى إنه أقدر أقول نهاية هيام ومعرفتش أوصفلو المكان تحديدًا، ورحت فى غيبوبه طويله، إدانى مهدئات وسابنى وقام بالواجب، لإنه اتأكد إن سر غياب هيام وراه صلاح، وكشفت للشرطة خداع صلاح بالورقة اللى بنقر فيها بموافقتنا على خوض التجربة.. لما فوقت..

ثم صمت صمتًا طويلًا، قبل أن يكمل:

ـ اكتشفت إنهم لقوا جثتها.. وإنو دلهم على مكانها.



قال أحدهم:

ـ هل تأكدتم من إصابة المدعو (صلاح) بمرض نفسى؟ هل كان يعانى من مرض نفسى من الأصل، أو أصيب به جراء ما حدث له؟ أقصد يعنى الصدمات المتتاليه ولدت فيه الرغبه فى الانتقام، وإنو ادعى المرض؟

هنا أجاب وحيد:

ـ بص.. هو محدش فينا يعرف اللى جرى لصلاح، جايز يكون بيدعى الجنون للهروب من السجن مثلًا، بس معرفتنا بيه أكدتلنا إنه طبيعى، بس فعلًا محدش عرف إيه اللى جرالو من بعد حادثة الست لإن كلنا سبناه ومشينا، جايز الموضوع قلب معاه بمرض نفسى، محدش يعرف.

قالت إحداهن ـ والذى يبدو للجميع أنها لم تبلغ مطلع العشرين من العمر بعد ـ تتمتع بالاندفاع والجرأة، رفعت يدها بسرعة، أجابها رئيس الجلسة:

ـ إتفضلى.

قالت فى سرعة:

ـ أنا إسمي سوار، خريجة آداب قسم إعلام، وحاليًا صحفيه فى جريده مصريه تحت التمرين، لما سألت دكتور متخصص عن الموضوع قاللى إنه معرض لحاله نفسيه مش مرض نفسي.. لأنه اتربت عنده دوافع انتقام، ده إذا مكنتش مزروعه فيه من الأساس، اتربى على طريقة خد حقك لو أى حد جه عليك ومتسيبوش مهما كان، بس كبرت لما حصل معاه اللى حصل وفكرة إنه شخصيه أنانيه، هو شخصيه استغلاليه أكتر.. بيستغل كل اللى حواليه عشان يوصل لهدفه من غير تعب أو مجهود.. هو بيحتاج جلسات



إرشاديه مش علاج لإنه مش اكتئاب مثلًا أو فصام أو الحاجات دي..

أجابها وحيد باهتمام:

ـ الدكاتره قالوا إنه فعلًا مريض يا سوار.. يمكن اللى عملو فعلًا شىء منزوع الإنسانيه، وممكن يكون مرض نفسى فعلًا بعد اللى عملو، وجايز بيدعى، المهم دلوقتى المحكمه هى اللى تقرر مش احنا.. بس اللى متأكدين منه إنه فعلًا إنسان مريض.

قالت الفتاة بنفس الاندفاع، ربما فى تلك المرة ازداد أكثر وأكثر، وكأنها محامية في ساحة القضاء وليست فى مؤتمر صحفى:

ـ يا أستاذ وحيد تلت اربع اللى بيعملوا جرايم قتل بيدعوا الجنون وبيثبتوا صحة ادعائهم وبياخدوا براءه وبيقعدوا فى مستشفى كام شهر ويقولك اتعالج وتقارير كدب وعلاج مبيتخدش وخلصنا، لو دخلت مستشفى العباسيه أو الحتت دى هتلاقى نماذج من دى كتير.. ازاى تضمن إنه مش بعد خروجه سليم معافى ميرجعش يعملها فى حد تانى؟ أو بلاش حد تانى، على حد ما سمعت إنه عبقرى وعندو أفكار كتيره ممكن ينفذها، غير الجهاز بتاع الرجوع للماضى، ده كمان أجرى تجربة آينشتاين الخطيره على الأستاذ حسام، إيه الضمانات اللى أخدتوها ضده علشان مينفزش تجاربو على بنى أدمين؟

هنا قال حسام بضيق:

ـ مش هينفذ أى حاجه يا أستاذه سوار، صلاح أصبح مريض وبيتعالج فى مستشفى وتحت الملاحظه أربعه وعشرين ساعه، وأنا بأكد لحضرتك إنه مفيش خطر هيحصل تانى منه، مفيش علشان خيالكم ميرحش لبعيد!



ـ متأكد؟

هنا تدخل مدير الأبحاث قائلًا:

ـ اللى بعده..

قال أحد الصحفيين بنهم:

ـ سؤالى للأستاذ حسام.. إحساس حضرتك إيه بعد ما اتاخد من عمرك عشر سنين دفعه واحده؟

هنا نظر حسام باهتمام شديد، وكأن تلك السنين أعطته المزيد من الجدية، ودمرت الاندفاع الممزوج بشباب هرس ودفن بعيدًا. قال بصوت حازم:

ـ هى حاجه أكيد مش كويسه إن سنين عمرك تتاكل قدام عينيك، بيبقى قدامك فرصه تقول هعمل كزا لما يكون عندى التلاتين أو الخمسه وتلاتين ومتعرفش تحققو، مش مكتوبلك تحقق منه حاجه غير أجزاء صغيره جدًّا، كل ما بيكبر عمرك كل ما بتموت قدامك أحلامك الجديده وبتنتهى، ممكن يعدى عليك سنين متعرفش تعمل فيهم أى حاجه، وتعمل بس المطلوب منك، كل ما بيزيد عمرى كل ما بينتهى شغفى تجاه الأشياء، وهى انتهت دفعه واحده، وبتتعايش مع واقعك ومنتهى السطحية بردو لإن الأيام زايله وهتنتهى زى سنين عمرك، بس تقدر تقول إدتنى الهدوء المطلوب، معدتش خايف على حاجه، كفايه إنى معدتش سنين التلاتين، من التسعه وعشرين للأربعين دفعه واحده.

قال الصحفى:

ـ مش ندمان؟



ـ على إيه بالظبط؟

ـ إن الاندفاع خسرك سنين عمرك، وإن الحب ساعات بياخد منك وممكن ميدكش غير الخساره وبس؟

هنا حملق حسام بجدية نحو ذلك الصحفى، هنا انتشل وحيد أزمة قد تنشب فى ثوانٍ:

ـ لا، هههههه هو مخسرش حاجه. ممكن بس تدخل فى الموضوع ده، يا سعادة الصحفى ممكن أسئله تخص الاختراع الجديد وبس من فضلكم؟

* * *

أكمل وحيد وهو يقول:

ـ (الجهاز اللى معانا النهارده بعد التعديلات الكتيره اللى أجرتها عليه، من خلاله تقدر تعيش ذكرياتك القديمه كلها، بدون آثار جانبيه وشركة (كبيرة) هتقوم برعايته وتمويله دفعت فيه مبلغ يقدر بـ(٨٠ مليون جنيه) هيتم طرحه فى الأسواق خلال التلات شهور الجايين).

هنا اعترض أحد الصحفيين:

ـ ليه الأستاذ حسام عمره مزدش غير عشر سنين بس؟ ممكن أفهم ليه؟

كان حسام يحاول تمالك نفسه بشتى الطرق ولم يفلح، تكاد معالم الحزن تجتاح وجهه، رغم العجز الواضح. تفهَّم (وحيد) ذلك الأمر قائلًا بخفوت موجهًا حديثه إليه:



ـ لو مش عايز تكمل ممكن أقول أنا، شكلك مش مطمنى!

ربت حسام على يده أن يترك الميكروفون:

ـ لا أنا كويس، سبنى أجاوب.

نظر وحيد نحوه بتعاطف ونظراته المواسية لا تفارقه، أنصت إليه وهو يقول:

ـ لما كنت بروح لصلاح كان بيجرى تعديلات على الجهاز، ولما بدأ يشوفنى بتأثر، عدل الجهاز أكتر من مره علشان يمحى الآثار الجانبيه، ولما سرقت منه الجهاز وهربت كان الجهاز خالى من أى آثار جانبيه، عمرى زاد عشر سنين فى أول التجارب، وده اللى لاحظه عليا الراجل العجوز جار صلاح. وساعتها مكنش هممنى زى ما قلت إنى أشوف هيام وبس.

لاحظ الجميع ذلك الحزن الغريب الذى انتشل ملامحه بغتة، فقط صمت الجميع، ووجهت إحدى الصحفيات سؤالًا آخر:

ـ مش زى ما حضرتك قلت الماضى بنستفيد بيه كدرس من دروس الحياه، ليه طورتوا الجهاز وهتطرحوه فى الأسواق طالما الرجوع للماضى بيسبب ضرر؟ معتقدش أنا كفتاه ناضجة أسمح للرجوع لماضى ممكن يوجعنى.

هنا سلب الميكروفون وحيد:

ـ بصى يا أستاذه.. الاسم؟

ـ هناء محمد.

ـ بصى يا أستاذه هناء، لما قدمنا الاختراع لاقى قبول كبير، فى نسبه كبيره جداا من الناس رافضه واقعها، وكل اللى نفسها فيه ترجع لماضيها اللى



بالنسبه ليها أرحم من الحاضر، ولما بترجع بتندم وتختار واقعها، الموضوع نسبى بحت، إنتى ممكن ترفضى غيرك ممكن يقبل بسهوله، إنتى مستحيل تتخلى عن سنين عمرك، غيرك ممكن يتخلى عن الموضوع ده كله، ويقبل بمنتهى السهوله يضحى بكل حاجه فى سبيل لحظات سعاده واحده بس، وصلك حاجه، والجهاز ده ممكن يتحط تحت مسمى «للترفيه فقط».

قالت باحترام:

ـ مفهوم.

أكمل وحيد:

ـ الجهاز ده من غير متحكم أو موجه أو شخص يوجهك تروح فين وتيجى منين، يدوبك تحطه على راسك تتمنى الرجوع للحظات بعينها بنفسك، تلقائى هتروح، وتعيش ساعه او اتنين أو حتى أربعه وعشرين ساعه، مع الشخص اللى بتحبه أو أى لحظات تحبها.

قال مدير الأبحاث:

ـ فى أى أسئله تانيه؟

قال أحدهم:

ـ بكام الجهاز ده؟

قال وحيد فى بساطة:

ـ لسه مستقرناش على سعره... بس عمومًا مش هيقل عن الـ ٣٠ الف ج.

ثم غمز بعينه اليسرى لحسام، الذى ابتسم بدوره، وانتبها لردود الأفعال.



قال مدير الأبحاث فى حزم:

ـ أى سؤال تانى؟

* * *



وحيد!.





مشفى الأمراض النفسية والعصبية الشهيرة بمنطقة (الدقى). توقفت سيارة الأجرة المميزة باللون الأبيض المعهود أمامها وكأنها قطة متعبة. خرجت منها أنثى واثقة، تطلعت نحو المشفى باهتمام شديد، أخرجت نقودها وأعطتها بروتينية، للسائق قائلة:

- خلى الباقى علشانك.

تسير نحو البوابة حاملها معها المزيد من الحقائب الممتلئة بالأطعمة، حملت شفتاها ابتسامة ثقة وهى تسير بالممر، طرقت باب إحدى غرف المرضى. فتحت الباب بهدوء لتبتسم عندما رأت ذلك الشخص الذى كان يدعى النوم على الفراش. قالت:

- أنا جيت يا بيبى.

ما إن رنَّ صوتها فى أذنه حتى انتابته صاعقة، فهبَّ من الفراش وأسرع نحوها:

- حبيبتى إنتى جيتى إمتى؟

قالت بضيق:

- اسكت بقى، من أول ما دخلت المستشفى والكل نازل فيا أسئلة:



رايحه لمين؟ جايبه معاكى إيه؟ إلخ إلخ، حاجه بجد تقرف....

ـ هههههه.. معلش أمال لو نزيله هنا هتعملى إيه؟

لكزته فى كتفه قائلة:

ـ بتبشر عليا؟!

لو دققنا فى ملامحها لرأينا وجهًا مألوفًا، وجهًا بُنيت عليه الأحداث برُمَّتها!..

وجهًا مألوفًا للغاية.

وجه (هيام)!

التى قالت بثقة، بعدما أخرجت شيكًا وأمسكته وضربته بأصبعها:

ـ وحيد بعتلك الشيك ده، وبيقولك استحمل شهر بس وهيخرجوك.

أمسك الشيك بحماس، وفرحة طفل صغير رأى لعبته المفضلة:

ـ يا ولاد اللزينه! شيك بـ ٣٠ مليون جنيه!!.. نجحنا.. نجحنا يا حبيبتى.

واحتضنها فى نهم.. ويردِّد فى أذنها (نجحنا، نجحنا).

* * *



داخل غرفة صغيرة، التى التف حولها (حسام)، (وحيد)، (صلاح)، و(قطب).

توتر وحيد وهو ينظر إلى ذلك الجهاز الذى وضع فى براءة فوق الأريكة، بعد خوض غمار معارك طويلة من إقناع المسئولين به وبإمكانياته، الذي عكف على تعديله لعدة سنوات، ثم أضاف إليه (صلاح) تقنية حديثة، بالإضافة إلى (حسام) و(قطب)، ينظر إلى الجهاز بكل لوم وعتاب بلا حدود، كأنه يلوم شخصًا من لحم ودم! كان بجواره الأصدقاء الثلاثة، هنا قال صلاح بحزم:

ـ ليه كده... هاااااااا.. ليه كده؟.. دحنا تعبنا وطلع ميتين أهلينا فى البلد دى وفى الآخر بيقولو لاااا الاختراع ده تعملوه بره إنما هنا لااا... بقى أربع شباب زى الفل خريجين علوم، يخترعوا جهاز عبقرى زى ده مكنش حد يحلم بيه هنا، وفى الآخر الدوله تقولهم اختراعكم يتعمل هناك فى أوروبا مش هنا!!

يقول حسام بسخرية وكأنه يواسيه:

ـ مش قادر انسى الراجل اللى قاللى لو اخترعتوا جهاز ينمى المحصول يزرع الأرض لوحده كنا ساعدناكم. خد البلاى ستيشن ده إلعب بيه مع اصحابك، إنما هنا مرفوض!

كان وحيد يجلس فى صمت وتناسى وجود من حوله، يدير قنوات (tv) وكأنه لا يتواجد معهم، اتهمه البعض بالبرود، لكنه ليس كذلك! أدار مؤشر القنوات حيث لفت انتباهه وبشدة ذلك المشهد، توقفت الشاشة عبر



شاب يشكو، مفتول العضلات والقامة، تعجب (وحيد) من هيئته، لماذا يظهر الرجال الذين يتَّسمون بالوسامة، وعضلاتهم المفتولة تجذب الفتيات على الشاشات دائمًا؟! ليته فقد (كرشه) إلى الأبد وحلَّ محله (السكس باج) لكنه بالطبع مستحيل مع حبِّه الشديد للوجبات السريعة يوميًّا، يعشق أن يصل لحجم ذلك الشاب الذي يظهر أمامه. اكتفى بالأماني فقط، ورغبة فى تحسين الهيئة فى المستقبل!

التفت إلى نبرة ذلك الفتى التى ارتفعت فجأة وبنظرات تنم عن الغضب والاعتراض، ليست أخف وطأةً من انفعال حسام وصلاح منذ قليل، وهو ينظر إلى المذيعة:

ـ من وجهة نظرك الخاصة.. ما هى الصعوبات التى تواجه لاعب كمال الأجسام فى مصر؟

قلة الدعم أحد أهم المعوقات التى تواجهنا داخل مصر، فالجميع يعلم أن رياضة كمال الأجسام مكلفة للغاية، فنحن نتحمل الكثير من أجل الوصول إلى تلك النتائج المبهرة، وحتى بعد أن نعود منتصرين فى المحافل الدولية، يتم خصم ضرائب من مكافآتنا، فهل يعقل أن بطل عالم يحرز لبلده ميدالية ذهبية ويتم خصم ضرائب من مكافأته التى هى فى الأصل أقل بكثير مما ينفقه اللاعب طوال فترة تحضيره لأى بطولة عالمية؟! فمثلًا لاعب الكره، يأخذ كل شهر مبلغًا يتجاوز المائة ألف جنيه، أما نحن، فنحصل على ألف جنيه فقط، التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، فهل يستطيع أحد مقارنة لاعب الكرة ولاعب كمال الأجسام؟ مستحيل! ينبغى لنا تحويل النشاط لنصبح جميعًا لاعبين لكرة القدم، وتفنى لعبة كمال الأجسام!

ـ هل لهذا السبب يضطر الكثير من اللاعبين المصريين للسفر إلى الخارج؟

ـ هذا صحيح.. فاللاعب فى مصر يصبح بطلًا للعالم وينظر إلى حاله ووضعه الاجتماعى، فيجد أنه لم يصنع شيئًا لنفسه، وينتهى إذا ترك الأمر بيد الدولة، ولم يبنِ طوبة واحدة في مستقبله، والدولة بدلًا من أن تعينك، تتجاهلك وتجبرك على اقتناص أول فرصة للسفر إلى الخارج في مشهد مؤسف. أصبح تحقيق الحلم بالخارج ممكنًا ومستحيل تحقيقه بالداخل إلا لأصحاب الإرادة العليا التى لا يمتلكها سوى قلائل من لاعبى كمال الأجسام! لو كنت لاعبًا بالخارج لن أُقدَّر بثمن، أما هنا لا أساوى جنيهًا واحدًا مصريًّا. ما يدفعنى دفعًا هو رفع اسم بلادي دون الالتفات لإهمال مسئول ما أو وزير، أعمل من أجل نفسي فأُطمَس، وأعمل من أجل بلادي فيتجاهلوني!: ما هى نصيحتك للاعبين المبتدئين؟

أنصح كل لاعب مبتدئ بألا يمل أبدًا من مزاولة تدريباته المتكررة حتى لو دبَّ اليأس فى أوصاله، حتى لو لم يجد الدعم الكافي من الدولة، لا تيأس، الأبطال قليلون للغاية، فالإصرار والعزيمة هما الزاد فى الطريق إلى البطولة، واعلم أنه لا يمكن لأى شخص أن يصنع منك بطلًا إلا إذا أردت أنت ذلك.

ـ «هنعمل إيه؟ كل فلوسنا طارت فى الاختراع، خلاص أشهرنا إفلاسنا، بقينا على الحديده يا ولاااد».

ـ «الاختراع ده لو عرفوا قيمته الحقيقيه مش هيدفعوا فيه ولا ٢ مليون جنيه على الأقل».



ـ «بقولكم إيه.. أنا خلاص قررت أسافر بره.. يمكن بره يقدروه أكتر لما أقولهم الفكره.

وهناك بيقدروا العلما.. إحنا مش أقل من أحمد زويل».

ـ «قصدك العيال بقى!».

ـ «كلام الراجل أثر فيك للدرجادى؟».

ـ «هنحاول مره كمان.. مش جايز بردو».

ـ «نحاول مين يا عيل يا اهبل؟ بيقولك جهازكم بلاى ستيشن ولا ليه أى لزمه اسكت ونقطنا بسكاتك».

ـ «أنا عمى شغال فى وزارة الدفاع، أخليه يكلملنا حد كبير مش جايز بردو».

ـ «جايز مين يا اهبل؟ وعمك هيعمل إيه؟».

ـ «يقولهم معايا جهاز قادر يرجع الذكريات كلها، يقدر يكلم حد فى المخابرات مثلًا يقدروه يعصروا الجواسيس عصر بأدق التفاصيل».

ـ «بس بس اسكت.. الواد ده كل ما يتكلم بيوترنى».

ـ «آه عمك الاستغلالى بقى، يقولك ادينى تركيب الجهاز، وينسبو لنفسه، وياخد هو المصلحه ليه لوحده»..

ـ «بااااااااااااس بقى.......... اسكتوا يا ولاد الـ(...)».

التفتوا جميعًا إلى (وحيد)،

ـ هتفضلوا تولولوا زى النسوان؟ اقعدوا وفكروا معايا ونشوف هنعمل



إيه، مش كل واحد بيلوم التانى وبيلوم نفسه، عايزين نحلها نقعد نفكر واحده واحده.

قال صلاح ساخرًا:

ـ آه الأفلاطونى برج الجوزاء (وحيد) باشا عايزنا نفكر في إيه؟

أطفأ الشاشة المربعة، وانتبه إليهم بكل كيانه وقال بهدوء:

ـ زى ما الاختراع بتاعنا مجنون، الأفكار اللى هطرحها بردو مجنونه، عايزكوا تسكتوا وتهدوا علشان أعرف أوصلكوا الفكره... ماااشى؟

* * *

ما إن فرغ من سرد الفكرة كاملة، التى عرضتها عليه من قبل أمه الحنون (كارمن)، حتى قوبل برصاصات من أفواههم معترضة من كل فرد! وضحكات ساخرة من صلاح لا تتوقف. (حسام) لا يكترث كثيرًا لما قاله فتجاهل الأمر، ربما استمع وأنصت رغم عدم اقتناعه، يثق فى ذكاء (وحيد) ثقة عمياء، لكن تلك المرة الثقة التامة تعنى الوقوع داخل فُوهة من فُوَّهات الجحيم، لا يصدقون ما قاله منذ قليل؛ لذا قال صلاح ساخرًا:

ـ عايزنى أكون مريض نفسى هههههههه، وبحب نفسى كمان وبفضل مصلحتى على الكل وانتقم من صحبى وخطيبتى هههههه، اتنين رباط صليبى يا مفترى، وفى الآخر اخدهم واجرب عليهم تجربة آينشتاين بتاعك ده؟! عيب عليك يا أخى.

قال (وحيد) بهدوء:

ـ إنت برج حمل، حتى لو جدع فى أوقات، ففيك صفات منيله بستين نيله، وبتميل لمصلحتك، جيرانك كلهم سمعوا خناقات معانا ومع جارتكوا الحلوه اللى حاولت تتحرش بيها زمان، هى كمان هتشترك فى الموضوع، ولازم يكون فى شخص شاهد على الأحداث دى كلها، نخليه حد من جيرانك اللى هيشهد علينا برضو! الشخص اللى رسمتهولك لايق عليك قوى، شخص بيحب ملذات الدنيا، بيعرف صحابه واللى حواليه للتسليه وبس، والبنت اللى هندعى إنك اغتصبتها هتبقى موجوده حقيقى، لإنها فى الآخر هتبقى خطيبتك.

قال صلاح باعتراض:

ـ خطبيتى يا بن الهبله! أقولها فى الآخر هغتصبك وهرميكى فى الصحرا علشان أثبتلهم إنى مريض نفسى!.. إعقل الكلام الكلام قبل ما تقولو.

ـ لازم تقنعها.. هى الوحيده اللى هتعرف الموضوع، إنما أمها لا، أنا عارف إن الموضوع هيكون مؤلم شويه ليها، لكن وبعد ما الموضوع يخلص هتكلمها (هيام) وتاخدها وتسافر، لحد ما الموضوع يهدى ويتنسى وترجع زى ما كانت (اعتمد على ذاكرة المصرى النسايه). وكذلك أبويا لما ندخله، لإنه فى كل الأحوال مش هيشترك فى لعبه زى دى مهما كانت الإغراءات، وهو أصلًا فى المستشفى بيتعالج، هقنعه لإنه حكيتله عن موضوع الجهاز ده! وهقنعه كمان إنه يمثل عليك. هههههههه إنتو الاتنين هتمثلوا على بعض. الموضوع مفيهوش ضحك يا صلاح، أبويا أزكى منى خلى بالك.

قال قطب:

ـ يا ابن الصايعه!



قال (وحيد) بنبرة حادة رغم الهدوء:

ـ مش انت لوحدك اللى هتلعب يا صلاح، إنت هتبقى محور الأحداث، ومصدر الشر كله، وخطيبتك طبعًا مش هتكون هيا الجثه يا ذكى، هنجيب جثه من عم بيومى بتاع المشرحه، جثه طازه وننقل المواصفات الشكليه للشرطه، مواصفات الجثه، وطبعًا هيام هتقول لأمها إنها عايشه من قبل ما تروح تشوفها فى الصحرا، وبعدها تقنعها أول ما تشوف الجثه تقول للظابط هى بنتى.

ـ وانت فاكر إن البوليس ساذج للدرجة دى؟!.. فى تحليل دى إن إيه، فى الكشف عن هوية الجثه، فى تشريح للجثه.

قال (وحيد) باستنكار وجدية حديثة:

ـ مين قالك إن الكلام ده هيحصل فيها؟ إنت مقرتش تاريخ الجاسوسية ولَّا إيه؟ وفى دلائل بتشير إن هتلر مماتش، وإنهم جابوا جثه شبيهه ودفنوها، وهو هرب.

قال (حسام):

ـ أيوه هتلر فى الخمسينات! وقدر يضحك على الكل ويقنعهم إنه مات، إنما إحنا فى ٢٠١٩ وفى مصر.

قال ساخرًا:

ـ متقدمناش وحياتك، بنتعامل بنفس السذاجه بتاعت الخمسينات ويمكن أقل منها متقلقش، روح شوف مستشفيات الحكومة عامله ازاى، والإهمال فيها قد إيه، وخطيبة صلاح مش بنت وزير ولا حتى بنت وكيل

وزاره، زيها زى أى حد عادى، مش محتاج الواحد يتعبلها ويدور شويه عليها، لو هيا بنت واحد مسئول، هيجروا وينطوا من مكانهم ويدوروا وراها، يمكن كمان يجيبوا تفاصيل ولادتها، بس طالما هى بنت عاديه يبقى إنسى، هيتعاملوا معاها على نفس الأساس ده، أنا فاهم بقول إيه.. حتى لو دققوا فى التفاصيل، دى كل حاجه ممكن تتغير، الصدمه مش هتخلى حد ياخد باله من هوية الميته، الأم هتصر على دفن الجثه، والمغتصب اعترف اللى هو صلاح، يبقى هيشرحوها ليه، ويعرفوا هويتها ازاى؟ تقلق بس لو الكلام ده حصل فى بلاد بره، إنما هنا شكليات، مفيش داعى لتشريح الجثه والدلائل واضحه، ولا فى داعى لتحليل مادة الـ «دى إن إيه»، الأم نفسها اعترفت وقالت هى بنتى، هياخدوها ويدفنوها وخلص الموضوع.

قال (صلاح):

ـ أيوه حضرتك اعتمدت على إيه؟ وإيه الثقه البحته بتاعتك دى يا أخى، وإيه اللى خلاك تتاكد إن أمها هتعمل دوشه؟

ـ هنعتمد على الدوشه اللى أمها هتعملها أول ما تختفى بنتها. محدش فينا هيعرفها حاجه يا غبى، ووقت ما حضرتك تعترف وتقولهم مكان الجثه، هيام هتكلم أمها، وتطمنها عليها، وهتقنعها وتخليها تقول هى بنتى.. الجثه تبقى بنتى... فهمت؟

قال (حسام) بجدية:

ـ وإنت عايزنى أكون العبيط اللى فى النص، اللى بيتحكم فيه صلاح؟!

قال (صلاح) ساخرًا:

ـ إسمو عمك صلاح يا ولد!.



قال (قطب) بتوتر:

ـ يا وحيد اللى بتقولو ده محدش هيصدقه، وبعدين الكلام اللى بتقولو ده محتاج فترات زمنيه طويله.

قال (وحيد) ببساطة:

ـ الفلوس تحل أى مشكله زمنيه، هنقنع الجاره الحلوه، وجار صلاح العجوز، بقرشين يقدر هيعموه، يمكن كمان نخليه يجيب ناس تقول إنها سمعت صوتها، وطلعوا ينقذوها منه، ده لو عاوزهم يستجوبهم هيشهدوا، ويقولو الأحداث اللى وصفناها ليهم.

قال (حسام) باستنكار:

ـ فى ناس متقدرش تشتريهم بالفلوس.

ـ لا يا جميل... أى حد ممكن تشتريه بالفلوس، تشترى لسانه، تشترى ضميره، إنت فى مصر يا بابا، إنسى الكلام اللى اتعلمتو فى المدارس، عن القيم والأخلاق، اللى حاططها نفسه ممكن يبيع ضميره علشان يقدر يعيش فى رفاهيه بقية حياته!

قال (صلاح) معترضًا:

ـ هتجيب الفلوس دى كلها منين يا فالح؟

قال وحيد وهو يلتقط زجاجة مياه مثلجة من أمامه قائلًا:

ـ ورثنا جدتى، ونصيبى هو راس المال.

قال (صلاح) معترضًا:



ـ إفرض قبضوا عليا وحبسونى وخدت تأبيده.. هتنفعنى فى إيه حضرتك؟ يغور الاختراع فى داهيه، لا مش هنفذ حاجه وفككوا منى.

قال (وحيد) وكأنما لم يسمعه بالمره:

ـ هكتب لكل واحد فيكم سيناريو يمشى عليه بالحرف، ولازم تصدقوه، وتقتنعوا بيه، لازم كل واحد فيكو يصدق اللى بيعملو، ويقنع نفسه إنه مصدق كمان، لازم كل حته فى مخك تقتنع بالموضوع، ولازم كل واحد فيكم يكره التانى مؤقتًا، كل واحد هيرجع بيتو ومعاه ورق السيناريو اللى هكتبو وتحفظوه صم، كل واحد يتعايش مع الدور، صلاح، إتقانك لكل حاجه بقولها هيكون فى صالح اللعبه كلها خلى بالك.

قال (صلاح) صارخًا:

ـ إنت مبتفهمش يلاا؟! قلتلك مش هعمل اللى بتقولو. أنا (أوت)، عايز تلعب معاك حسام وقطب.

قال حسام بانبهار يشوبه القليل من المرح:

ـ تحليلك يا وحيد لشخصية صلاح هاااايل، أديه خايف على نفسه.

قال (قطب) بهدوء:

ـ مش شايفك يا وحيد حاططنى ضمن الخطه!

قال (وحيد) فى سرعة:

ـ ازاى الكلام ده؟! إنت مش بارع فى المكياج؟ إنت اللى هتكبر ملامح حسام، والست اللى هتلجأ لصلاح علشان تروح للماضى، ده لو حد أصلًا عازها فى شهاده، هى ضمن الحبكه، إنت دورك مهم جداا، هتكبر ملامحها



هى كمان، وبعد ما الموضوع يخلص هتقدر تفتح معرض كبير تعرض فيه تماثيلك، أو تشتغل فى السينما، إنت موهوب والكل عارف، جه الوقت علشان تورى الناس وتقنعهم بموهبتك.

قال (قطب) وقد استعاد ثقته بنفسه:

ـ ماشى موافق.

قال (حسام) بتردد:

ـ وأنا كمان موافق.

قال (صلاح) معترضًا:

ـ وأنا هخرج منها ازاى؟ مش مقتنع بكل الهرى اللى بتقولو.

ـ الراجل هيشهد فى المحكمه اللى هو جارك، ويقولهم إنك شاب مجنون من صغرك، وإنه يعرف أبوك قبل ما يموت، وإنك من صغرك عنيد وبتاع مشاكل، وبيخاف منك ومن تصرفاتك، وإنك أكيد عقلك اتلحس، وجارتك هتقول نفس الكلام، مش هى لوحدها، هنجيب أكتر من شخص يشهد إنك فعلًا اتجننت، بالإضافة إلى تصرفاتك المريبه، واللى هتحاول تعملها قدام المحكمه، وأمام ظباط الشرطه نفسهم لما ييجوا يمسكوك، لازم تقنع الكل إنك مجنون، وأنا هدفع الباقى لمستشفى الأمراض العقلية اللى هتحتجزك يا باشا، وفى الآخر هخرجك منها زى الشعره من العجينه، فرصه تقنعنا بموهبتك، وليك منى نص مليون جنيه عربون.

اتسعت بؤرة عين (صلاح) فى دهشة، فحديث (وحيد) مقنع إلى أقصى درجة ومطمئن رغم المخاوف؛ لذلك قال:



ـ جبتهم منين يا ابن الـ (...)؟!

ـ يا سيدى بقولك جدتى ماتت وورثت.. وأهلى مبسوطين.. عايز إيه؟

ـ إنت بتتكلم جد بقى، الموضوع بجد بقى.

قال (حسام):

ـ الواد هنج... ههههههه.

* * *

قاعة المحكمة...

تراصَّ الجميع على كراسيهم. لم يملك صلاح أدنى فرد من العائلة، إنهم جميعًا بالخارج، وللحظ، لم يعلموا عنه شيئًا وبالأحداث الأخيرة، مما أتاح له حرية التصرف بوجودهم خارج البلاد، يدرك أن جميعهم لا يلتفتون لصفحات الأخبار بالجرائد المصرية، وإلا فسد كل شىء، لم يكن يتواجد سوى أصدقائى القدامى (المشاركين فى الخطة) الذين كانو ينظرون له بكل احتقار.. وبأداء تمثيل عالٍ، يحسدون عليه جميعًا! كان (وحيد) و(حسام) الذي ظهرت على وجهه آثار الكبر والعجز، وجواره من صنع بوجهه تلك التجاعيد (قطب) و(وحيد)، الذى كان يأمل أقصى عقاب له، وهو ينظر إلى هيئة القضاة، أما (حسام) كان شاردًا، والجميع قدر ذلك الأمر، ما حدث له لا يُحتمل، الجميع قدر تقلب تلك الملامح الجالسة.

الجميع أتقن دوره تلك الليلة.

ثار (صلاح) داخل محبسه..



ثار مثلما لم يثُرْ من قبل.. وهو يدرك أن الجميع يعتقد أنه أصيب بمسٍّ من الجنون، يجب أن يستمر في ادعاء ذلك الأمر إلى النهاية، راقب المحامى الذى وقف وتطلع إلى هيئة المحكمة.

قال المحامى الخاص به:

ـ صلاح يا سعادة القاضى فقد عقله.. وأصبح خطرًا على نفسه.

نظر إليه وكيل النيابة باهتمام.. ودَّ لو سحب كل ما قاله فى حق (صلاح) وهو يطالب بأقصى عقوبة، وهو يقلب وجهه يمينًا ويسارًا نحو (صلاح) والمحامى، (صلاح) يتمسك بقوالب الحديد المتفرقة، ويضحك، ولا يزال يضحك، قائلًا:

ـ مقتلتهوش يا سعادة القاضى.

قال القاضى باهتمام:

ـ هو مين ده اللى مقتلتوش؟

ـ المحامى بتاعى، بس أوعدك أول ما هخرج هقتلو هههههههههه هههههههههه ههههههههه.

أشار له بأصبعه متوعدًا إياه بأقصى عقوبة فور خروجه من السجن، أشار بيده نحو عنقه، (سوف أذبحك).

قال المحامى:

ـ زى ما قلتلك يا سعادة القاضى مخو ضرب، ومحتاج يتعالج.

قال القاضى بحزم:



ـ الأستاذ اللى اخترع الجهاز، مطلوب شهادتك.

وقف (وحيد) في احترام قائلًا:

ـ أفندم...

قال القاضى بحزم:

ـ قول اللى تعرفو.

اشرأبَّ (وحيد) بعنقه وهو يقول:

ـ اكتشفت الجريمه الكامله عن طريق الجهاز ده.

يشير نحو الجهاز الدائرى الذى يوضع بالرأس، الذى طوَّر من قدراته مؤخرًا:

ـ الجهاز ده رجع لحسام الذاكره، وخلاه يحكى تفاصيل كتير عاشها فى حياته السابقه، هو اللى خلانا نكتشف مكان جثة هيام، بعد ما الشرطه حاولت مع صلاح وأنكر، الجهاز ده خالى من العيوب، يقدر يخلينا نشوف الماضى بدقه ونعيش لحظاته، الجهاز اللى كان معاه كان بيقص من عمر الناس، سرق من عمر حسام عشر سنين كامله، وسرق من جارته بردو عمرها..

ـ جارته دى موجوده هنا تشهد؟

أشارت سيدة كانت تجلس بالخلف.. استمع الجميع إلى صوتها الأنثوى يقول (موجودة) قال لها القاضي بصرامة:

ـ إتفضلى للشهاده.

تقدمت بخطوات مهزوزة متوترة، بملامحها التى حولها (قطب) إلى



سيدة متقدمة بالعمر.. تطلّعت إلى القاضي وقال القاضى بحزم:

ـ قولى والله العظيم أقول الحق.

ـ والله العظيم هقول الحق.

أخذت نفسًا عميقًا وكأنها تطمع بولوج هواء القاعة إلى صدرها، ثم انتبهت إلى القاضى وبدأت في الحديث:

ـ كان دايمًا يعاكسنى فى الطالعه والنازله، هددته أكتر من مره، لو حاول معايا تانى هبلغ عنه البوليس، جه فى مره قاللى أنا حاسس بيكى وعارف بتفكرى فى إيه، استغربت من كلامه، قلتله بسخريه شديده: بفكر فى إيه؟ قاللى حبك القديم، كنت ساعتها يا سعادة القاضى انفصلنا وسابنى وسافر، قاللى إنه عندو طريقه يخلينى أعيش فيها معاه من تانى، أقنعنى بشتى الطرق، إنه هيخلينى أرجع بالزمن ليه، ويمكن أعرف أخليه يغير رأيه وميسافرش ويسيبنى، رحتلو مره، جربو عليا لمدة ثوانى، إتأكدت فعلًا من صدق كلامه، ورجعت شفتو اللى كان حبيبى، وفصل الجهاز بسرعه، بعدها حسيت إنى مش كويسه، وإنى كبرت فى السن، لغيت الأفكار دى من دماغى، وبقى عندى هدف محدد، إنى أسافر للماضى وأشوف حبيبى من تانى، كرهت الواقع واتمسكت بالماضى، بالنسبالى أحلى وأجمل من الواقع، فضل ورايا لحد ما أقنعنى. رحتلو الشقه، وكان فعلًا معاه صحابو، ولما فوقت لقيت جارنا بيصرخ فيهم، ومن ساعتها صرخت وجالى نوع من أنواع الصدمات، معرفتش أعمل معاه حاجه لإنى رحتلو بمزاجى وبإرادتى. سافرت وسبت البلد، اتصل بيا (وحيد) للشهاده، وادينى قدامك.. ده كل اللى أعرفو.

قال القاضى:



ـ مشكتيش فى قواه العقليه؟

ارتبك وحيد ورفيقاه قطب وحسام، جميعًا كأنهم أمسكوا سلكًا عاريًا معًا، وهم يترقبون إجابتها:

ـ هو ليه تصرفات غريبه، بيعاكس كتير، بيزن كتير، لحد ما جيت فى مره قلتلو إنت مريض، أعتقد فعلًا دماغو فيها حاجه غلط.

قال باقتضاب:

ـ سؤالى محدد: شكيتى فى قواه العقليه؟

توترت أوصالها وهى تنظر لصلاح، الذى أدرك الأمر، فعاد يصرخ داخل محبسه ويقول:

ـ أول ما هخرج من هنا هقتلك.. ها.. هفصل دماغك عن جسمك!

أصابتها الجملة بخوف، رغم علمها بأن الأمر مجرد تمثيل، لم يمنع خوفها وهى توجه أنظارها نحو القاضى:

ـ أيوه أنا بشك فى قواه العقليه.

دون أن ينظر إليها، تطلَّع إلى الأوراق الموضوعة أمامه وقال:

ـ شكرًا، اتفضلى ارجعى مكانك.

استدارت كالممسوسة، وذهبت في ثبات إلى موضعها. ابتسم صلاح من الداخل واطمأن، ولم يظهر شىء إلى الخارج، سوى الجنون والحمق معًا وهو يرى جاره العجوز يتقدم بعدها للشهادة، ظنَّ أن الرجل قضى عمره على المسرح ويؤدى شخصية (شكسبير) فى إحدى مسرحياته! قال الرجل:



ـ يا سعادة القاضى الشاب ده مجنون من صغره، أبوه كان بيضربو كتير فوق دماغه.. وأمه ماتت وهى بتلسعو على التوته من شقاوته يا باشا.. كان بيضرب الكبير قبل الصغير.

لو كان للحاضرين ولهمساتهم الداخلية وأحاديثهم أصداء، لأفرغوها جميعًا فى ضحك هيستيرى من شهادة العجوز! قال القاضى:

ـ إنت جاى تهزر؟ جاوب على السؤال، هل شوفت منه أفعال تدل على إصابته بمرض عقلى؟

ينظر العجوز إليه بدهشة ثم قال:

ـ أقولك على حاجه؟ شفتو مره بيعمل بيبه من فوق السطوح على الناس، وهو كبير كده زى الشحط، صواميل مخو باظت، ومره شفتو ساحب صاحبو الغلبان اللى قاعد هنا اهو (يشير إلى حسام) وعمل عليه تجاربو، أنا حذرتو بس مسمعش كلامى، ومره ضربنى وأنا بقولو متعملش كده فى صاحبك، شوفت واحد يضرب راجل قد ابوه؟! سكان العماره كلها عارفه إنه مجنون.

ـ بتشكك فى قواه العقليه؟

قال بتهكم:

ـ طبعًا مجنون وابن مجنون يا بيه!

قال القاضى بصرامة:

ـ روح اقعد مكانك.

ران الصمت على الحاضرين، مترقبين ذلك الحكم الذى سيصدر بعد



دقائق، حكم نافذ وقاطع بشأن ذلك المعتوه المتواري خلف القضبان الحديدية، تشتعل داخله مشاعر ضُربت جميعها داخل (الخلاط). الوضع مريب وخطير، كالمرهوب أصبحت هيئته، رغم طمأنة صديقه له منذ ساعات، لم يمنعه من الخوف، ولم يمنعه أن ياكل أظافره حتى ظُن أنه معتوه بالفعل.

(سيادة القاضى.. أنا عندى ليك شهاده هتغير شكل القضيه).

اتسعت عينا (صلاح)، وارتبك (وحيد)، تطلَّع إليها (حسام) بقلق، حتى ذلك القاضى، نظر بكل اهتمام، لكنه احتفظ بهيئته الحكيمة للحظات. تطلع جميع الحضور إليها، وكأنها شمس أضاءت ظلام القاعة أخيرًا!

* * *

قال أحد الرجال وهو برفقة زوجته هامسًا: «(دى كارمن) شكلها لسه متغيرش، لسه زى ما هى». تقدمت السيدة (كارمن) بهدوء وثقة، وهى تنظر لـ (صلاح) بتعاطف. تقدمت إلى منصة الشهادة. قال القاضى بهدوء:

ـ السيدة كارمن... هل ليكى علاقه بالقضيه؟

قالت ببساطة متناهية:

ـ صلاح يبقى صديق (وحيد) إبنى، وأعتقد إنى عارفه جزء من شخصيته.

تطلَّع القاضى إليها كثيرًا، أخفى إعجابه بها، وبنظرات ثاقبة حازمة ينظر إلى الأوراق الموضوعة أمامه بعد دسَّ المنظار الطبى حول أنفه، تطلع إلى السيدة الشهيرة، يريد طرح سؤال: أين أخفيتِ لوحاتك الفنية التى أعشقها ولمست بها روح الفن؟ لقد علقتُ إحدى لوحاتك بغرفتى



بمنتصفها تحديدًا، حتى يراها الجميع، كان ثمنها غاليًا ولم أبالِ، اللوحة داخلها روح وعالم آخر مدهش ومحبب! عالم آخر أعيش داخله كلما نظرت إليه، وأردد داخلى (شىء آخر غير البشر هو الذى خطَّها بيده!). تحاشى فضول أفكاره التى وثبت داخله فجأة، وتذكَّر أنه قاضٍ، لا مجال للخطأ ها هنا، وهو ينظر نحوها نظرة لم تتجاوز ثوانى، رأى وجهها الواثق، وابتسامتها البسيطة، لم يلحظْ تقدُّمَ سنِّها مطلقًا، وقال في ذات نفسه (لم تتغير أبدًا)، بل رآها شابة فى العشرين من العمر وهى تتقدم نحوه، وجهها الذى شبهه الكثيرون بالمطربة (ليلى مراد) أنصتوا إلى صوتها وكأنها على وشك الغناء. كانت القاعة وكل الحضور تناسَوا تلك القضية المثيرة وهم منصتون فى إعجاب. قالت ببساطة:

ـ قبل ما تحكم على صلاح، وتحكم على اللى زيو، لازم تسأل سؤال مهم، إيه يخليه يعمل عملته دى، إيه اللى يخليه يرتكب جريمه بشعه زى دى، إيه اللى يخليه يغدر بأعز أصحابه، إيه اللى يخليه يحارب فى بلده، يرتكب جريمه فى بلده، يلطخها بالدم ويمسح آثار السكين على وشوشنا؟! صلاح ووحيد ومن قبلهم حسام، كان عندهم حلم، كبروه باتحادهم سوا، كان نفسهم يلاقوا الدعم من البلد، لقوا سخريه واستهتار، هدوا قلعه بنوها بالرمل على الشط بكل ساديه وسخريه. فاكره لما كنت بعلم إبنى وهو طفل صغير، كنت بعلمو علشان يكبر ويفيد البلد، يبنى البلد، ويساير الجهل ويتجاهلو، إبنى كان بيتحارب من المدرسين فى المدرسة، كانوا بيقولوا عليه زكى زياده عن اللزوم!!! هههههههه دى تهمه تتقال لطفل صغير كان بيناطحهم، ضد الرتابة وضد الروتين، علمته يتعايش، كان ممكن بسهوله أخليه ينتمى لبلد تانيه، ولعلمكم كان الموضوع سهل جدًا، مكنش هيلاقى اللى شافو فى البلد، مكنش هيلاقى سخريه من حد، بل الدعم، الدعم،

خليته يتمسك بتراب البلد، لإنه منها، هو زرعه اتولدت على أرض البلد دى، من حق البلد تستفاد بحصادها.. ده اللى علمتو لابنى.. الناس اللى تمنعه يفيد البلد، هما سبب وجعها وألمها، وعجبهم حالها، ومصممين إن البلد تفضل عايشه فى الجهل والقمع، فى ناس مصممه تهد اللى بنيته وتخليه رماد، ناس مصممه على الجهل والقمع والسخرية من أحلامهم، ناس مبتشتغلش فى إصلاح البلد، ضدها، البلد هى وحيد وصلاح وحسام، اللى يحاربهم كإنه بيحارب البلد..

قاطعها القاضى بهدوء واحترام:

ـ كلامك إيه علاقته بالقضيه؟

ـ الاهتمام بيه.

ـ اهتمام بإيه؟

ـ بكلامى اللى قلتو.

قال القاضى بتوتر:

ـ دى جريمه لازم يكون ليها حساب، مينفعش نحاكم المسئولين يا أستاذه كارمن.

قالت بنبرة حسبها كل من بالقاعة ساخرة:

ـ بس تقدروا تحاكموا الولاد الصغيرين بسهوله لإنهم ضعاف!!

توتر القاضى للحظات، ثم لملم رباط جأشه وقال:

ـ من فضلك لو عندك حاجه تفيد القضيه لو سمحتى قولى، معندكيش من فضلك بلاش تعطلينا.



نظرت إلى صلاح المكوم داخل الزنزانة، ينظر إليها بنظرات المجنون الهارب الذي توارى خلف الحوائط خيفة من الجميع، أشارت نحوه وبسهولة قالت:

ـ أنا بأيد كلامكوا، صلاح فعلًا مجنون!

وأخرجت ورقة من حقيبتها، ووضعتها أمام القاضي. تطلَّع إليها القاضي باهتمام شديد، ثم اختلس النظر إلى صلاح. قالت (كارمن) ببساطة:

ـ صلاح معاه شهادة معاملة أطفال من وهو فى الجامعه.

قال القاضى بحزم واستنكار:

ـ الورقه دى فى صالحه، ازاى تـ..

قاطعته (كارمن):

ـ أنا أم، ومهما كان صلاح، ربيتو مع إبنى، عقلو والخلل اللى فيه يخلينى التمسلو العذر، هو مش مدرك جرم اللى عمله، والشهاده دى تقول كده.

ران على القاعة صمت مطبق.

صبوا جُلَّ الاهتمام على (كارمن).

نظرات الاحترام تطل من أعينهم مجددًا.

حتى ذلك القاضى، تطلع من أسفل النظارة الطبية إليها.

ويتساءل كإنسان عادي:

متى يراها مرة أخرى؟!

* * *



وبعد صدور الحكم، الذى أدخل خنجرًا داخل قلب (صلاح)، أما الزملاء ـ وهم رتبوا لكل شىء من البدايه ـ أصيبوا بصاعقة ورعب مبهم، لكن كان للعبتهم مخاطرة كبرى، لم تمنعهم من علمهم بالحكم في بادئ الأمر من الارتباك والخوف.

تمَّ إيداع (صلاح) مشفى الأمراض.

(ويؤكد مستشارو الطب النفسي، على أن الطب النفسي المسئول عن كشف حالات مدعي المرض النفسي من قبل مرتكبي الجرائم يسمى «الطب النفسي الجنائي»، حيث لا يتم التصرف بتشخيص المصنف بأنه مريض نفسي أو أنه سليم مع وجود بعض الاضطرابات النفسية، إلَّا بعد مراقبته وأخذ معلومات وافية عن حالته لإثبات أنه مريض نفسي، حيث يتم معاينة المريض بالجلوس معه والتحدث، ثم من خلال أيضًا سؤال أسرته عن حالته النفسية لأخذ تاريخ حالته، وشخصيته، ومدى قدرته على ارتكاب الجرم، وإقدامه على ذلك؛ فجميع تلك الأمور يتم جمعها والتوثق منها قبل أن يحكم عليه بأنه عليه مسئولية ارتكابه للجريمة أو يغرم بها. إن افتعال المرض النفسي والتمثيل بأنه مختل نفسي ممكن حدوثه، أما عن احتمالية عدم اكتشاف الطبيب النفسي بأنه يدعي المرض، فإن ذلك يعتمد في المقام الأول على مدى براعة الطبيب النفسي، وقدرته على اكتشاف المرض، حتى مع من يدعيه، وذلك من خلال معرفته بنوع الحالة، ومعرفته بالمريض، وكذلك من خلال فهم المريض لكل ما يدور حوله، ويحدث ذلك بدرجة تركيز عالية في الحالات الجنائية التي تتطلب من الطبيب الحذر والتركيز في مرض الجاني النفسي بسؤال مدعي المرض النفسي عدة أسئلة؛ للاستيضاح من قدراته العقلية والنفسية حتى لا يهرب من عقوبة الجرم، خاصة بأن هناك من مرتكبي بعض الجرائم من يلمون بجميع السلوكيات التي تظهر على المريض النفسي؛ فيلمون بها ويكونون على دراية كبيرة بما ينتج عنها من أحاديث وسلوكيات حتى يقنعوا الطبيب بأنهم مرضى نفسيون، ولذلك فإن الكشف عن حقيقة مرضهم النفسي يعتمد على المريض وعلى براعة الطبيب المطلع على الحالة).



ارتفع رنين الهاتف الخاص بـ (وحيد)، الذى كان يجلس بغرفته يدس مفكًا داخل الجهاز الحديث، وقد أوشك على ربط المسمسار إلى النهاية. تجاهل الرنين، لم يلبث أن صرخ الهاتف ولم يتوقف، اتخذ قراره، وترك(المفك) الصغير ووضع الهاتف على أذنه:

ـ أيوه مين؟

ـ حضرتك الأستاذ وحيد؟

كان صوته مليئًا وواثقًا، يبدو عليه بالغ فى السن، يثق فى كلماته وهو يقول:

ـ معاك الأستاذ (س.. م) رجل الأعمال..

قاطعه وحيد باندفاع:

ـ آه طبعًا طبعًا أهلًا يا فندم، حضرتك طبعًا أشهر من النار على علم.

صمت الرجل. يقول بنبرة يشوبها المرح:

ـ شفتكوا فى الفضائيات كلها، إيه القلبان اللى عملتوه ده؟! هاهاها.

صُدم (وحيد) أن ذلك الرجل يضحك معه بتلك الطريقة وكأنهم أصدقاء قدامى!! ذلك الرجل من أغنى أغنياء الجمهورية، وصاحب أكبر الشركات التى تهتم بالتكنولوجيا الحديثة على مستوى الوطن العربى بأكمله، وقد أثر الخبر الذى صنعه وقام بتنفيذه الرفاق. اهتمام أكبر رجال الأعمال فى الجمهورية أجمعها، المفاجأة جعلته يرتبك وكأن على رأسه الطير، وهو يستمع إلى الرجل الذى قال بجدية:

ـ بص يا أستاذ وحيد، أنا بحب أخش فى الموضوع دوغرى، لو أكدتلى إن الجهاز مفيهوش آثار جانبيه...



ـ أقسملك يا فندم إن الجهاز ده آخر تحديث ليه مفيهوش أدنى آثار جانبيه، تقدر تخلى أى شخص يسافر للماضى فى أى مكان وأى توقيت تختاره، بعدد ساعات بلا حدود، ويرجع للحاضر سليم معافى.

صمت الرجل، يفكر جيدًا فى كلماته القادمة. قال:

ـ جربتوه على ناس تانيه؟

قال في سرعة:

ـ قبل ما تكلمنى حضرتك بخمس دقايق جربتو على نفسى، وجربنا على أكتر من ٣٠٠ شخص،حتى على دار المسنين، وجربناه على الناس الكبار هناك اللى ذاكرتهم ضعيفه، نشطنا الذاكره بتاعتهم، وساعدناهم فى التعرف على ولادهم وأحفادهم، ولأسعد لحظات عاشوها فى حياتهم بالجهاز، وبالإضافات الجديدة، قادر يرجع الذاكره المفقوده لأى بنى آدم، وبمنتهى السرعة، بيعمل ريفريش للعقل بطريقه مهوله، وتقدر تعيش فى الماضى مع أى شخص، أو أى لحظه قديمه، نفسك ترجع تعيش إحساسها من جديد.

قال الرجل ببطء:

ـ إشمعنى جربتو على دار المسنين؟

أحس وحيد أن تلك المكالمة يمكنها أن تذوب في ثوانٍ، وأن ينتهي العرض الذي لم يطلقه رجل الأعمال بعد، يجب أن ينتبه لكل كلمة تخرج من فيه. قال (وحيد) بتلقائية:

ـ لإن ذاكرتهم ضعيفه وهشه، وفقدو رغبات كتيره من الحياه، إحنا



رجعنا ليهم الجزء الحلو من حياتهم، وإيه اللى وصلهم إنهم يكونوا فى دار مسنين؟!

ـ بالعكس... ده ممكن يأثر عليهم بالسلب، لما يرجعوا للماضى ويشوفوا بؤس الحاضر، ممكن يخليهم ينتحروا على الأقل ويرتاحوا.

ارتبك (وحيد) وهو يقول:

ـ وجهة نظرك ممكن تكون صح، بس اللى ظهر عليهم بيقول العكس!

قال بهدوء:

ـ بص يا أستاذ وحيد، اختراعك ده عايز أشترى حقوقه وأضمنلك حقوقك، يعنى هيكون ليا الحق فى الإنتاج والتوزيع، وحقوقك الفكريه أضمنهالك. إنت صاحب الاختراع وأنا صاحب الإنتاج، زى أفلام كده، إنت صاحب القصه وأنا المنتج.

بلع ما فى جوفه فى نهم، وهمَّ بقول جملة قصيرة يدركها رجل الأعمال:

ـ معنديش أى مانع!.. بس الموضوع محتاج مبلغ و...

ـ ٨٠ مليون جنيه كويس؟

دعونا نصف ما حدث، لو رأى (وحيد) قنبلة هيروشيما تنفجر فى مدينته لم تكن لتؤثر على ملامحه في تلك اللحظات! لقد سقط فكه، واتسعت بؤرة عينيه، وربما انتصب شعر رأسه أيضًا! وهمَّ بقول:

ـ ده مبلغ كبير جدًّا.. جداااا!

قال الرجل وهو يضحك:



ـ عارف إن فى ناس قبلى كلموك، وأنا عارف المبالغ اللى اتعرضت عليك بالظبط، أنا هكون بكده وصلت لأقصى مبلغ إتعرض عليك، والمبلغ ده هيزيد لما نشتغل على صنع الجهاز بتاعك، ونعمل منه مليون نسخه، ونوزعها فى أنحاء الشرق الأوسط، بل والعالم كله، بس مفيش تعاقد ولا عقود غير بشرط واحد...

أسرع وحيد:

ـ اللى هو إيه؟!

ـ أجربو على نفسى الاول!.

* * *



منزل (كارمن)...





إحداهن تطرق الباب. فتحت (كارمن) الباب وعلى شفتيها ابتسامة ترحاب معهودة، احتضنت الفتاة بأمومة حانية، جلستا على أقرب المقاعد، أعدت (كارمن) كوبين من الشاي الساخن، توترت الفتاة للغاية وهي تضع فوهة الكوب على شفتيها. قالت بتوتر بالغ:

ـ ازاى الأفكار دى خطرت على بالك، وازاى سمعنا كلامك؟!

قالت بهدوء:

ـ علشان تنجحى لازم تخرجى على المعقول والطبيعى، لازم تبتكرى، ولازم كمان يكون عندك صبر، النجاح مبيجيش بسهوله. الدوله تجاهلت الاختراع، كل اللى عملناه لفت الانتباه للمسئولين واللى رفضوا الاختراع، وخليناه موضوع الساعه، وملفتناش نظرهم وبس، نظرهم وانتباهم وانتباه كل الطوائف من كبيرهم لصغيرهم، رجال الأعمال والمستثمرين كلهم، محدش بيتكلم عن جريمه تم اكتشافها عن طريق الرجوع للماضى، جهاز للعوده للماضى يكشف جريمة قتل بيتصدر جرائد جمهورية مصر العربية، حديث الساعة الحقيقيه.

قالت (هيام):

ـ طول عمرك ملفتة للنظر هههههه، لكن مش للدرجادى!



أسرعت (كارمن) بإحضار رزمة الجرائد المكومة فوق بعضها البعض، وتظهر ابتسامة ثقة عبر شفتيها. تعجبت (هيام)، وشعرت أنها أعطتها شبابًا، لم يبلغ الكبر بعد، قالت (كارمن):

ـ بالفنط العريض فى كل الجرائد،(حديث مع وحيد مخترع جهاز العودة إلى الماضي).. (جهاز (TTP) يكسر جميع القواعد الخاصة بالتنويم المغناطيسى).. (يمكنك رؤية ماضيك بسهولة ويسر لمجرد وضعه فوق رأسك).. خبر تانى: (حديث مع وحيد الذي أكد سلامة جهازه)، هنالك مستثمر يريد تمويل المشروع، عروض من شركة يابانية تريد شراء الاختراع، تم شراء حقوق الاختراع، عن طريق أكبر رجال الأعمال الشهيرة (..)تم طرح الجهاز بالأسواق بسعر (٣٠الف ج).

قالت بأسف (هيام) كل ما يهمها فقط سلامة صلاح وخروجه من المشفى العقلى، عسى أن يصاب مثلهم بالجنون، وكأنه مرض معدٍ:

ـ هنخرج صلاح ازاى دلوقتى؟ وحيد كلمنى وجيلك وقاللى أسمع كلامك.

بهدوء قالت وهي ترسم على شفتيها ابتسامتها المريحة، قالت (كارمن) وهي تزيح الجرائد جانبًا:

ـ دلوقتى صلاح إتحكم عليه إنه يتنقل مصحه، نتيجة ارتكابه لجريمة قتل هيام، وهيام قدامى أهى سلميه ومجرلهاش حاجه.

قالت بعجب ودهشة:

ـ أيوه بس ماما اعترفت وقالت إنها بنتها.



ـ فى حاله لا تسمح بالحكم، فقدانها للذاكره أثر عليها وخلاها فى حالة يأس، أول ما شافت بنت قالت هى بنتى، بعدما ما أكدولها إنها اتقتلت! هتظهرى وتروحى للبوليس تقوللهم إنك عملتى حادثه واتحجزتى فى المستشفى وكل متعلقاتك فقدتيها، ده اللى خلاكى متعرفيش تتصلى بوالدتك خلال الفتره دى.

تتسع بؤرة عينها، ثم تقول بدهشة:

ـ حضرتك عرفتى منين إنى عملت حادثه؟ الموضوع ده حقيقى فعلًا!!!!!.

ـ وحيد كان قايله بالصدفه.

ـ طيب ازاى هقدر أقنعهم بصدق كلامى؟!

ـ بصى يا حبيبتى، صلاح دلوقتى فى المستشفى بتهمة القتل، ومعاه شهادة معاملة الأطفال، ده اللى وحيد عرفهونى من زمان وقاللى وهما فى الكلية تعدى على دكتور فى الجامعه وعمل أكتر من كارثه، خد الشهاده دى بناء عليها، إنتى هتروحى تبرئيه، إنتى ومامتك، هيسقطوا التهم من عليه وخلصت الحكايه. ومعاكى ورق المستشفى بعد ما نعدل التواريخ ونخليها فى معاد اختفائك، والإصابات زى ما هى بعد ما اتعالجتى، ده لو حبوا يكشفوا عليكى، وبكده الموضوع خلص...

تضع كوب الشاي وهي تنظر لها بدهشة:

ـ بس وحيد قاللى إنه هيعرف يخرج صلاح من المستشفى، يهربوا منها مثلاً بطرقهم الخاصه.

اتسعت ابتسامة (كارمن) أكثر وهى تجيب:



ـ هههههه... منا الطرق الخاصة دى!

فى حالة الذهول، لا تدرى ماذا تقول ومتى تنطق! أخذت قرارًا بالنطق:

ـ طيب هيقولوا الجثه دى جت منين ومين اللى دفنها؟

قالت ببساطة:

ـ الجثه اللى ماتت دى ماتت عن طريق جرعة هيروين زيادة، وأهلها فعلًا دفنوها لإنها ماتت قدام عنيهم. عرفت قصتها كمان، البنت دى كانت مشكله حقيقيه لأهلها، خرجت مع شله فاشله فسدوها، وخلوها تعمل كل حاجه غلط، اتجوزت واطلقت أكتر من عشر مرات فى سنها الصغير، هربت من البيت أكتر من مره، ظبطوها فى أوضاع مخله مع راجل، وادعت إنها متجوزاه، رغم إن جوزها شخص تانى. كانت جايبه التعب لأهلها، فى يوم دخلوا عليها، لقوا كل وشها أبيض وفى إيدها كيس هيروين!

ـ وعرفتى حضرتك الكلام ده ازاى؟!

قامت بهدوء وذهبت إلى إحدى الغرف، تركت (هيام) في حالة من الصدمة، في انتظار عودتها، وقد عادت حاملة بعض الأوراق والصور. قالت:

ـ اللى جاب الجثه، كان بيجيب جثث لطلاب كلية الطب، علشان التشريح ومشاريع التخرج، عن طريق واحد صديق (وحيد) فى كلية الطب تعرفوا عليه، قال لوحيد كل التفاصيل اللى تخص الجثه، وعرض الصور دى كلها، واختار صورة الجثه اللى فيها شبه منك شويه، أنا عارفه إن



التفاصيل محدش هيتوقعها بسهوله ولا حتى يقدر يستنتجها، الجثه مش هتكون لهيام، وصلاح مقتلهاش. هنقول إن صلاح احتاج الجثه علشان يجرب عليها اختراع الاختفاء، الجهاز ده حقيقى ومعترف بيه علميًّا(*) ويشوف الجسم المادى قابل للاختفاء ولا لأ، دى إحدى اختراعات إبنى وحيد، صلاح كانت حالته وصلت إلى درجة الجنون، هننفى جريمة القتل عنه، لكن الجنون دى هنلاقيلو طريقه تانيه نخرجوا منها من المستشفى، وبكده الموضوع خلص ونفينا تهمة القتل عن صلاح.

ـ طب وتحليل الـ «دى إن إيه»، اللى المفروض كان عملوها للجثه ومعملوهاش؟

ـ المره دى هيعموللها بعد ما نعين محامى لصلاح يطالب بالكشف والتحليل للجثه، وهيكتشفوا إن إسمها (إيمان السيد أحمد)، مش هيام.

قالت وقد انتابها هدوء مفاجئ:

ـ إنتى مسبتيش تفصيله صغيره، كل حاجه معمول حسابها! إلا أنا، اللى كنت فاكره إن (وحيد) صاحب الفكره كلها، أتاريه وراه كمبيوتر عالى الجوده!! هههههه.

لم تجارِها فى مرحها، بل صمتت (كارمن) وهي تتأمل ملامحها، حجر صلب تم إزاحته عن ظهرها أخيرًا، لقد مرت الأيام ثقيلة رتيبة، مخيفة،

(*) تجربة فيلادلفيا، تسمى ـ أحيانًا ـ مشروع قوس قزح، وهي تجربة زعم أنها أجريت من قبل البحرية الأمريكية عام ١٩٤٣ بغرض دراسة إمكانية إخفاء سفينة حربية عن عين العدو بطرق تدخل فيها المغناطيسية إلى جانب مجال آخر مثل الجاذبية.



لو أنهم كشفوا جزءًا صغيرًا من الخدعة لتعرض الجميع إلى خطر داهم! اعتمدت على الإتقان، الجميع يتقن دوره بكل حرص وعناية، من أجل ترويج ذلك الجهاز (ttp)، من أجل مستقبل ولدها الذي وُلد من جديد، من أجل خطِّ اسم نسلها ليذكره التاريخ فيما بعد، لتجعل من ولدها خبرًا سجله دفتر التاريخ فيما بعد. قالت (هيام) وانتشلتها من بؤرة التفكير:

ـ كنتى بتقرى حاجه؟

نظرت إليها باهتمام:

ـ عرفتى ازاى؟

تشير نحوها، كانت تجلس فوق أريكة صغيرة، على جنباتها (مخدة) صغيرة، دارت كتيبًا أسود اللون، ظهر منها فجأة ثم أخذته (كارمن) وأمسكته كأنه كنز صغير، لم تعطها لها فقالت بثقة:

ـ دى روايه.

قالت (هيام) بشغف:

ـ لونها مختلف شويه.. هى فيها جبل أو فتحه فى الأرض، وغلاف أسود.

لا زالت تتمسك بها وتقول:

ـ إسمها (وادى برهوت).

ـ برغوت؟!!

ـ برهوووت... أنا فى نصها مش قادره أسيبها غير لما اخلصها.

لقد تعجبت من ذلك الأمر (هيام)! لماذا تتمسك بذلك الكتيب



وكأنه ولدها!! ثم تلاشت رغبة الحصول عليه أو النظر عن قرب، قالت:

ـ طيب ممكن أعرف بيتكلم عن إيه؟

أمسكته (كارمن) بيدها وهى تقول:

ـ فيه نفس فكرة ابنى وهى (السفر عبر الزمن للماضى)، الرواية دى بتتكلم عن جهاز تانى بس العكس، بيسافر للمستقبل وبس، عن طريق وساطة شخص تانى غير الإنسان.

قالت (هيام) وقد عاودها الشغف:

ـ الكلام ده حقيقى؟! اللى أعرفو الإنسان هو الوسيط الوحيد فى جلسات تحضير الأرواح، هيجيب حيوان يعنى!! هههههه.

أعطتها الكتاب مما أسعدها، وقد ارتوى شغفها لثوانٍ. تطلَّعت إلى هيئته الخارجية، التى تصف بئرًا دائرية بدون أسوار، وكأنه هبط داخله نيزك من الفضاء، أحدث فجوة عميقة داخله، داكن اللون، ينتشر حوله الخضرة من كل صوب، بئر مخيفة، عميقة وقاتمة اللون!! فتحت أولى الأوراق:

ـ وادى برهوت، وادى الجن، لا لا إمسكى مش ناقصه رعب.

فزعت من الكتاب فجأة وكأنها رأت صورة بشعة توًّا، وأعطتها إياه فى سرعة.

ضحكت (كارمن) ضحكتها التى تعطيها عقار الشباب الدائم، ثم أخذت منها الكتاب:

ـ الرواية موجوده لو حابه تقريها إبقى قوليلى.



ضحكتا حتى أوشكت (هيام) على الخروج لتنفيذ ذلك المخطط. عادت كارمن تتمسك بالجرائد التي لا يظهر على أغلفتها سوى خبر الآلة الجديدة التي يمكنها العودة إلى الماضي.

لا توجد جريدة لا تذكر خبر وجود تلك الآلة وأسعارها، وأين تتوافر فى الأسواق.

لقد نجحت، ونجح ولدها، ورآهم الجميع.

بعدما تجاهلهم الجميع.

تقبلهم العالم أجمع.

تقبل ولدها.

العبقري.

تمت

❊ ❊ ❊



بوب وايت / تيم جونز:

في عام ٢٠٠٣ استقبل المئات من مستخدمي الإنترنت رسائل إلكترونية من شخص ما يقول إنه قادم من المستقبل وقد تعطل جهاز «توليد الأبعاد» الخاص به الذي يتيح له السفر عبر الزمن، وهو يحتاج إلى بعض المعدات لإصلاح آلة الزمن، وعرض مبلغ ٥٠٠٠ دولار لمن يأتيه بهذه المعدات، وقام أحد الأشخاص بتوفيرها له، وقابل الشخص المدعو (بوب وايت) في مكان تم تحديده مسبقًا، وحضر الكثير من البشر لمشاهدة آلة الزمن التي تحدث عنها، ولكن مر الأمر مرور الكرام ولم يحدث أي شيء غير طبيعي واختفى بعدها (بوب وايت) ولم يسمع أحد أي شيئًا بخصوصه مجددًا.

السير فيكتور غودارد:

في عام ١٩٣٥ كان الطيار (غودارد) يحلق فوق مطار مهجور قرب مدينة (أدنبره)، وهناك تعرض لاضطرابات جوية غريبة كادت تتسبب في إسقاط طائرته ولكنه تمكن من السيطرة على الوضع والخروج من العاصفة بسرعة رهيبة، ولكن بعد انتهاء المشكلة التي تعرض لها، نظر (غودارد) للأسفل؛ ليجد المنطقة التي شاهدها قبل العاصفة تغيرت تمامًا؛ حيث وجد العديد



من الطائرات الغريبة التي تبدو من المستقبل، كما وجد العمال يرتدون الزي الأزرق بدلًا من البني، وأبلغ (فيكتور) زملاءه بهذا الأمر، إلا أن العديد منهم لم يصدقه، لذلك قرر التزام الصمت حول هذا الموضوع. بعد ذلك بأربع سنوات، بدأ سلاح الجو البريطاني في تغيير شكل الطائرات للشكل الذي اعتقد (غودارد) أنه شاهده، بالإضافة إلى تغيير الزي الرسمي للون الأزرق بدلًا من البني، علمًا بأن (فيكتور) لم يقم بنشر مذكراته حول تجربته الغريبة إلا في ستينيات القرن الماضي، وهو ما يؤكد أن ما شاهده ربما يكون المستقبل الذي نجح في الوصول إليه بطريقة لا يعرفها هو شخصيًّا..

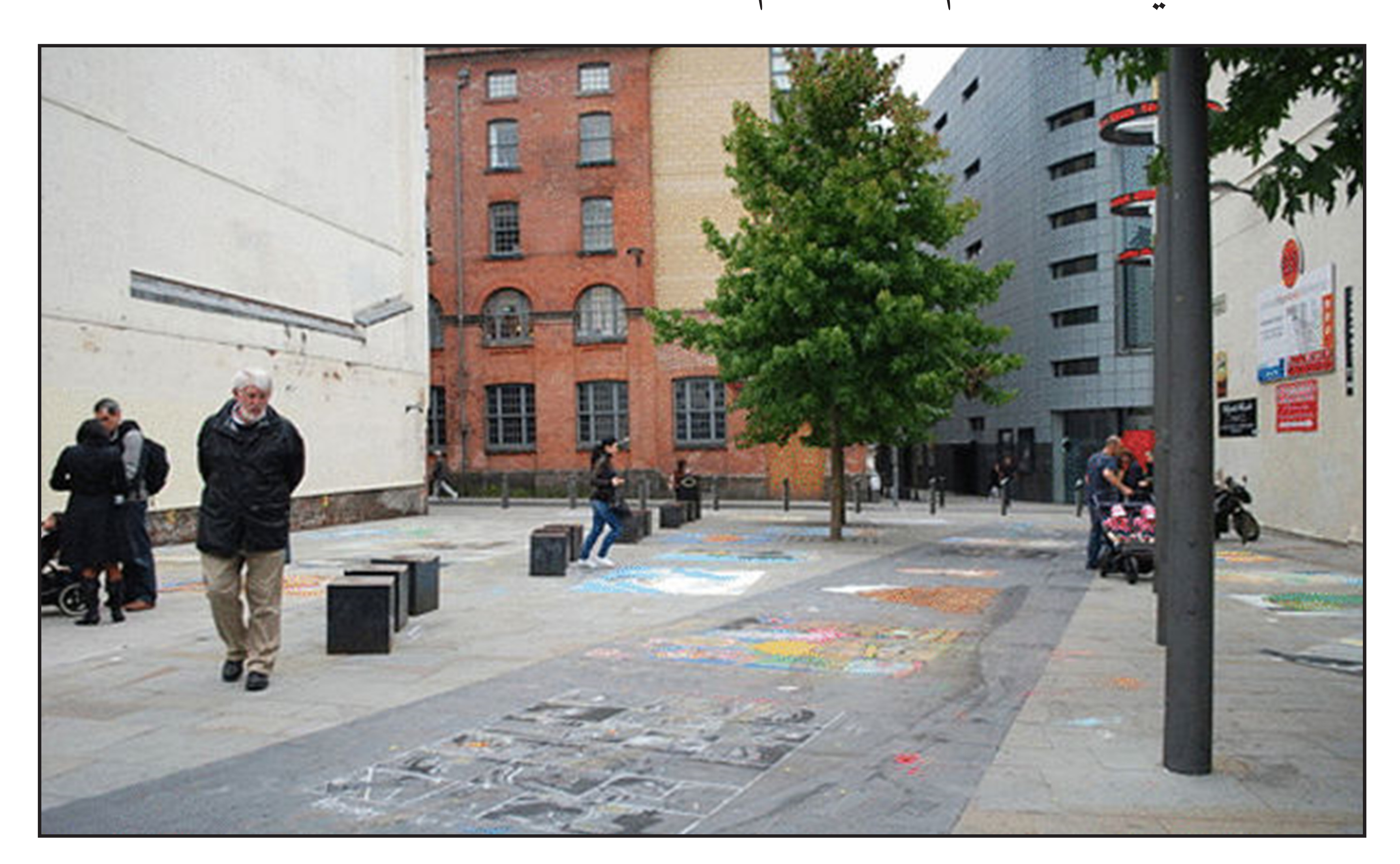


١ ـ فيرساي

في عام ١٩٠١ ادعت (آن موبرلي)، و(إلينور جوردان)، المديرة ومساعدة المديرة لمدرسة هوغو بمدينة أكسفورد، أنهما انزلقتا عبر الزمن عن طريق الصدفة أثناء زيارتهما لمنزل صغير بمدينة فيرساي الفرنسية، ليجدا أنفسهما



في وقت الثورة الفرنسية؛ حيث ذكرتا مشاهدة ومحادثة أشخاص يعتقدون أنهم في قاعة محاكمة الملكة ماري أنطوانيت، وقد قامت السيدتان بعمل كتاب يحكي مغامراتهم تحت اسم «An Adventure».



٢ ـ ليفربول

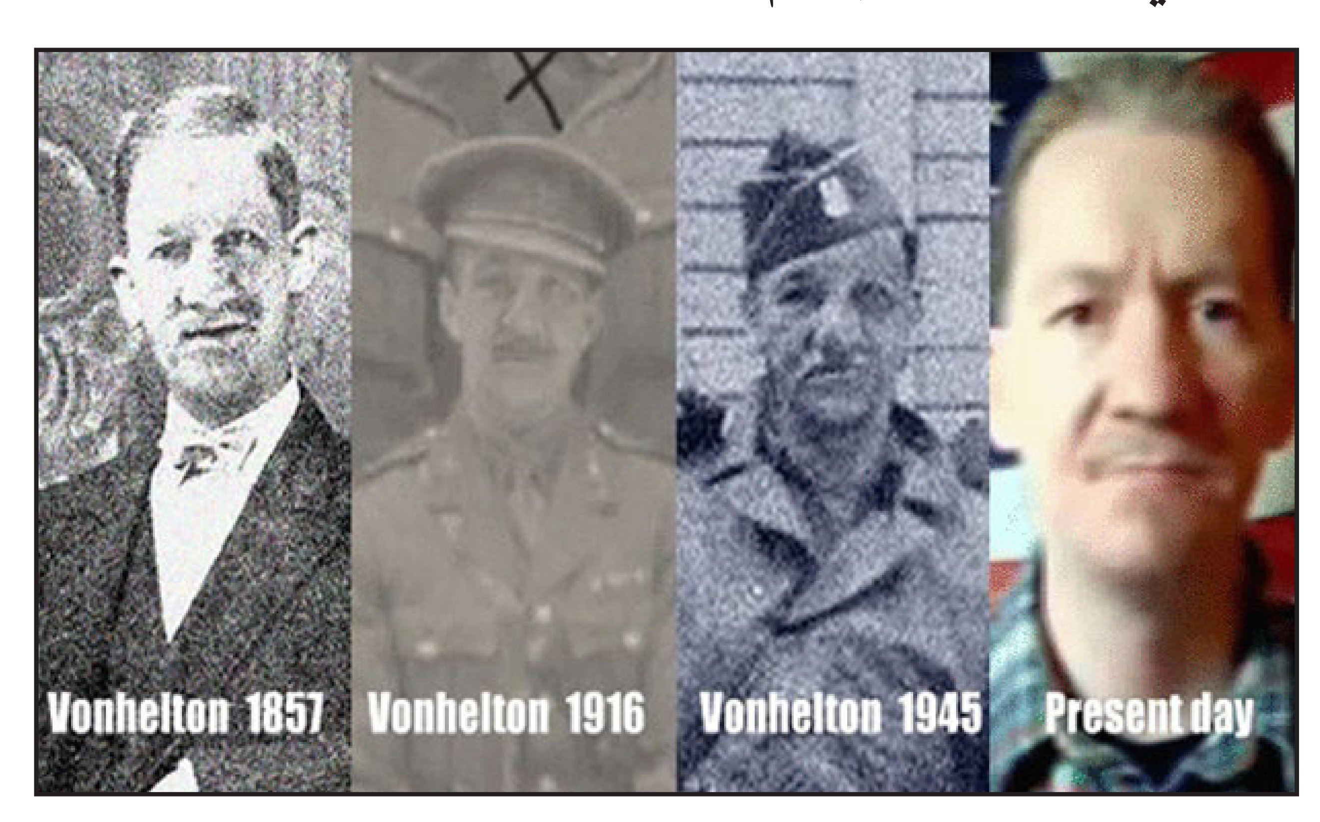
حصل شارع (بولد) بمدينة (ليفربول) الإنكليزية على شهرة كبيرة مؤخرًا، بعدما ادعى العديد من الأشخاص أنهم انتقلوا عبر الزمن أثناء سيرهم به، خصوصًا إلى فترة الخمسينيات والستينيات، ووفقًا لتقرير صحفي، فإن شخصًا سار عبر الشارع انتقل بالزمن إلى الخمسينيات، وعندما عاد لزمنه الحقيقي تمكن من ذكر أسماء العديد من أسماء المحال التاريخية بشكل دقيق.





٣ ـ مسافرة عبر الزمن في فيلم شارلي شابلين

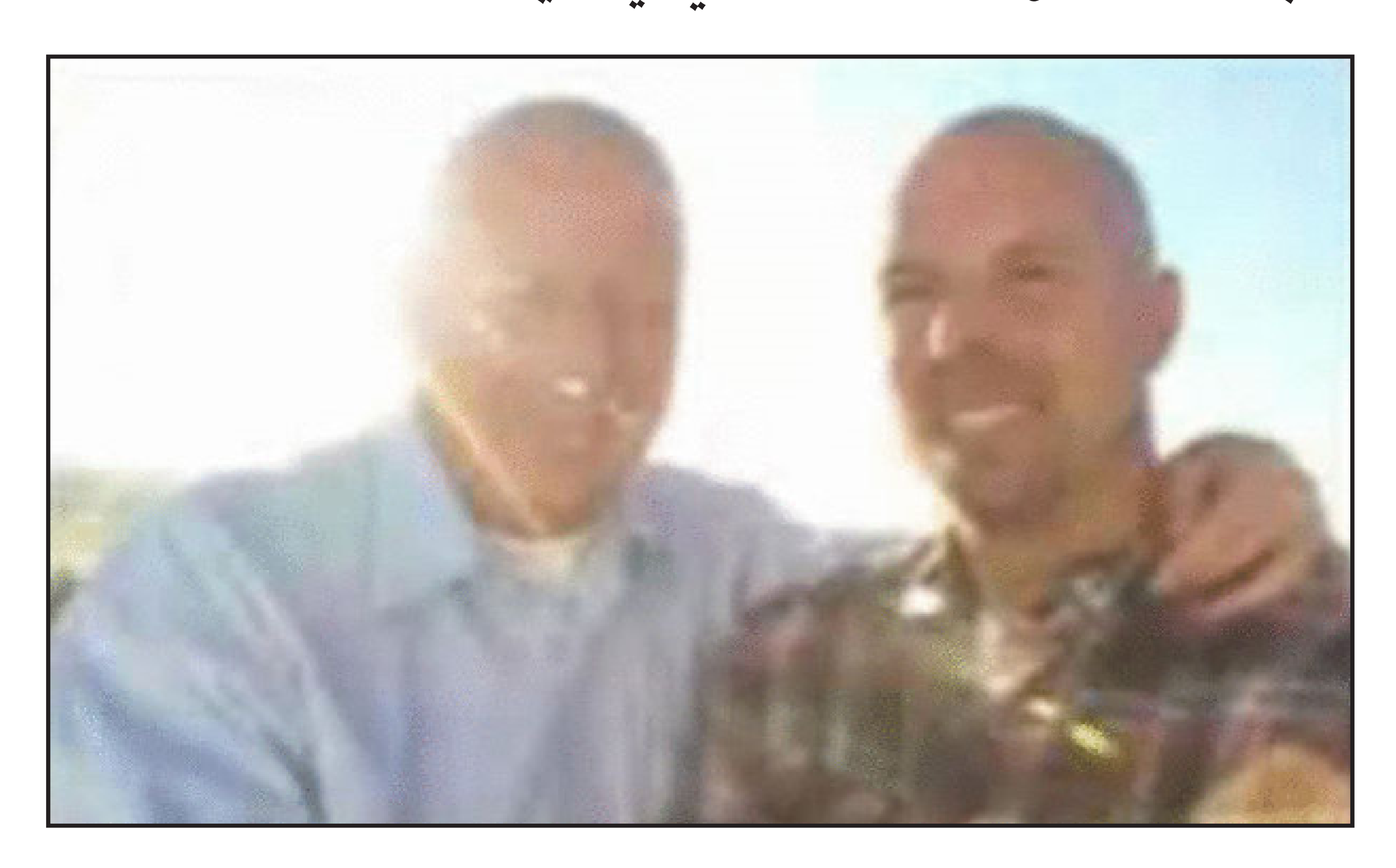
أثناء العرض الأول لفيلم «شارلي شابلن «The Circus» عام ١٩٢٨ التقطت كاميرا سينمائية امرأة مجهولة تضع يدها فوق أذنها وتتكلم مع شخص ما رغم عدم وجود شخص بالقرب منها، ما قد يوحي أنها كانت تستخدم هاتفًا جوالًا رغم أنه لم يكن قد تم اختراعه بعد! وهو ما قد يشير إلى أنها لا تنتمي للزمن الذي تم تصويرها فيه.





٤ ـ فون هيلتون مصاص الدماء

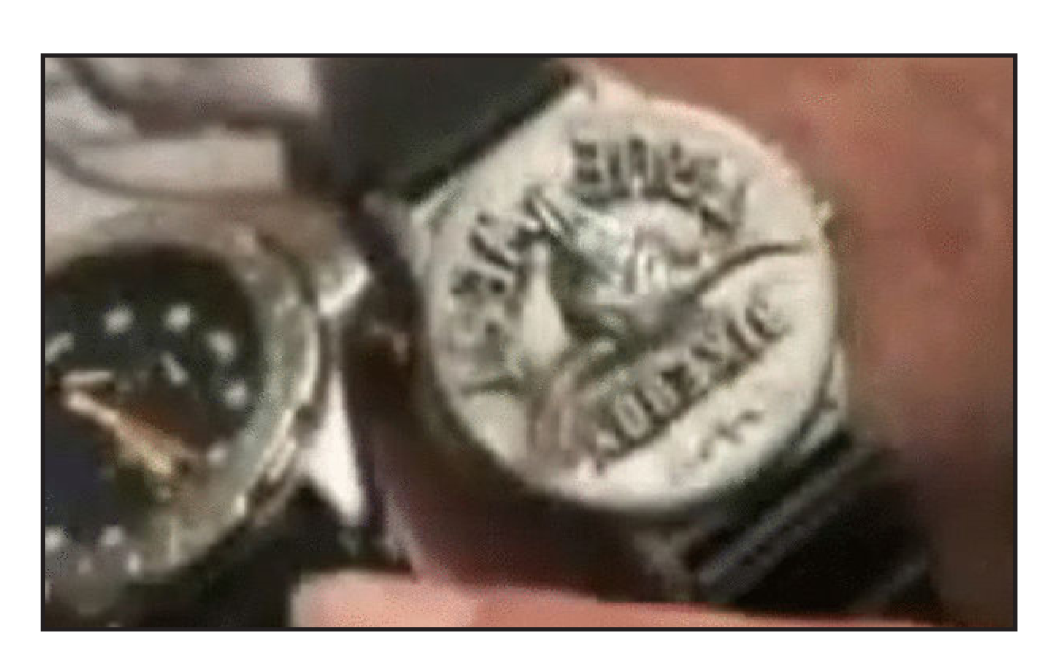
الشخصية المحيرة التي تعرف باسم (فون هيلتون) يعتقد أن جزءًا منه مصاص دماء، لكنه يؤكد أنه مسافر عبر الزمن ١٠٠٪ ودلل على ذلك بوضع صور مشابهة لصورته الحالية منذ عام ١٨٥٧ بإنكلترا، و١٩١٦ بفرنسا، و١٩٤٥ ببرلين، وصورة لشكله الحالي في أميركا.



٥ ـ رجل يقابل نفسه

كان (هاكان نوردكفيست) يصلح حوضه الذي يسرب الماء عندما زحف عبر أنبوب الصرف ليجد في نهايته شخصًا يشبهه ولكن أكبر سنًّا ـ في حوالي السبعين ـ وحتى لا يشكك أحد في كلامه فقد قام بتصوير نفسه يحتضن نفسه! وقد أظهر الفيديو شخصين متشابهين يستعرضان الوشوم المتشابهة لهما.





٦ ـ مسافر يكتشف أسرار مقدونيا

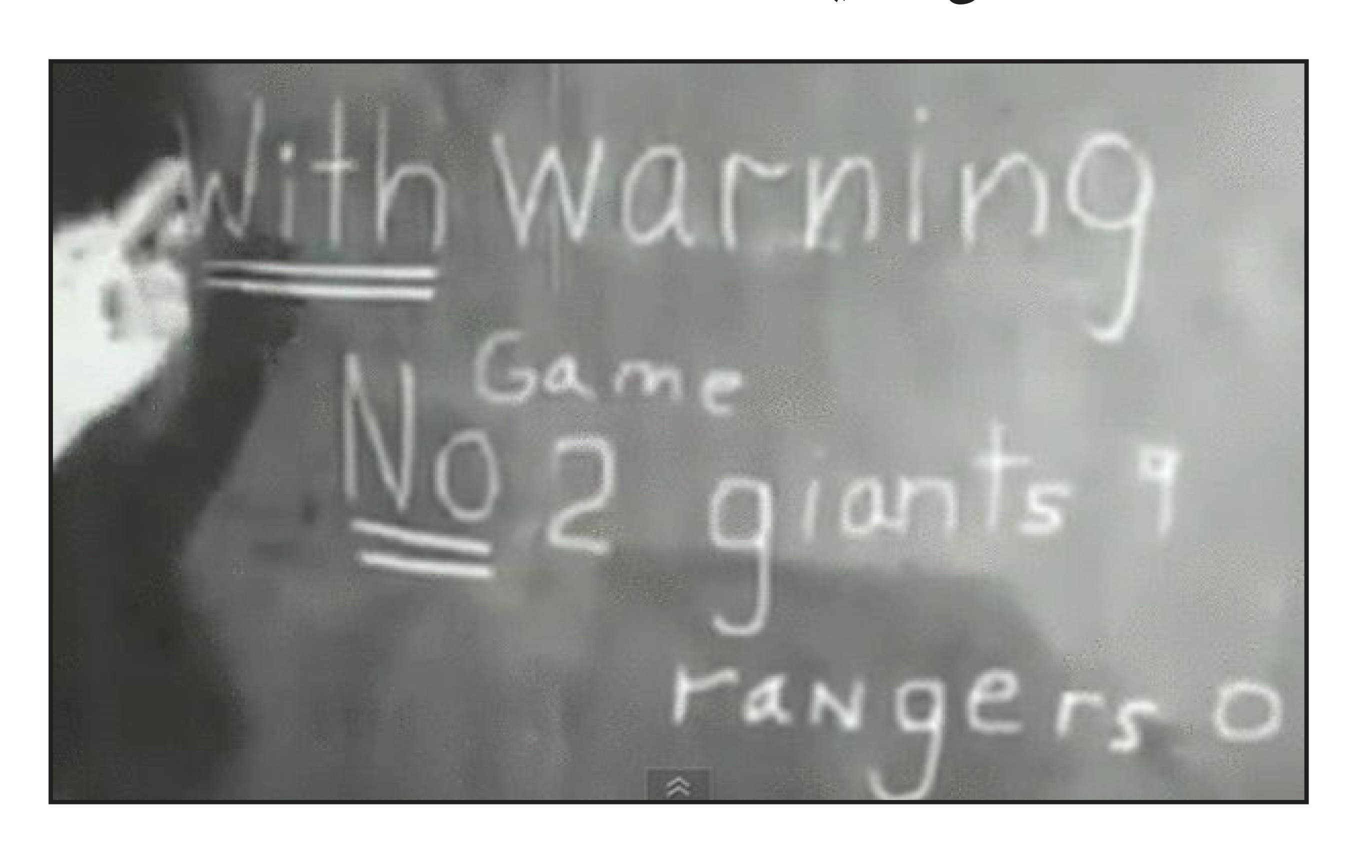
(باسكو كوزمان) عالم الآثار المقدوني والذي اكتشف آثارًا تعد مهمة في مجاله، جعلته شديد الشهرة، ادعى أنه مسافر عبر الزمن؛ حيث يرتدي عدة ساعات في يده يقول: إنها تساعده في السفر عبر الزمن تأخذه واحدة للوراء حتى العصر الحجري والبروزني، والأخرى إلى المستقبل، فيما تمكنه ساعة ثالثة من معرفة مكان الذهب.





٧ ـ صورة التقطت عام ١٩٤١ لمسافر عبر الزمن

من الوهلة الأولى قد تبدو لك الصورة طبيعية، لكن عند التدقيق ستجد أن هناك شخصًا يرتدي نظارة شمس ماركة ريبان في وسط جمع يرتدي القبعات والبدلات، ولكن ليس فقط النظارات هي ما تشير إلى أنه من المستقبل، بل يمكن ملاحظة أنه يرتدي قميصًا مطبوعًا عليه بأسلوب «print ـ screen» ويحمل كاميرا حديثة.



٨ ـ فيديو تعليمي من الخمسينيات

في فيلم تعليمي عن كيفية الدفاع المدني من الخمسينيات، يظهر معلم يشير إلى سبورة مكتوب عليها فريقي كرة أميركية هما (الغاينتس) و(رانغرز) وإلى جانبهما نتيجة ٩ ـ ٠ لفريق (غاينتس)، وهي نفس النتيجة التي حققها الفريق في بطولة العالم ٢٠١٠، ترى على هذا دليل على أن المعلم المسافر عبر الزمن كان محبًّا للرياضة.



٩ ـ هنري فوندا من المستقبل

في أحد أفلام النجم الأميركي هنري فوندا الذي أنتج عام ١٩٤٨، يظهر فيه ممسكًا بما يبدو وكأنه آيفون، فهل يمكن أن يكون هنري مسافرًا عبر الزمن، أم أن أحد المسافرين المهملين نسيه في موقع التصوير ليجده هنري!



C. E. ALDEN, INVENTOR OF VEST POCKET TELEPHONE

WOMAN A BRAVE EXAMPLE TO MEN.



١٠ ـ سي إي ألدن

في عام ١٩٠٦ نشرت الجرائد خبرًا عن اختراع هاتف يوضع في جيب الصديري، فهل كان المخترع تشارلز إي ألدن قادمًا من المستقبل؟!

جون تيتور:

هو شخصية وهمية، قام بوضع جملة من الرسائل بين سنتي ٢٠٠٠ و٢٠٠١ في عدة منتديات تهتم بالسفر عبر الزمن، مؤكدًا في هذه الرسائل على أنه مسافر عبر الزمن، قادم من سنة ٢٠٣٦. قدم (تيتور) نفسه كجندي أمريكي، وقال إنه انتقل أولًا إلى سنة **١٩٧٥** لاسترداد كمبيوتر من فئة **آي بي إم ٥١٠٠** وقد ذكر أنهم في أمس الحاجة إليه في **المستقبل** سنة ٢٠٣٦. قدم (تيتور) العديد من التوقعات حول الأحداث في المستقبل، بدءًا من سنة ٢٠٠٤؛ حيث قال: إن **الولايات المتحدة** ستنقسم إلى خمس دول، بعد أن يدمّرها **هجوم نووي**، هي وباقي القوى العالمية الأخرى. كما صرح أن هناك مرضًا سينتشر عن طريق منتجات **لحوم البقر**. حتى يثبت للناس صحة كلامه قام تيتور بكتابة بعض التنبوءات التي ستحدث في المستقبل، لعل أبرزها نشوب حرب أهلية في **الولايات المتحدة الأمريكية** نتيجه للاضطرابات التي خلفتها انتخابات ٢٠٠٤ ثم ٢٠٠٨، كما أضاف أن هذه الحرب ستنتهي مع بداية **حرب عالمية ثالثة** يتم فيها استعمال **الأسلحة النووية مما** يؤدي إلى وفاة ٣ مليار شخص، وادعى تيتور أنه جندي أمريكي مسافر عبر الزمن من أجل الحصول على حاسوب **آي بي إم ٥١٠٠** تم صنعه سنة **١٩٧٥** وهو أول حاسوب محمول وخلال هذه الرحلة قام بوقفة سنة **٢٠٠٠** أين قام بإرسال رسائله المثيرة للجدل. تنبأ (جون تيتور) في عام ٢٠٠١ أن هناك



حربًا أهلية في الولايات المتحدة ستبدأ عام ٢٠٠٤ ومن هنا تبين للناس أن ما يقوله قريب للكذب، وأيضًا الحرب العالمية الثالثة في عام ٢٠١٥ كانت كذبة أيضًا، ومن ناحية علمية أنه لا يمكن صنع آلة الزمن في عام ٢٠٣٦؛ لأن اختراعًا مثل هذا شبه مستحيل أن يكتمل خلال ٢٠ سنة. وقال المتخصصون إن صنع اختراع كهذا لا يمكن إنجازه بسهولة؛ لأنه سيتواصل مع الزمن، والزمن يحتاج لقرون للتواصل معه. وكان (جون تيتور) يتحدث عن علوم الثقب الأسود ومن ثَمَّ رد عليه المتخصصون مما جعل أقواله باطلة.



أعمال الكاتب:

١. المنكود.
٢. السرب.
٣. الجلسة التاسعة.
٤. حنين زائف.

تحت الطبع:

رواية (وادى برهوت).

ولمتابعة الكاتب

https://www.facebook.com/mahmoud.emam.35

https://www.instagram.com/mahmoud.emam.35

بلغة رزينة وحبكة خادعة يفاجئني الكاتب/ محمود إمام برواية تنتمي لأدب الخيال العلمي، محمود إمام كاتب ممتاز يتمتع بلغة جيدة وحبكات عبقرية، وأسلوب سرد يسلب العقل، تفوق محمود على نفسه في هذه الرواية.

الكاتب محمد عصمت (بتاع الرعب)

هل تريد العودة إلى الماضي ؟

هيا لنذهب إلى أجمل اللحظات مع الحبيبة أو حبك الأول، أو مع من رحلوا إلى العالم الآخر ! قل لهم كلماتك الأخيرة أو راقبهم من بعيد، هل تريد أن تمرح من جديد وتعيش شبابك، إن كنت عجوزاً يشتعل رأسك شيبًا ؟رحلتنا نادرة للغاية ولن تجد مثلها مطلقًا، ولكن يجب أن نحذرك قبل أن تخوض تلك التجربة. هناك عيب خطير! الساعة الواحدة فى الماضى بعشر سنوات من عمرك الحالى! هل تريد التجربة ؟ إذن ادخل وأغلق الباب خلفك. افتح الورقات لترى العواقب، ولنخض تلك التجربة معًا.



محمود إمام

كاتب روائي من مواليد القاهرة، سبق له النشر فى معظم الجرائد المصرية. صدرت أول أعماله الروائية "المنكود"، ثم رواية "السرب" عام 2014، ثم رواية "الجلسة التاسعة" عام 2015، والتي تحولت إلى عمل فني مسرحي، وفي عام 2017 صدرت له رواية "حنين زائف".

تصميم الغلاف كريم آدم





